الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 411 - من الثلاثاء 25 جوان إلى الاثنين 1 جويلية 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

افتتاحية

الهيدروجين الأخضر في تونس: التصدير أولا؟

بقلم : مسعود الرمضاني

رسائل مشفرة من رئيس الجمهورية في عيد الجيش

أين السيد أحمد ؟

رسالة مفتوحة إلى سامي عناية سيادة رئيس الجمهوريّة

بقلم : أنس الشابي

موقف الأسبوع

ماذا لو انتصر اليسار في فرنسا ؟؟

بقلم : جيلاني الهمامي

خميس الخياطي رحل جسدا وبقي أثرا...

بقلم : خالد نجاح

الهيدروجين الأخضر في تونس:

التصدير أولا؟

بقلم : مسعود الرمضاني

أمام مخاطر الانحباس الحراري، الذي من ضمن أسبابه الغاز الاحفوري (وخاصة البترول والغاز)، يتّجه العالم أكثر فأكثر نح والطاقات النظيفة والمتجددة، لأنها صديقة للبيئة وتحد من انبعاث الكربون المتسبب في تلوث الهواء والمحيط. لذلك تعوّل دول العالم وخاصة الدول الصناعية، التي تستهلك صناعاتها كثيرا من الطاقة على الهيدروجين الاخضر الذي يُنتج عبر ثلاثي المياه والطاقة الشمسية وتوربينات الرياح المثبتة في مساحات شاسعة، لكن هذه الدول تظل غير قادرة على توفير ذلك بكميات كبيرة، نظرا لظروفها المناخية او محدودية مساحتها او لأسباب بيئية تتعلق بالتزاماتها...

تونس التي تمتلك أشهرا طويلة من الشمس وكمية كبيرة من الرياح، خاصة في الجنوب، لكنها تعاني من فقر مائي حاد، تزداد مخاطره مع تواصل سنوات الجفاف، امضت، في اواخر ماي، مذكرة تفاهم مع المجمع الفرنسي طوطال اينرجي Total Energie والمجمع النمساوي "فربوند" لتنفيذ مشروع ضخم لإنتاج الهيدروجين الاخضر في بلادنا وتصديره عبر الانابيب الى اوروبا وذلك بقيمة استثمارات اولية تصل مرحليا الى حوالي 20 مليار دينار و132 مليار دينار في افق 2050.

الخطاب الرسمي التونسي الذي انطلق في حملة تفسيرية واسعة حول الجوانب الايجابية للمذكرة، باعتبار اهمية الطاقة البديلة مستقبلا ومكانة التصدير في الاقتصاد وقدرة المشروع على توفير مواطن الشغل، أغفل الحديث عن المشاكل الاجتماعية والبيئية التي قد تسببها إقامة ذاك المشروع، اضافة الى غياب الحوار المجتمعي الذي يجب ان يرافق مثل هذه المشاريع العملاقة التي لها ارتداداتها الاقتصادية والاجتماعية (اراء خبراء مستقلين، سياسيين، مجتمع مدني...).

عشرون بالمائة فقط

الهدف من هذا المشروع الضخم هوانتاج الهيدروجين الاخضر من مياه البحر –بعد تحليتها– اضافة الى استعمال الالواح الشمسية والرياح، وذلك بمقدار 200 الف طن سنويا، ليصل الى 8 ملايين طن في افق 2050، يخصص حوالي 20 بالمائة فقط للاحتياجات الداخلية والبقية سيقع تصديرها الى البلدان الاوروبية التي دفعتها التزاماتها البيئية والحرب الروسية على اوكرانيا الى اقرار خطط بديلة ومنها خطة REPower EU، التي ترمي الى " التقليل من الاعتماد على الوقود الاحفوري الروسي، الذي يُستخدم كسلاح اقتصادي ويكلف دافعي الضرائب الاوروبيين ما يقارب 100 مليار اورو سنويا" وتعمل الخطة الأوروبية على بناء "تعاون" مع شركاء اخرين للتزود بالطاقة الخضراء، وفي مارس 2022، "ضبطت المفوضية الاوروبية مخططا لجعل اوروبا مستقلة تماما عن الوقود الاحفوري الروسي، وذلك قبل سنة 2030." وطبعا، بفضل قرب شمال افريقيا ووفرة مواردها المتجددة، ترى اوروبا في التعويل عليها مستقبلا امرا حيويا .

هنا لابد من طرح السؤال التالي: هل يهدف مشروع انتاج الهيدروجين الاخضر الى التقليص من العجز الطاقي في تونس وانتاج نموذج طاقي متجدد ام انه جاء لتلبية الحاجات الاوروبية؟ وهل وقعت دراسة مستفيضة لمنافع ومخاطر مشروع مماثل؟

والامر هنا لا يتعلق بسيادة مفتعلة، مثل تلك التي تصدع اذاننا، ولا بموقف قومي منغلق، بل بمراعاة المصلحة الوطنية التي يتطلبها اي تعاون بين طرفين وتقدير مدى انسجامه مع حاجاتنا واولوياتنا ودراسة حساب الربح والخسارة... فمثلا يؤكد الخبراء ان الهيدروجين الاخضر، رغم نظافته كمصدر طاقة، يستهلك كميات كبيرة من مياه البحر المحلاّة، واعتبر المرصد الوطني للمياه، ان المشروع سيستنزف نسبة كبيرة من مواردنا المائية تعادل نصف الكمية الموجودة في السدود التونسية، لذلك تبد وحاجتنا الى تحلية مياه البحر للشرب والاستعمال وحتى للفلاحة اشد الحاحا من حاجتنا الى تصدير الطاقة الى بلدان تستفتي حاجاتها اولا وتخطط ثانيا وتدرس منافع ومخاطر اي قرار ثالثا.

ان للتركيز على تصدير الطاقة، دون اخذ أولوية المصلحة الوطنية المحلية بعين الاعتبار وإعادة لنفس العلاقات الاقتصادية الاستغلالية القديمة التي بنيت دائما على تلبية حاجات بلدان الشمال، دون اخذ أولوية مصلحة البلاد والسكان المحليين بعين الاعتبار وأحيانا على حسابهم...

العقبات الاجتماعية والبيئية

عند الحديث عن مشاريع الهيدروجين الأخضر، فان من اهم ركائزها، إضافة الى الماء والطاقة الشمسية المساحات الشاسعة التي يتطلّبها ذلك. تقول عايدة دلبوش الصحفية المختصة في البيئة: " على سبيل المثال، تستهلك الرحلة من فرانكفورت الى تونس التي تستخدم الهيدروجين الأخضر واحد جيغاواط من الكهرباء المتجددة، وه وما يمثل مساحة تقدر ما بين 1500 و1800 هكتار من الالواح الشمسية، وهي مساحة كبيرة يجب إعادة توزيعها لهذا الاستعمال." ويشير الباحث صابر عمار الى ان مذكرة التفاهم حددت مساحة 500 الف هكتار لإنتاج الهيدروجين الأخضر، وه وما يطرح سؤالا حول المسألة العقارية، وكيف ستتعامل الحكومة التونسية مع السكان في المناطق المعنية ؟ وهل سيُقدم تعويض لائق لأولئك الذين ستستعمل أراضيهم؟

التجارب السابقة في هذا المضمار مؤلمة، فالدراسة التي قامت بها "انكفاضة" حول مشاريع الطاقة المتجددة في سقدود، من ولاية قفصة وبرج الصالحي من ولاية نابل، تشير الى ان مثل هذه المشاريع خلّفت جدلا كبيرا و"مرارة "لدى السكان المحليين" فعلاوة على الاستيلاء على أراضيهم ومواردهم، لم يستفيدوا منها وظلت مواطن الشغل الموعودة سرابا." بل وخلفت النواعير الهوائية اضرارا كبيرة ومشاكل صحية للسكان المحليين، في برج الصالحي، يقول أحد المواطنين بحسرة للصحفيتين "كنا نزرع القمح والذرة والطماطم...قبل تركيز النواعير الهوائية، كانت أرضنا تحظى بقيمة ثمينة، لكنها لم تعد تسوى شيئا اليوم".

كم تذكرني مثل هذه التغييرات المعيشية في حياة المواطنين بفيلم "شمس الضباع" للمخرج رضا الباهي، حيث تعيش قرية ساحلية بسلام على الصيد وتحقق الاكتفاء الذاتي لسكانها الى ان يأتي رجال اعمال ألمان ويحولون، بتزكية من السلطات المحلية، الشواطئ الى نزل سياحية، فتنقلب حياة القرويين رأسا على عقب وتتحول من الهدوء والدفء والطمأنينة الى صخب وتهريج ويهجر المواطنون اعمالهم التقليدية وصناعاتهم ليتحولوا الى خدمة السياح الاجانب... الفيلم اخرج منذ 47 سنة، ويبد واننا لم نغادر ذلك المربع الخدماتي.

صحيح ان الهيدروجين الأخضر يمثل بديلا له خصائص مستدامة وانه مصدر طاقة نظيفة لكن أهميته ليست مرتبطة بقيمته فقط ولا بتصديره ولا أيضا بالعائدات المالية المتأتية من ذلك، بل بدراسة مستفيضة لمكانته، حاضرا ومستقبلا، ولقيمته المضافة داخليا واقتناع المجموعة الوطنية بجدواه ومدى تقبله من طرف السكان المحليين.

رسائل مشفرة من رئيس الجمهورية في عيد الجيش

كوثر زنطور

تضمنت تصريحات رئيس الجمهورية قيس سعيد يوم امس الاثنين 24 جوان 2024 بمناسبة الذكرى 68 لانبعاث الجيش الوطني، رسائل مشفرة عند حديثه عن مسألتين الاولى رفض تونس قبول وجود قواعد عسكرية أجنبية على أراضيها، والثانية من خلال دعوة في شكل قرار الزامي موجه للمجموعة الوطنية والقاضي بالمساهمة في توفير الاعتمادات اللازمة لتطوير قدرات القوات المسلحة من بنية تحتية وتسليح .

تكاد تكون هذه المرة الأولى التي يطرح فيها رئيس جمهورية، نقطتين في غاية من الحساسية في خطاب رسمي هما التمسك برفض وجود قوات عسكرية على أراضيها وثانية الميزانية الموجهة للقوات العسكرية. ويفترض اثارة هاتين المسالتين وجود تطورات استوجبت على الرئيس التفاعل، من خلال الحسم رفضا او إيجابا .

الحضور الروسي ؟

خلال شهر نوفمبر المنقضي، وصف وزير الدفاع عماد مميش في رده على أسئلة نواب خلال جلسة استماع عقدت بمجلس نواب الشعب، الحديث عن وجود قواعد عسكرية اجنبية على الأراضي التونسية بالكلام الخيالي، الذي قال انه " لا أساس له من الصحة في ظل حرص رئيس الجمهورية على سيادة البلاد" مشددا على انه لا يمكن للوزارة ان تتفاعل مع ما اسماه بالقيل والقال .

ويوم امس، جدد قيس سعيد في كلمته تمسك تونس برفض وجود قواعد اجنبية على الأراضي التونسية، وابرز في هذا السياق في كلمته امام تشكيلات من الجيوش الثلاثة : " تونس التي لم تقبل ابدا بوجود قواعد عسكرية على أراضيها لن تحيد ابدا عن هذا الخيار قيد انملة .. نقبل بالتعاون وتبادل التجارب والخبرات وهو امر تقليدي ومألوف بين الدول ".

وتابع" لكن لا يكون هذا التعاون الا في ظل الاختيارات الوطنية النابعة من مصالح الشعب التونسي ولن نقبل بأن تكون حبة رمل واحدة وقطرة ماء واحدة خارج السيادة الكاملة للدولة التونسية ونعمل جميعا على ان تكون عصية على كل من يتربص بها ونريدها شامخة وابية في كل محفل وتحت كل سماء".

من البديهي التساؤل عن خلفيات هذه التصريحات، فقد تحيل الى ان الرئيس يذكر بالتزامات تونس وخطوطها الحمراء، في مناسبة قد تسمح ببعض من تلك الإشارات، وفي ذلك يبدو سعيد متماهيا مع اهم مكونات خطه السياسي، وهو الدفاع ورفض أي مساس بالسيادة الوطنية وان كان منتقدوه يرون انها شعارات يؤكد الواقع والممارسة زيفها .

لكن ما يثير بعض الانتباه في هذه التصريحات هي إحالة سعيد الى موقف ثابت سابق بنى عليه موقفا لاحقا، فليس من باب التجني القول ان قيس سعيد لا يرى تقريبا في الماضي القريب او البعيد الا مكونات فشل وجب القطع معها، واستذكار يوم امس موقف رفض القبول بقواعد عسكرية اجنبية على الأراضي التونسية قد يبدو وكأنه حجة استعملت لتبرير موقف جديد .

من المهم التذكير بأن إقامة وحتى وجود قواعد عسكرية أمريكية كان يطرح بشكل متواتر خلال العشرية السابقة ، ودابت الجهات الرسمية على نفي وجود اقتراح او مشاورات لاقامة قاعدة عسكرية ، وعلى الرغم من النفي القاطع، فقد ظلت سردية وجود قاعدة عسكرية أمريكية سرية في تونس متواترة .

ففي عام 2015، نقلت وسائل اعلام جزائرية قريبة من السلطة، وجود توتر في العلاقات بين الجزائر وتونس بسبب " مباحثات متقدمة حول إقامة قاعدة عسكرية في تونس" وذكرت ان وزير الخارجية رمطان لعمامرة في تلك الفترة نقل الى السلطات التونسية تلميحا بالتوجه نحو القطع العلاقات ان قبلت مقترح واشنطن .

كان الاعلام الجزائري يتحدث عن بدء الاعداد لتركيز هذه القاعدة، وقدم تفاصيل بخصوصها، من ذلك وصول 129 امريكيا بين خبراء وتقنيين وقوات المشاة البحرية " المارينز" الى التراب التونسي مرفوقين بتجهيزات القواعد العسكرية للطائرات دون طيار بالإضافة الى معدات أخرى قالت انه يشتبه في انها موجهة الى تجسيد قاعدة عسكرية أمريكية في تونس .

ردت تونس عبر وزارة الخارجية (الطيب البكوش انذاك) بنفي وجود مشروع لاقامة قاعدة عسكرية امريكية في تونس. وعام 2016 تجدد الحديث عن وجود هذه القاعدة، كذب الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي ذلك مؤكدا في المقابل ان " 70 ضابطا امريكا تولوا تدريب ضباط في الجيش التونسي". وبعد تكذيب رسمي متواصل، اقر الرئيس الراحل ان " قوات عسكرية امريكية استعملت طائرات دون طيار للقيام بعمليات استطلاعية على الحدود التونسية الليبية في اطار التعاون العسكري لمكافحة الارهاب". وكشف وقتها ان الولايات المتحدة الامريكية استعملت طائرات دون طيار للقيام بعمليات استطلاعية على الحدود التونسية الليبية نافيا وجود قاعدة لها على التراب التونسي.

وعام 2017، جدد وزير الدفاع فرحات الحرشاني نفي وجود قاعدة امريكية، وذلك بعد الجدل الواسع الذي اثاره مشروع منظومة المراقبة الالكترونية على الحدود الجنوبية الشرقية بين منطقتي لزرط وبرج الخضراء التابعة لولاية تطاوين. ولفت الحرشاني الى ان ن وجود عسكريين امريكيين في تونس لا يعني وجود قاعدة عسكرية امريكية.

في نفس العام، كشفت صحيفة امريكية ان المحكمة العسكرية نظرت في قضية متعلقة بالعقيد دنيس باكيت الذي قالت انه متهم بخرق النظام العام في منطقة انتشار عسكري واغتصاب قائدة طائرة. وقالت ان الحادثة وقعت في قاعة القوات الجوية بسيدي احمد ببنزرت. وابرزت تقارير اعلامية امريكية ان وثائق تابعة للقيادة العسكرية الامريكية في افريقيا (افريكوم) وجود نشاط عسكري امريكي في 3 دول هي تونس وليبيا والنيجر .

تكشف اذن المعطيات، ان كل نفي هو في الواقع نصف حقيقة، واللافت في تصريحات رئيس الجمهورية حول التمسك برفض اقامة قواعد عسكرية، غياب ما قد يبرر النفي وما يفسر هذه التصريحات، باستثناء تقارير وسائل اعلام ايطالية وفرنسية نسبت فيها المعطيات الى مصادر امريكية، حول وجود طائرات عسكرية روسية في جزيرة جربة.

خفض المساعدات

تبدو دعوة رئيس الجمهورية المجموعة الوطنية الى المساهمة في تعبئة الاعتمادات الموجهة للقوات المسلحة مفاجئة. فقد قال الرئيس في خطابه" على المجموعة الوطنية كاملة ان تساهم في توفير الاعتمادات اللازمة لتطوير قدرات القوات المسلحة من بنية تحتية وتسليح فضلا عن الاحاطة بكل العسكريين بكل رتبهم واختصاصاتهم" .

كما اكد انه " ستتم ترجمة ارادة المجموعة الوطنية في الاحاطة بالعسكريين في مخطط استراتيجي سواء في اطار قانون مالية او في اطر قانونية اخرى والشعب التونسي لن يكون مترددا ولا ضنينا في هذا المجهود والواجب ".

قد تكشف الايام القادمة خلفيات هذه التصريحات، وان كانت لها علاقة مثلا بالتخفيض الحاصل في الدعم الموجه من الولايات المتحدة الامريكية الى المؤسسة العسكرية الذي بقي من الملفات المسكوت عنها .

وكان وزير الدفاع عماد مميش قد استقبل في شهر فيفري المنقضي سفير امريكا في تونس الذي كان مرفوقا بالقائمة باعمال نائب مساعد وزير الدفاع الامريكي للشؤون الافريقية ومدير الاستراتيجية والشراكة والبرامج بالقيادة الامريكية لافريقيا. وتمحور اللقاء حسب بيان صادر عن سفارة امريكا حول التعاون الامني بين تونس وواشنطن وبناء القدرات المؤسسية وامن الحدود ومراجعة برامج بناء القدرات الدفاعية لتونس .

وشهدت المساعدات العسكرية الامريكية انخفاضا في ميزانية عام 2023 بسبب التطورات التي عرفتها تونس منذ 25 جويلية 2021. ومر التخفيض من تهديد الى واقع، وبلغ الى حدود النصف تقريبا اذ ان المساعدات العسكرية الامريكية المخصصة لتونس كانت في حدود 112 مليون دولار عام 2022 ونزلت الى 61 مليون دولار عام 2023 .

قد تكون تصريحات رئيس الجمهورية يوم امس ردا على ضغوطات يرجح مساندوه انها ستشهد منحى تصعيديا على خلفية تعدد مؤشرات التوجه نحو الشرق، لكن يبدو انها تستوجب مزيدا من التوضيحات لاهميتها ولما اثارته من لبس بالنسبة للمتابعين ان كانت من باب التذكير بالثوابت او الرد على ضغوطات وربما تبرير والبحث عن حلول بديلة لقرارات وخيارات.

mahindra Rise

معادش تخمم
فالدفعة الأولى
وإيجا هز كميونك!

SUMMER DEALS
من 20 جوان إلى 20 جويلية
عرض خاص بالفلاحين تسهيلات فالدفع
و العديد من المزايا

EN PARTENARIAT AVEC
BTK LEASING

APPELEZ-NOUS AU
70130130

AUTOMOBILES 7OUARI

أين السيد أحمد؟

صالح مصباح

وفق النظام السياسي الذي صار سائدا بتونسَ منذ جويلية 2021، لرئيس السلطة "سعيد" اليدُ العليا والسفلى والوسطى في الحلّ والعقد، والوصل والفصل، والقطع والربط. وليس مستثنيا من ذينك التعيينِ والإعفاءِ بدءًا بالعمدة وانتهاء برئيس الحكومة ومرورا بما بينهما والاهتداءُ في كل المناصب بمقاييس محدّدة.

وحين عيّن رئيسُ السلطة على رأس الحكومة أحمد الحشّاني، توقّعنا، كما توقّع غيرنا، أن التعيين قد خضع للمقاييس التي أضحت سمةَ المرحلة. وهي أن يكون المعيّن منكفئا منطفئا، صموتا، عديمَ الحضور، خفيَّ الظهور، طيّعَ الشّكيمة، اتباعيّ المزاج، خلوا من الدربة، منشولا من الهوامش، فقيدَ الكفاءة. ولا نعلم هل من باب الغفلة يصر صاحب التعيين على هذه المقاييس أم هل له فيها مآرب لا يعلمها إلا الراسخون في المكر؟

وفي الحالين لا نرى لتلك المقاييس استثناء. فما من مسؤول أظهر تعيينُه انفلاتا منها، سواء بقرائن الأداء أو بحجة الإعفاءات المتعاقبة. فهي إعفاءات يصعب فهمها. فلو كان سببها التعثّر، فإن التعثر مُسبَق العِلم به في التعيين. أفلم يُعفَ وال بعد أسبوع من تعيينه؟! لا نعلم متى يكف رئيس الحكم عن الندم على التعيينات الراجعة إليه دون سواه؟ وهل سينتابه الندم على تعيين أحمد الحشاني على رأس الحكومة مثلما انتابه على سابقيه؟

1/رئيس حكومة أم حاشية الهامش؟

أكد اليوم الحشاني أنه طبق الأصل لتلك المقاييس. ذلك أننا لم نسمع له جملة مفيدة بخلاف خطابه المبهر الذي "تونس منورة، وما كيفو حتى واحد" ديباجتُه وجوهره وخاتمته، ولم نسمع له إبهارا بروتوكوليا بخلاف أعجوبة "عزيزي قيس".

ولعل الحشاني أدرك انطباق تلك المقاييس عليه، فأقسم ثلاثا ألّا يُخِلّ بأيّ منها لِيَصُحّ فيه تمامُها فلا يُغضِب مَن عيّنه بلقطة، بمحض الصدفة، قد يَخرُج بها عنها.

ولا يبدو السيد الحشاني مغلولا بتلك المقاييس

فحسب، وإنما أيضا بضوابط النظام السياسي الذي هو فيه. ولعله قد غلّب تلك المقاييس، باعتبارها أصيلة فيه، على ضوابط النظام السياسي الذي لا يَجعل يدَه مغلولةً إلى عنقه.

فلئن كانت كل مقاليد الحكم بين يدي رئيس الجمهورية، فإن الحشاني، رئيسا للحكومة، هو رئيس الفريق الوزاري. فلا فرق ها هنا بين نظام برأسين (bicéphale) أو برأس واحد أحد كنظامنا الراهن (monocéphale). فالتفاوت بين سلطات رئيس الحكومة في هذا النظام أو ذاك، أو رئيس الوزراء أو الوزير الأول، لا يلغي أنّ أيّا من هؤلاء هو الرئيس المباشر للفريق الوزاري وتوابعه التراتبية.

لكن رئيس حكومة تونس هو مجرد تسمية لمنصب. فلا نرى له قولا أو رأيا أو إجراء أو موقفا أو تنفيذا لرأي يختص به. وليس يظهر أن رئيس الحكم يعير التفاتا لرأي رئيس "حكومته"، ولا يُبدي ما يفيد أنّ هذا المنصب حاضر في ذهنه، ولا أنّ شخصا اسمه الحشاني يتولاه. ولئن ظهر السيد أحمد في حالات نادرة على رأس مجلس حكومي موسّع، فإنّ ظهوره لا يحدوه قول مسموع، ولا يتبعه بيان يتلوه، ولا ندوة صحفية يرد فيها على الأسئلة والهواجس ولا حضور في وسيلة إعلام يتكلم فيها حتى نراه.

وكلما سافر عاد بالصمت الذي سافر به، ولم نلحظ له في سفره إشعاعا يجدي نفعا سواء إلى أوروبا أو إلى آسيا. وفي كل الحالات، يبدو أن رئيس الحكم قد اصطفى له دورا واحدا وهو أن يُجلسه أمامه فتكونَ الجلسة مطية يقول بمناسبتها ما دأب على قوله. ولعله في ذلك المنصب مجرد سد لشغور ولا شيء فوق ذلك. فهو دون الوزراء حضورا لدى الرئيس.

2/رئيس الحكم وشبح رئيس حكومة

لعل رئيس الحكم مدرك لقدرات الرجل أو متفق فيها معه، وفاهم للدور الذي اختاره له بناء على المقاييس المذكورة. فعلى تشابك القضايا في البلاد، وعلى اتصال أزماتها التي لا تحصى، فإن رئيس الحكم لا يتابعها مع رئيس حكومته وإنما مع الوزراء المعنيين بها متابعة مكررة الأحوال، تكون غالبا لقاء ليليا محفوفا بخطاب الويل والثّبور والوعيد للفسدة والخونة والعملاء والمرتمين في أحضان الخارج حتى أننا لا نعلم خارجا ذا أحضان يَسَعُ عرضُها كلَّ من يقصد إليهم، ولا نعلم كيف أن هذا الخارج قد فرغ من كل قضاياه، وصارت قضيته الوحيدة هي احتضان العملاء التونسيين احتضانَ مقرور أو مشتاق.

ويبدو، والعهدة على ما يروج، أنّ بعض أعضاء البرلمان تنبهوا إلى الانطفاء شبه التام الذي عليه رئيس الحكومة، وأخذ بعضهم يتذمّر من قصوره ومن غياب أي أثر لحصيلة أدائه. ولعل المحير في الأمر أنه، بعد تلك العثرات الاتصالية، قد فضّل مبدأ "لا أعمل أبدا فلا أخطئ أبدا". فهو شبح رئيس حكومة في مرحلة تنطق زواياها كلها بالمشاكل والقضايا والاحتقان والأسئلة المحيرة التي حيثما وجهناها سارت حادّةً موجعةً.

رسالة مفتوحة إلى سامي عناية سيادة رئيس الجمهوريّة

تحية تليق بالمقام

وبعد

إثر انتخابات 23 أكتوبر 2011 وبعد أن دخلت حركة النهضة القصور السياديّة شهدت كلّ المؤسّسات الرسميّة جملة من التحويرات في القوانين والأوامر والتعيينات انحرفت بها عن أداء وظائفها من خدمة الشأن العام إلى خدمة الحركة أساسا. ولم يسلم من هذا الاستحواذ أيّ جهاز من أجهزة الدولة حيث شهدت المؤسّسات الدينيّة الرسمية هجمة نهضويّة أُحكمت فيها سيطرتها عليها، إلى جانب إيجاد حزام من الجمعيّات الدينيّة لمراقبتها ومحاصرتها حتى لا تتحرّر من قبضة الغنوشي وحركته.

بعد الاستقلال مباشرة أنشأت الدولة دائرة للإفتاء وإدارة عامة للشؤون الدينية إضافة الى كلية للشريعة وأصول الدين إلا أنّ الظروف السياسية وسوء إدارة الشأن الديني والافتقاد إلى رؤية متبصّرة حول سبل تسيير هذه المؤسّسات وحمايتها دفعت إلى سلوك منهج خاطئ في التعامل معها. فبِوهم الاعتقاد أن مواجهة الحركة الإسلامية يستلزم جرعة إضافيّة من التديّن الشكلي اتجهت السلطة إلى التضخيم المفتعل لهذه الأجهزة إداريّا وماليّا لتصبح بذلك ورمًا سرطانيا لا علاج له بالبتر. وحتى لا نصل إلى هذه المرحلة أعرض على سامي الجناب جملة من التصوّرات التي قد تساعد على تحريرها من قيد الغنوشي، هذه الأجهزة هي:

الإفتاء

وهو منصب ليس له من المهام إلا الشيء القليل بحيث لا تتجاوز حدود الإعلان عن الأشهر القمريّة وتسليم شهائد الإسلام لِمن أسلموا حديثا بالإضافة إلى إجابة المواطنين عن أسئلتهم الدينيّة والمشاركة في الندوات العلميّة داخل البلاد وخارجها. وقد التزم كلّ الشيوخ الذين عيّنتهم الدولة بحدود اختصاصهم باستثناء المفتي الذي عيّنته حركة النهضة إذ تجاوز كلّ الحدود بأن صرح في جريدة الشروق بتاريخ 1 أفريل 2015 بأنّه: "ليس لدينا الإمكانات للمساهمة في مكافحة الإرهاب"، و قوله عن نفسه في جريدة المصوّر في 2 جوان 2014 بأنه: "نائب رسول الله وليس ممثّلا لرئيس الدولة أو الحكومة أو الوالي"، إلى جانب تصريحات أخرى خرجت عن حدود اللياقة والأدب وهو ما دفع بالباجي قائد السبسي رئيس الجمهورية وقتها إلى تنحيته وإعادة الشيخ عثمان بطيخ مفتيا للجمهورية الذي قام بمهامه على أفضل الوجوه إلى أن انتقل إلى عفو ربه، فعيّنتم مكانه الشيخ هشام بن المختار بن محمود، ولم نلحظ طوال الفترة التي تولّى فيها هذا المنصب خروجا عن الجادّة وعمّا يقتضي المنصب من تجميع للناس بالابتعاد عن كلّ ما يفرّق متأسّيا في ذلك بسابقيه الشيوخ محمد العزيز جعيط ومحمد الفاضل ابن عاشور ومحمد الهادي بن القاضي وغيرهم.

المجلس الإسلامي الأعلى

تم تأسيسه في أواخر عهد بورقيبة وهو متكوّن من مجموعة من الشخصيّات ذات العلاقة بالشأن الديني كالقضاة والمدرّسين. فقد روى لي الشيخ محيي الدين قادي رحمه الله أن الزعيم لمّا استقبلهم رافعا عكازه أعلمهم بأنّه أنشأ المجلس بقصد مقاومة الإخوانجية. بعد تغيير السابع من نوفمبر أرادت القيادة استغلال المجلس في الانفتاح الذي عرفته البلاد أيامها فعيّنت عبد الفتاح مورو عضوا فيه، إلا أنّ السلطة لم تنظر بعين الرضا للحملة التي شنّها المجلس على الصور المتسلسلة ليوسف الصديق وتكفيره فاتجهت إلى حصر دوره في مراقبة المصاحف التي يقع ترويجها وفي إصدار مجلة "الهداية" فقط، بعد أن وضعت حركة النهضة يدها عليه سنة 2011 غيّرت تركيبته فدخله حتى الذين حوكموا في قضايا إرهابية ولتصبح مجلة الهداية مجلة وهابيّة بامتياز. في ما عدا ما ذُكر لم نعرف للمجلس نشاطا سوى البيانات السياسيّة المناصرة لحزب حركة النهضة، وقد وصل الأمر برئيسه السابق عبد الله الأوصيف إلى مطالبة الإذاعة الوطنيّة بالتوقف عن بث برنامج ليوسف الصديق وهو أمر دفع برئيس الحكومة الحبيب الصيد إلى عزل رئيس المجلس. اليوم والوضع على ما هو عليه ليس هناك أيّة فائدة في الإبقاء على مجلس لم يتمكّن لخلل في تكوينه ولعجزه عن القيام بأيّة مهمّة من المهام القليلة المناطة بعهدته منذ إنشائه مكتفيا بدور المساند الرسمي لحركة النهضة مساندة عمياء.

إذاعة الزيتونة

تأسّست في ظروف مريبة أيام كان البعض يعدّ صخر الماطري لخلافة الرئيس الأسبق. ومن الجدير بالملاحظة أن تسميتها والبنك بالزيتونة لا يقصد به الزيتونة التاريخيّة مثلما قد يتبادر إلى الذهن بل شجرات الزيتون التي جلبت من إسبانيا وزرعت في واجهة بناية البنك وهو ما صرّح به كمال عمران نفسه في جريدة "الصباح". وقد أرسل الغنوشي إلى صخر برقية تهنئة بالإذاعة علنا وبالبنك والخلافة ضمنا. بعد سنة 2011 استحوذت الحركة على الإذاعة وعيّنت فيها أعوانها وعلى رأسهم مديرها في ذلك الوقت جمال الطاهر الذي كان مقيما في كندا وسبق له أن كتب في مجلات حزب الحركة في الخارج كالمتوسط مثلا، وحتى مديرها الحالي هيثم الإمام نهضوي وقد ثبت ذلك من خلال النشاطات التي يقوم بها داعية كما تصفه الحركة وهو أمر يحتاج إلى شيء من التمعّن إذ لا يعقل أن يسمّى على رأس مؤسّسة إعلامية شخص أدّى يمين البيعة والولاء للغنوشي كالذي ذكر أو كزهير القمبري في إذاعة حنبعل. ومن عجائب التسيير أن تنتقل هذه الإذاعة من محلّها القديم وتستقرّ في الإذاعة الوطنية بلافايات حيث تمّ تمكينها من أستوديو للبث المباشر. والمتأمل في برامج هذه الإذاعة يلحظ أنها لا تتميّز عن غيرها من الإذاعات الأخرى في ما يخصّ البرامج الدينية، ولسائل أن يتساءل ما الفائدة من هذه الجرعة الإخوانية الزائدة في وسائل الإعلام؟.

وزارة الشؤون الدينيّة

كانت في بدايتها إدارة عامة تقوم بنفس المهام التي تقوم بها الوزارة الآن أي الإشراف على المساجد والحج إلى جانب إصدارها مجلة "الهداية". إلا أن سوء التقدير السياسي بعد تغيير السابع من نوفمبر وفي إطار سياسة سحب البساط أحدثت وزارة للشؤون الدينيّة ولكن بمهام إدارة عامّة بعد سحب مجلة "الهداية" منها وإسنادها إلى المجلس الإسلامي الأعلى حتى يوجدوا له سبّبا للبقاء وشغلا. بعد أحداث 2011 وبعد أن عُيّن نور الدين الخادمي وزيرا وباتفاق مع حركته صنع أمرا أصبحت فيه وزارة الشؤون الدينيّة هيكلا إداريا ضخما يشبه في تنظيمه حركة النهضة. ظهر ذلك في الأمرين عدد 4522 المؤرّخ في 12 نوفمبر 2013 في عهد علي العريض (الرائد الرسمي عدد 92 بتاريخ 19 نوفمبر2013) وعدد 534 المؤرّخ في 29 جوان 2021 في عهد المشيشي (الرائد الرسمي عدد 60 بتاريخ 16 جويلية 2021). نصّ هذان الأمران على إحداث هيئة عليا جاء في الفصل الثاني في تعريفها: "هي هيكل استشاري يساعد الوزير على دراسة جميع المسائل التي يرى فائدة في عرضها عليها... وتجتمع الهيئة العليا بوزارة الشؤون الدينيّة بطلب من الوزير وتحت رئاسته وتتركب من... وأي شخص آخر يعتبر رئيس الهيئة مشاركته مفيدة"، لتستفرد هذه الوزارة من بين الوزارات جميعها بإحداث مجلس شورى على غرار حركة النهضة وتصبح بذلك هذه الهيئة صاحبة الرأي الأوحد في كلّ ما يهمّ الشأن الديني خطابا ومؤسّسات. والخطورة كلّ الخطورة في بقاء هذا المرفق العمومي سائبا دون وضع ضوابط ليتمكن بذلك الوزير من تحديد مضامين الخطب الجُمُعِيّة وتعيين الأئمة والمرافقين في الحجّ وغير ذلك دون حسيب أو رقيب طالما أنّ الشأن الديني يتصرّف فيه لوحده ولا معقّب لقراراته وهو ما حدث في الفترة التي تلت انتخابات 23 أكتوبر، وحتى تتمّ السيطرة التامة على الشأن الديني وتوقّيا من تعيين وزير آخر له رؤية مغايرة لِما عليه حزب حركة النهضة تمّ تقييده بإحداث هياكل ما أنزل الله بها من سلطان عُيّن فيها منتسبو الحركة حتى تصبح عملية إعادة النظر في مهام الوزارة صعبة من ذلك إحداث إدارة عامة للقرآن والحال أنّ التراخيص تسند من طرف المجلس الإسلامي الأعلى أو إحداث إدارات جهويّة أو إدارة عامة للإطارات المسجديّة والحال أن أغلب من سمّاهم الخادمي إطارات هم من المتقاعدين أو من ذوي المستويات التعليمية المتدنية ممّن يأخذون منحا عن الأذان أو الإمامة وغيرهما، إنّ تضخيم الهيكل الإداري لا تقتضيه المهام التي كلفت بها الوزارة وهي المهام التي كانت تقوم بها إدارة عامة في عهد المرحوم مصطفى كمال التارزي بكامل الكفاءة بل هو لاستيعاب أكبر عدد من مناصري الحركة من العاطلين عن العمل ومن جماعة العفو التشريعي العام لأنهم يصلحون وقت الحاجة في الانتخابات وفي المظاهرات وفي الوقفات الاحتجاجيّة لجبهة الخلاص وحتى لغيرها، بحيث يصحّ القول بأنّ وزارة الشؤون الدينيّة ليست في حقيقتها ووفق قانونها الأساسي الحالي إلا حركة نهضة موازية حيث التشابه الكامل في كلّ شيء فهيئة عليا في الوزارة يقابلها مجلس شورى وإدارات جهويّة تقابلها المناطق والجهات والفروع وما يفوق الخمسة آلاف مسجد وجامع تقابلها خلايا حزب الحركة بجانب الإدارات العامة والمركزية والمصالح وغيرها ممّا يجعل هيكل هذه الوزارة من أضخم الهياكل في الدولة دون أن يكون له مردود لا في تنفيذ سياستها لأن الوزارة بما هي عليه هي في خدمة حركة النهضة وليس في خدمة المواطن وهو ما دفع برئيس الدولة إلى إقالة الوزير الذي لم يكمل مهامه في السعودية.

الجامعة الزيتونيّة

بعد توحيد التعليم في بداية الاستقلال أُحدثت كلية الشريعة وأصول الدين لتخريج مدرسي مادة التربية الإسلامية والأئمة إلا أنّه بعد تغيير السابع من نوفمبر وفي إطار سياسة سحب البساط أصبحت الكلية جامعة وأرسل إليها آلاف الطلبة للدراسة فيها بعد أن كانوا يعدّون بالعشرات، وكنت قد أبديت أيامها اعتراضا في مقال تحت عنوان "الجامعة الزيتونية ما الذي يمكن أن تضيف لضمير العصر؟"، نشرته في جريدة الموقف العدد 102 بتاريخ 29 سبتمبر و5 أكتوبر 1988، تحدّثت فيه عن أسباب رفضي هذه الخطوة من طرف السلطة، قلت: "فسياسيّا إن جامعة كهذه لن تكون إلا الوسيلة غير المنظورة للإبقاء على الاتجاهات الأصوليّة والإبقاء على إيديولوجيّتها، فخطأ الناصريّة أنها حاولت القضاء على الحركة فدمّرتها غير أنّها

من ناحية أخرى عملت على المحافظة على فكرها عن طريق دعم الأزهر ومؤسّساته، فهل يمكن القضاء على اتجاه أو تحييده دون تخريب بناه الفكرية وتدمير إيديولوجيّته؟.

وثقافيّا مساهمة هذه الكلية/الجامعة في حياتنا الفكرية جدّ متواضعة ومحدودة فهي غارقة في قضايا ومسائل لا يمكن أن تضيف إلى ضمير العصر شيئا هذا فضلا عن معاداتها البدائيّة الجاهلة لكلّ المذاهب والمناهج القديمة والحديثة منها على حدّ سواء، والمتأمّل في ذلك السيل الجارف من الأطاريح التي نوقشت في السنوات الأخيرة يلحظ بكلّ جلاء غربة هذه الكلية وانفصالها عن عصرها...

ليس لنا أن نختم هذا المقال إلا بالتأكيد على نقطتين:

* هذه الجامعة ولدت كسيحة وما بعثها إلا محاولة لإحياء جسد حُنّط وشبع تحنيطا فالعصر اليوم عصر التكنولوجيا والمعارف العلمية والمخابر وهي أدوات التغيير والنهضة والإشعاع أمّا المعارف الدينيّة فيمكن أن تُستغل لتبرير حدث ما أما أن تكون أداته فذلك ما ننفيه تماما.

* إن قيام السلطة بالعديد من الإجراءات التي تعتقد أنّها كفيلة بالحدّ من تأثير الحركات التي سيّست الدين ومحاولتها في هذا الإطار إعادة المصالحة بين الدولة والمجتمع ثقافيّا لا يمكن أن تؤدي إلا إلى نتائج عكسيّة"، وقد أثبتت الأيام فيما بعد أنّ هذه الكلية التي أصبحت جامعة صارت بعد أحداث سنة 2011 مدرسة حزبيّة تابعة لحركة النهضة، فمدرّسوها أغلبهم ينتسبون إليها، يظهر ذلك من خلال قيادتهم للتجمّعات والندوات التي تعقد لصالح حزبهم المذكور ويظهر ذلك من خلال إمضاءاتهم على العرائض المناهضة لكلّ تقدّم أو اتجاه نحو عقلنة الفعل السياسي، كلّ ذلك بجانب إسناد رتب جامعيّة وهميّة لصالح المنتسبين كما حصل مع الصحبي عتيق وعماد الحمامي وغيرهما لتمكينهم من الاندساس في الجامعة واحتلال المواقع داخلها.

سيدي الرئيس أعرض عليكم حال المؤسّسات الدينيّة الرسميّة التي أصبحت باستثناء دائرة الإفتاء تمارس أدوارا سياسيّة مباشرة لا تخطئها العين كإعداد العرائض وتنظيم التظاهرات والوقفات الاحتجاجية راجيا أن تجد رسالتي هذه عناية من طرفكم فتأذنوا بما يساعد على معالجة هذا الملف والنأي بالمؤسّسات الدينيّة الرسميّة عن التجاذبات السياسيّة.

وفي حفظ الله دمتم.

أنس الشابي

التقرير الأسبوعي لـ "التونسية للأوراق المالية" :

مجمع «وان تاك» الأكثر ديناميكية وUADH الأفضل أداء

منحى السوق

شهد مؤشر تونينداكس خلال الأسبوع الممتد من 18 الى 21 جوان 2024 تطورا راوح بين الصعود والنزول قبل أن يقفل على ارتفاع بـ 0،9 ٪ عند النقطة 9774،6. وقد أظهرت السوق منذ بداية العام صمودا محترما أمام الركود السائد ليتجاوز الارتفاع الذي سجلته الى حدود نهاية الأسبوع المذكور + 11،7 ٪.

على صعيد التداولات تميّز الأسبوع المذكور بفترة هدوء وتم تداول 36،3 مليون دينار بما مثّل معدلا يوميا بـ 9،1 ملايين دينار في ظلّ انجاز تبادلات بالكتل تعلقت بسهم مجمع وان تاك القابضة One Tech Holding وبلغ حجمها 5،1 ملايين دينار حسب الوسيط الرسمي لبورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطوّر الأسهم

- حقق سهم الشركة العالمية لتوزيع السيارات القابضة UADH أفضل أداء خلال الأسبوع المذكور مسجلا قفزة بـ 17،8 بسعر 0،530 دينار وسط حجم أموال محدود بـ 19 ألف دينار.

- كان سهم بنك الأمان AMEN BANK من أكبر الرابحين خلال الأسبوع المذكور محققا ارتفاعا بـ 7،1 ٪ بسعر 44،970 دينار وسط حجم تداولات بلغ مليون دينار.

- سجل سهم شركة سمارت تونس SMART TUNISIE أكبر تراجع شهدته سوق البورصة خلال الأسبوع المذكور بلغ 5،3 ٪ بسعر 15،050 دينار وسط حجم تبادلات لم يتجاوز 251 ألف دينار على امتداد الأسبوع.

- كان سهم مجمع وان تاك القابضة الأكثر ديناميكية خلال الأسبوع المذكور محققا ارتفاعا بـ 1،6 ٪ بسعر 8،990 دينار ومغذّيا السوق بـ 11،4 مليون دينار.

مستجدات السوق

- بيان مجلس ادارة البنك المركزي

استعرض مجلس ادارة البنك خلال اجتماعه يوم الخميس 20 جوان 2024، التطورات الاقتصادية والمالية الأخيرة على الصعيدين الدولي والوطني وآفاق التضخم على المدى المتوسط .

وسجل البنك المركزي التونسي على المستوى الوطني، ارتفاع النمو الاقتصادي بشكل معتدل، أي بنسبة 0،2 بالمائة (بحساب الانزلاق السنوي) في الربع الأول من سنة 2024.

واشارت آخر مؤشرات الظرف الاقتصادي المتاحة إلى تحسن تدريجي للنشاط خلال الربع الثاني من السنة، الذي من المنتظر ان يتدعم بفضل انتعاش نشاط القطاع الفلاحي وتعزيز أنشطة قطاع الخدمات.

وعلى صعيد آخر، تقلص العجز التجاري إلى مستوى -1.581 مليون دينار (أي 0،9 -بالمائة من إجمالي الناتج المحلي) في موفي الأشهر الخمسة الأولى من سنة 2024، مقابل -3596 مليون دينار (أي -2،3 بالمائة من إجمالي الناتج المحلي) في العام السابق.

ويعزى ذلك، بالأساس، الى استمرار انخفاض العجز التجاري (فوب-كاف) والذي بلغ 6 -413 مليون دينار (مقابل 8 -101 مليون دينار في موفي شهر ماي 2023)، مدعوما بالأداء الجيد لقطاع زيت الزيتون.

ولولا استمرار اتساع عجز الطاقة، الذي ارتفعت حصته من العجز التجاري من 57،8 بالمائة في الأشهر الخمسة الأولى من سنة 2023 إلى 77،6 بالمائة خلال نفس الفترة من 2024، لكان الميزان التجاري قد حقق فائضا حسب تقديرات البنك المركزي.

وتواصل دعم الاحتياطيات من العملة الأجنبية حيث بلغت 23620 مليون دينار (أي ما يعادل 108 أيام من التوريد) بتاريخ 19 جوان 2024 مقابل 22 728 مليون دينار (أو 98 يوما من التوريد) قبل سنة.

وعلى مستوى الأسعار عند الاستهلاك، استقرت نسبة التضخم في مستوى 7،2 بالمائة (بحساب الانزلاق السنوي) في شهر ماي 2024 مقابل 9،6 بالمائة قبل سنة.

ويعزى ذلك الى الانفراج النسبي للتضخم الأساسي (دون اعتبار المواد الغذائية الطازجة والمواد ذات الأسعار المؤطرة)، الذي بلغ 7،3 بالمائة في ماي مقابل 77،5 بالمائة في افريل وذلك على الرغم من تسارع نسق ازدياد أسعار المواد الغذائية الطازجة (10،8 بالمائة في ماي مقابل 9 ،7 بالمائة في أفريل 2024).

وتشير آفاق الأسعار عند الاستهلاك إلى انفراج تدريجي للتضخم، لكنها لا تزال محاطة بمخاطر تصاعدية، تظل نشطة على المدين القصير والمتوسط.

وتوقع البنك المركزي ان تنشأ هذه المخاطر على وجه الخصوص، جراء تصاعد الأسعار العالمية للمواد الأساسية والطاقة على خلفية تفاقم التوترات الجيوسياسية، ومن الإجهاد المائي، فضلا عن وضعية المالية العمومية خاصة في غياب تعبئة الموارد الخارجية.

واعتبر البنك المركزي أن المخاطر المحيطة بالمسار المستقبلي للتضخم تستدعي توخّي الحذر والتأني مشددا على ضرورة مواصلة دعم مسار تقارب التضخم نحو مستويات مستدامة.

اما على الصعيد الدولي فلاحظ البنك المركزي التونسي، استمرار الانفراج التدريجي لنسق تطور الأسعار عند الاستهلاك خلال الأشهر الأخيرة، وإن بوتيرة بطيئة نسبيا.

واشارت آخر التوقعات على المستوى الدولي إلى توجه بطيء للتضخم نحو النسب المستهدفة للبنوك المركزية، بالعلاقة مع الضغوط التصاعدية المسلطة من قبل أسعار المنتجات الأساسية والمواد الأولية.

وقررمجلس ادارة البنك المركزي التونسي، الإبقاء على نسبة الفائدة دون تغيير، في مستوى 8 بالمائة

- بلاغ من مجمع دليس القابضة DELICE HOLDING :

تعلم إدارة مجمع دليس القابضة أنه تمت السيطرة بسرعة على الحريق الذي شبّ ليلة الأربعاء 19 جوان بأحد مستودعات الخزن المكترات من طرف أحد فروعه الكائن بجهة سليمان وذلك بفضل تدخل السلطات المختصة وأنه تم انقاذ كل مخزون المواد الأولية في الوقت المناسب. ويهمّ مجمع دليس القابضة طمأنة كل الأطراف المتعاملة معه على صلابة ونجاعة جهاز إدارة المخاطر التابع له وتأكيده أنه لن تكون لهذا الحادث أية تداعيات على كل عملياته ولا على أدائه المالي.

إشهار

ماذا لو انتصر اليسار في فرنسا؟؟

بقلم : جيلاني الهمامي

هذا ما يتمناه الكثير من الفرنسيين ومن غير الفرنسيين الذين لطالما عانوا من حكم اليمين. وقد تحولت هذه الأمنية إلى أمل يراودهم في ضوء التطورات السريعة التي شهدتها الساحة السياسية في فرنسا وخاصة منذ أن ظهرت للوجود "الجبهة الشعبية الجديدة". وجاءت نتائج عمليات سبر الآراء الأخيرة لتعطي للجبهة نسبة نجاح مهمة لا تقل كثيرا عن نسبة نجاح الجبهة اليمينية المضادة. وكما في كل المنعرجات التاريخية الحاسمة والمعارك الكبرى – بما في ذلك المعارك الانتخابية – تنمو هذه الامنيات وتتضخم ويدنو الأمل وتتحسن نسبة الحظوظ بنسق غير معهود لا يحده هذه المرة إلا يوم 30 جوان الجاري تاريخ الاقتراع العام. ويوم الامتحان يكرم المرء أو يهان.

انتخابات سابقة لأوانها هدية لمن؟

بعد الهزيمة المدوّية التي مني بها ماكرون وحزبه LA RENAISSANCE لصالح غريمه القديم/ الجديد الحزب اليميني المتطرف المعروف "التجمع الوطني" حزب مارين لوبان الذي أصبح القوة السياسية الأولى في البلاد، سارع الرئيس الفرنسي إلى الإعلان عن حل "الجمعية الوطنية" وبالتالي الذهاب إلى انتخابات تشريعية سابقة لأوانها. ولم تمرّ هذه الحركة دون أن تثير استغراب البعض وتفتح المجال لجدل واسع في الأوساط السياسية الفرنسية وحتى خارج فرنسا.

البعض يرى أن هذا القرار كان جاهزا وتم طبخه طي الكتمان في قصر "الإليزيه" من مدة بناء على توقعات بخصوص نتائج انتخابات 9 جوان الماضي. في هذا الصدد كشف صحافيون من جريدة "لوموند" LE MONDE النقاب عن المشاورات التي تمت لاتخاذ هذا القرار والشخصيات الضالعة فيه (1). البعض الآخر اعتبر أن ماكرون قام بمجازفة، ثقة منه في قدرته على الفوز في مثل هذه المناورات وقلب الأوضاع لصالحه مثلما حصل في السابق مرتين على التوالي في الانتخابات الرئاسية وأسوة بما حصل في تاريخ فرنسا. ونذكر هنا ببعض المرات التي كلما أعلن فيها الرئيس عن حل البرلمان إلا وكسب الانتخابات التشريعية وعزز أغلبيته البرلمانية ليحكم في شيء من الاريحية. نذكر من ذلك قرار شارل دي غول سنة 1962 وسنة 1968 بحل البرلمان وفوزه بالانتخابات التشريعية. كما نُذكّر بقرار فرنسوا ميتران حل البرلمان وتنظيم انتخابات تشريعية سابقة لأوانها والفوز فيها سنتي 1981 و1988. ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى القول إن الرجل أعد خطته بشكل مبكر اعتقادا منه أن الأمور ستسير لصالحه إذا لم يحصل طارئ في الاثناء.

لكن ما كل مرّة تسلم الجرّة في رأي البعض الآخر الذي اعتبر أن قراره كان قرارا انتحاريا ومخاطرة كبيرة ستكلفه ما لم يكن له في الحسبان علاوة على أن هذا القرار هو بمثابة تقديم هدية مجانية لليمين المتطرّف. ويستند أصحاب هذا الرأي إلى التوقّعات التي تكشف عنها عمليات سبر الآراء الصادرة هذه الأيام والتي تذهب إلى حصر الصراع بين اليمين المتطرف ممثلا في حزب لوبان وبعض حلفائه (حزب الجمهوريين وبعض القيادات في حزب "الاسترداد" LA RECONQUÊTE بزعامة العنصري إيريك زمور) من جهة والتحالف الجديد، المفاجئة التي لا أحد كان ينتظر حصولها بمثل هذه السرعة وهي "الجبهة الشعبية الجديدة" بقيادة حزب "فرنسا الأبيّة".

أمام الفرنسيين أن يختاروا بين وبين

هكذا يبدو المشهد فعلا، ينحصر فيه الصراع بين اليمين المتطرف وجبهة اليسار. وليس في الامر من غرابة فطبيعة المعركة تقابل بالضرورة قوى اليمين ممثل الطغم الرأسمالية والاحتكارات وأباطرة السمسرة والاستغلال والقهر باليسار ممثل قوى العمل وسائر الكادحين وحتى الفئات الوسطى وفي كلمة، الجماهير الشعبية. واقع الحال في فرنسا اليوم أعاد وضع المعركة نسبيا في نصابها وأزاح جانبا المفارقة اللاتاريخية التي كان الصراع يجري بمقتضاها بين اليمين واليمين.

فالمعركة الانتخابية في فرنسا وهي أول مواجهة سياسية من هذا الحجم تجري في عنوانها العام بين اليمين المحافظ والشوفيني والمتطرف الغارق في الرجعية من جهة و"الجبهة الشعبية الجديدة" ذات التوجه اليساري من جهة ثانية. وبعبارة أخرى تجري المواجهة بين برنامج "التجمع الوطني" اليميني وبين البرنامج النقيض الذي أعلنت عنه "الجبهة الشعبية الجديدة".

ورغم أن اليمين المتطرف لم يكشف بعد عن تفاصيل برنامجه الانتخابي واستمر في اللعب على عامل الغموض والإيحاء بإمكانية التنازل عن بعض مواقفه بما في ذلك "المبادئ الصلبة في المسائل الجوهرية"، وينبغي انتظار يوم الاثنين 24 جوان جاري للاطلاع على تفاصيله، رغم كل ذلك فإن الإجراءات التي أعلن عنها رئيسه (المرشح لرئاسة الحكومة في صورة فوزه بالانتخابات) جوردان باردیلا JORDAN BARDELLA تصبُّ في صالح أصحاب رأس المال وتسعى إلى معالجة أزمة البرجوازية الكبيرة الفرنسية والاحتكارات المرتبطة بها. من هذه الإجراءات إعفاء مساهمات أرباب العمل LA PART PATRONALE بنسبة تصل إلى 10 % على أن تتحمل الدولة الفارق الناجم عن انخفاض الإيرادات وخوصصة مؤسسات البث السمعي والبصري العمومية وتحويل الضريبة على الثروة العقارية إلى ضريبة على الثروة المالية. ومازال من غير الواضح ما سيكون موقفه من برنامج إصلاح التقاعد. وعلى العكس من اعتزامه التخفيض في نسبة الضريبة على القيمة المضافة إلى 5.5 % بالنسبة للوقود والكهرباء والغاز فإنه لم ينبس ببنت شفة بالنسبة إلى نفس الاجراء في شأن مواد الاستهلاك الضرورية. وبطبيعة الحال لا يمكن أن ننسى ترسانة الإجراءات العنصرية المعروفة التي لوّح باتخاذها من قبل مثل إلغاء حق الولادة (DROIT DU SOL) وحصر حق التمتع بالمنح العائلية والمساكن الاجتماعية في الفرنسيين الأصليين فقط ومنع الوظائف في الإدارات والمؤسسات العامة على الأشخاص حاملي جنسية أخرى غير الجنسية الفرنسية إلى جانب سلسلة من الإجراءات التي تتعلق بالمدرسة واللباس في الوسط المدرسي وسلسلة أخرى تتعلق بالموقف من الاتحاد الأوروبي وبدائله في هذا الشأن والتي تتجه كلها نحو الانفصال والعودة إلى التقوقع "القومي" وتشديد الأمن والحماية حول الحدود "الوطنية" والحد من حرية التنقل بالنسبة للبشر الخ...

هذه الإجراءات التي يحاول باردیلا في كثير من الأحيان التهرب من الدفاع عنها بشكل صريح بل يذهب أحيانا إلى الإيحاء بإعادة النظر فيها، تبقى وستبقى جوهر برنامج "التجمع" العنصري المتطرف الذي وكما قال فيليب أوليفيي PHILIPPE OLIVIER المستشار الخاص لدى مارين لوبان "لم نتخل عن أي شيء" (ON A RENONCÉ À RIEN).

في المقابل من ذلك تتقدم "الجبهة الشعبية الجديدة" والتي تجمع أهم مكونات "اليسار" التقليدي الفرنسي (اليسار الإصلاحي) وهي الحزب الاشتراكي وحركة فرنسا الابية والخضر والحزب الشيوعي الفرنسي، ببرنامج على طرفي نقيض مما تم استعراضه أعلاه. ويتضمن هذا البرنامج حزم من الإجراءات موزعة على آجال مختلفة. ففي صورة نجاحها فإنها تعتزم اتخاذ سلسلة من الإجراءات في بحر 15 يوما الأولى من حكمها وسلسلة أخرى في الـ 100 يوم وأخرى في السنوات الأولى من حكمها تحت عنوان "التغييرات" المزمع القيام بها في فرنسا.

ويمكن تلخيص هذا البرنامج الذي يُنصح بالاطلاع عليه بكامل تفاصيله، (2) في ما جاء في أول فقرة وردت بعد التوطئة "لحكومة الجبهة الشعبية الجديدة بمجرد تنصيبها أولوية واحدة هي: الاستجابة للأوضاع المستعجلة التي أضرت بحياة الشعب الفرنسي وثقته. سنضع حدا للوحشية وسوء المعاملة في سنوات ماكرون. سنعتمد على الفور 20 عملا للقطيعة مع الماضي وللاستجابة لحالة الطوارئ الاجتماعية، وتحدي المناخ، وإصلاح الخدمات العامة، ومسار التهدئة في فرنسا وحول العالم. بحيث تتغير الحياة ابتداء من صيف عام 2024".

ضمن هذه الرؤية وهذا البرنامج وردت تفاصيل الإجراءات الاقتصادية والاجتماعية الملحّة مثل الترفيع في الأجر الأدنى الصّافي إلى 1600 أورو والترفيع بنسبة 10 % في بقية أصناف الأجور وتجميد الأسعار وإلغاء الإجراءات التي اتخذها ماكرون فيما يتعلق بإصلاح نظام التقاعد وإجراءات مماثلة تهم الفلاحين وتوزيع المياه على الأنشطة الاقتصادية المختلفة وأخرى تتعلق بإصلاح الخدمات العمومية والسكن ودفع عملية خلق مواطن الشغل والشروع في استخدام "شرطة الجوار" في إطار مقاربة عامة للتهدئة في فرنسا.

هذه نبذة موجزة من البرامج المقدمة من الطرفين الأبرز في السباق الانتخابي يوم الأحد القادم. وقد أعطتنا استطلاعات الراي في فرنسا فكرة عن أثر هذه البرامج في الرأي العام الفرنسي حيث تشير مختلف مؤسسات سبر الآراء إلى تقارب حظوظ الطرفين أي أقصى اليمين بحوالي 35 % والجبهة الشعبية بحوالي 30 % فيما يتراجع ماكرون إلى أقل من 20 %. وعلينا أن نتابع تطورات تفاعل النّاخب الفرنسي حتى ساعة الإعلان عن نتائج اقتراع يوم الاحد القادم. ويستشف حتى الان من منحى التفاعل تحسن صدى برنامج اليسار ولو بشكل طفيف وتراجع أصداء برامج معسكر ماكرون وأطراف أخرى من أقصى اليمين (حزب أريك زمور). وتظل الأماني والآمال في انتعاش غير منقطع عسى أن تمنحنا فرنسا بؤرة ضوء أخرى في مشهد أوروبي قاتم يبعث على الخوف.

ماذا لو انتصر اليسار إذن

قضت فرنسا سنوات طويلة تحت ربقة اليمين مجبرة على الاختيار بين الطاعون والكوليرا. فإما الشعبوي اليميني الرجعي ماكرون وإما أقصى اليمين الفاشستي ومارين لوبان. واليوم هي أمام حالة من نوع آخر يمكنها الاختيار بين السيء والايجابي. فكما جاء في توطئة برنامج "الجبهة الشعبية الجديدة" فإن الفرنسيات والفرنسيين باختيارهم للجبهة "سيكتبون صفحة جديدة من تاريخ فرنسا".

نعم إن تاريخ فرنسا بشكل عام فيه ما فيه من المآسي والظلم والاستعمار وكل صنوف القهر ولكنها تبقى مع ذلك من أكثر البلدان، إن لم تكن حقا أكثر بلد، استنهض في كل مرة العالم وأشار عليه بالإشارة الدّالة إلى طريق الصواب. ففرنسا مهد الثورة البرجوازية في نسختها الأكثر تقدمية وثورية هي بلد عمال باريس الذين "انقضوا على السماء" كما قال كارل ماركس ورسموا طريق خلاص المجتمع الإنساني المعاصر وبلوروا نموذج دولة العصور القادمة، تبدو اليوم كأنما يرشحها التاريخ مرة أخرى لتشير على أوروبا وبقية شعوب العالم الإشارة الدالة إلى طريق الصواب، طريق صد طاعون اليمين بكل مشتقاته.

هوامش

1 – أنظر جريدة لوموند LE MONDE بتاريخ 15 جوان 2024، على الرابط التالي COMMENT LA DÉCISION DE DISSOUDRE L'ASSEMBLÉE NATIONALE A-T-ELLE ÉTÉ PRISE ? COMPRENDRE EN TROIS MINUTES (LEMONDE.FR)

2 – البرنامج الكامل "للجبهة الشعبية الجديدة" في فرنسا، أنظر الرابط التالي:

LE PROGRAMME DU NOUVEAU FRONT POPULAIRE – LA FRANCE INSOUMISE

الوحدة المغاربيّة بين المنشود والموجود

بقلم : منصف سلطاني - أستاذ وباحث في التاريخ المعاصر

يزخر المجال المغاربي بكمّ كبير من الإمكانيات الاقتصاديّة التي يمكن أن تساعده على بناء تكتل إقليمي مثل البعض من التكتلات الإقليمية في العالم مثل الاتحاد الأوروبي خاصة.

وتبدو فكرة الوحدة المغاربية ظاهريا شبيهة بفكرة « القوميّة العربيّة» التّي ظهرت خلال القرن العشرين، ودعا عديد المفكرين مثل شكيب أرسلان وساطع الحصري وميشال عفلق. وظلّت هذه الفكرة لا صلة لها في أرض الواقع لأسباب متعددة. لكن الوحدة المغاربيّة يمكن أن تكون مجسّدة على أرض الواقع لاعتبارات كثيرة. والمتأمل في التاريخ يلاحظ أنّ هذه الفكرة تراود المغاربيين منذ فترة الأربعينات بعد تأسيس جامعة دول العربية حين تمّ تأسس مكتب المغرب العربي بالقاهرة في شهر فيفري 1947 وأسندت رئاسة المؤتمر الشرفية لعبد الرحمان عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية وكان هدف مكتب المغرب العربي التعاون بين الأقطار المغاربية الثلاثة المحتّلة على تحرير أوطانهم من الاستعمار والمطالبة بالاستقلال.

تمتلك دول المغرب العربي مقوّمات اقتصاديّة وثقافية وجغرافية ولغوية وتاريخية يمكن أن تجعل منها من أهّم قوى العالم شرط أن تجد أرضيّة ملائمة لتبلور مشروع الوحدة.

تتشابه دول المغرب العربي من الناحية الطبيعيّة في التضاريس والمناخ، وتتميّز بموقع استراتيجي إذ تطل هذه الدول على البحر الأبيض المتوسط الذّي يحدها من جهة الشمال. كما يتميّز المغرب العربي أيضا بقربه من دول الاتحاد الأوروبي. وتطلّ دولتا المغرب الأقصى وموريتانيا على المحيط الأطلسي. ويتوسط المغرب العربي قارّتي إفريقيّا وأوروبا. ويعدّ هذا الموقع بمثابة ثروة هامة إذ لا يفصل بين أقطاره أي حاجز طبيعي.

إضافة إلى ما تقدم تعدّ هذه الدول نقطة عبور هامة إلى دول القارّة الإفريقيّة. وتشترك هذه الأقطار أيضا في وحدة التضاريس، حيث تعتبر التضاريس عاملا مشتركا بين الدول المغاربيّة، إذ تشترك كل من تونس والجزائر والمغرب في وجود سلسلتين جبليّتين هما الأطلس التلّي والأطلس الصحراوي تفصل بينهما السهول الداخليّة الساحليّة في المغرب الأقصى والسهول العليا في الجزائر والسهول الشمّالية في تونس. أمّا ليبيا وموريتانيا فهما دولتان صحراويتان بالأساس.

لا تتشابه الأقطار المغاربيّة في وحدة التضاريس بل تشترك أيضا في عديد المقوّمات الطبيعيّة الأخرى لعلّ أبرزها المناخ. فهو يجمع بين المناخين الرطب والجاف حيث تتسم مناطقه الجنوبيّة بمناخ جاف تقلّ فيه كميّة التساقطات في أغلب الأحيان عن 200 مم سنويّا. أمّا مناطقه الشماليّة فيتميّز أغلبها بمناخ رطب.

كما يجمع بين أقطار المغرب العربي تاريخ مشترك حيث شهدت المنطقة منذ العصر القديم توطن العديد من الغزاة كالفينيقيين والرومان والوندال والبيزنطيين والعرب والإسبان والأتراك والفرنسيين.

وهكذا يمكن القول إنّ فكرة وحدة المغرب العربي متجذرة في التاريخ وليست وليدة القرن العشرين لكنها فكرة مجرّدة ظلّت بعيدة عن أرض الواقع. ففي العصر الوسيط كان المغرب العربي يعدّ منطقة تابعة للإمبراطوريّة الأمويّة ثم العبّاسيّة بل إنّ مجال المغرب العربي في العهد الأغلبي كان ولاية واحدة عاصمتها السياسيّة « القيروان».

إضافة إلى ما سبق تشترك العناصر البشريّة في دول المغرب العربي في الأصول العرقية إذ تتكون من بربر (السكان الأصليون للمنطقة) وعرب (الوافدون من شبه الجزيرة العربيّة) وتجمع بين هذه الأصول العرقيّة عديد المقوّمات المشتركة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والتقاليد.

شهد المغرب العربي خلال الفترة المعاصرة عديد الأزمات السياسيّة بين بعض أقطاره. وقد أدّت هذه الأزمات إلى قطع العلاقات الديبلوماسيّة بين البلدان المغاربيّة من ذلك يمكن ذكر قضيّة الصحراء الغربيّة التي ساهمت في تعكر العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى في مناسبات متعددة.

وللتذكير فإنّ الصحراء الغربيّة كانت مستعمرة إسبانيّة قبل توقيع معاهدة مدريد في 14 نوفمبر 1975. وشهدت بروز حركات سياسيّة محليّة مناهضة للاستعمار منذ ستينات القرن العشرين. وتنقسم هذه الحركات إلى شقين، شق موال للمغرب الأقصى مثل «حركة الطليعة» وشقّ ثان موال لموريتانيا.

أمّا الشق الثالث فقد نادى بقيام دولة صحراوية مستقلة. وفي هذا السيّاق تأسست جبهة البوليساريو (الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب) في ماي 1973 التي رفعت شعار الاستقلال واتبعت النضال المسلح للتحرّر من الاستعمار الإسبّاني.

نصّت اتفاقية مدريد الموقعة يوم 14 نوفمبر 1975 بين إسبانيّا والمغرب وموريتانيا على تسليم الصحراء الغربيّة لدولتي المغرب وموريتانيا وعلى منح منطقة وادي الذهب في الجنوب لموريتانيا ومنطقة وادي الساقية الحمراء في الشمال للمغرب. ورفضت الجزائر وجبهة البوليساريو اتفاقية مدريد واعتبرتاها «مؤامرة» على الصحراويين.

تسببت اتفاقية مدريد في اندلاع صراعات مسلحة بين جبهة البوليساريو والمغرب وموريتانيا بعد إمضاء المغرب وموريتانيا اتفاقية لتقسيم الصحراء الغربيّة. ولقيت جبهة البوليساريو دعما من الجزائر وليبيا وبعض الأنظمة الشيوعيّة في العالم.

شهدت دولة موريتانيا انقلابا عسكريا يوم 10 جويلية 1978 أسقط نظام المختار ولد داده أول رئيس للبلاد، وسارعت بعد ذلك إلى توقيع معاهدة سلام مع جبهة البوليساريو في الجزائر يوم 5 أوت 1979 وانسحبت بعدها من منطقة وادي الذهب.

هكذا يمكن القول إنّ أزمة ملف الصحراء الغربيّة كانت عائقا أمام بناء مشروع الوحدة المغاربية حيث تسببت هذه الأزمة في توتر العلاقات بين الدول المغاربيّة، انطلق بقطع العلاقات الديبلوماسيّة بين دولتي الجزائر والمغرب خاصة بعد اعتراف الجزائر بالجمهورية العربية الصحراوية بل إنّ المغرب الأقصى سحب عضويته من بعض المنظمات الإقليميّة بسبب هذا الملف مثل انسحابه من منظمة الوحدة الافريقية يوم 12 نوفمبر 1984 كرد فعل على منح العضويّة في هذه المنظمة للجمهورية العربيّة الصحراوية.

أمّا الأزمة المغاربية الثانيّة فتتمثل في فشل اتفاقية الوحدة بين ليبيا وتونس في إطار « الجمهورية العربيّة الإسلاميّة». وجاء مشروع الوحدة في إطار تمسك العقيد معمر القذافي بأحلامه الثوريّة الوحدوية تأثرا بالزعيم المصري جمال عبد الناصر الذي تمكّن سنة 1958 من تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا في إطار دولة واحدة سميّت ب»الجمهورية العربيّة المتّحدة». واستمرّت هذه الدولة ثلاث سنوات لتنتهي سنة 1961 إثر انقلاب عسكري في سوريا ضدّ نظام شكري القوتلي.

وما يثير الحيرة في هذا السيّاق هو التساؤل الآتي « ما الذي غيّر موقف الزعيم الحبيب بورقيبة من الوحدة واعتبارها فكرة طوباوية إلى القبول بمشروع «الجمهوريّة العربيّة الإسلاميّة» بجربة؟ فالمعلوم أنّ الرئيس الحبيب بورقيبة رفض الوحدة في خطاب البلماريوم الشهير سنة 1972 وسخر من أفكار العقيد معمر القذافي التي بدت بعيدة كل البعد عن أرض الواقع.

ضمن هذا السيّاق أكدّ عديد السياسيين التونسيين الذّين عاصروا الرّئيس الحبيب بورقيبة أنّ إعلان الوحدة بين تونس وليبيا كان مجرّد مؤامرة تم جرّ بورقيبة إليها من بعض المحيطين به في القصر عند غياب الوزير الأول الهادي نويرة حينما كان في زيارة عمل إلى طهران.

قرّر الزعيم الحبيب بورقيبة بعد نقاش طويل مع وزيره الأول التراجع عن مشروع الوحدة بين البلدين. ولم يتمكن العقيد معمر القذافي من إبقاء المشروع قائما على أرض الواقع حتّى أنّه سافر إلى جنيف ليلتقي بورقيبة ويحاول اقناعه بتنفيذ ما جاء في اتفاق جربة يوم 12 جانفي 1974.

أدّى فشل مشروع الوحدة إلى توتر العلاقات الديبلوماسيّة بين تونس وليبيا وبدأ معمر القذافي في إعداد مؤامرات للإطاحة بالنظام البورقيبي لعلّ من بين هذه المؤامرات «أحداث قفصة 1980».

وتسبب ذلك في قطع العلاقات الديبلوماسية بين البلدين من 1980 إلى 1987 تاريخ تولي زين العابدين بن علي الحكم في تونس.

ظلّ حلم الوحدة المغاربيّة يراود رجال الفكر والثقافة في المغرب العربي وفي مقدمتهم الوزير والكاتب التونسي «مصطفى الفيلالي» الذي يعتبر من السياسيين العرب القلائل المدافعين عن فكرة الوحدة المغاربية اي وحدة أقطار المغرب العربي (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا). وضمن هذا السيّاق أكدّ مصطفى الفيلالي في كتابه « المغرب العربي الكبير نداء المستقبل» أنّه يمكن للكفاءات المغاربيّة أن تكون حلاّ للنهوض بالمجتمع المغاربي. ويرى مصطفى الفيلالي الذّي تولى منصب الأمين العام لاتحاد المغرب العربي بالجزائر بين 1967 و1971 أنّ الوحدة المغاربيّة تمثل الحلّ الأنجع لبناء تقدّم المجتمعات المغاربيّة سياسيّا واقتصاديا واجتماعيا.

ظلّ المفكر مصطفى الفيلالي مؤمنا بالوحدة المغاربيّة وداعيا إلى تحقيقها من أجل النهوض بالتنمية الاقتصادية والاجتماعيّة بالأقطار المغاربيّة. كما كان يدعو دائما إلى محاربة الجهل والتخلّف بالمغرب العربي وخير دليل على ذلك ما جاء في رسالة وجهها إلى العقيد معمّر القذافي قال فيها:» فلننتشل شعبنا المغاربي من طابور السفاهة والتخلّف، ونغرس بأرضنا الطيّبة الشجرة المباركة التّي أصلها ثابت وفرعها في السماء.»

ختاما يمكن القول إنّ فكرة الوحدة المغاربيّة بقيت على أرض الواقع حبرا على ورق بسبب كثرة الخلافات بين أقطار المغرب العربي، لاسيّما بين المغرب الأقصى والجزائر إضافة إلى توتر العلاقات بين ليبيا وتونس في بعض الأحيان. كما أن نشاط اتحاد المغرب العربي الذي تأسس سنة 1989 باعتباره منظمة عربية رسمية ذات طابع وحدوي بقي محدودا بمثابة نادٍ عاجز على تفعيل الصيغ الوحدوية الإقليمية سياسيا واقتصاديا مثل خلق سوق اقتصادية مشتركة بين الأقطار المغاربية.

الحاج ابراهيم روّح !

منير الفلّاح

كيف ما سمعت الناس الكل السنة هذي عندنا برشة حجيج توفاوا، ربي يرحمهم وينعمهم ،أثناء تأديتهم مناسك الحج.

وزادة سمعنا الكل بحديث "غريب"من نوع هاذم حجيج "نظاميين"وهذوكم ماهمش تابعين البعثة الرسمية! وهنا نحب نؤكد على أن هالتقسيمات موش بركة ما نتفقش معاها لكن تثير في نفسي برشة حنق على خاطر كيف التقسيمات توصل لحجاج وحاجات يولي الأمر مثير لبرشة تساؤلات...

هذا، حسب رأيي المتواضع ياسر،بديهي بقطع النظر على كل شيء:أنك تكون موافق أو رافض للحج توة أو ديمة ،تكون من نوع الي يجري للقول مشاو عن طريق وكالات أسفار لتأدية عمرة وخططوا للبقاء في الأراضي المقدسة باش يحجوا إذا يتحملوا جزء من مسؤولية الي صارلهم إلخ...هذا الكل حديث دائماً حسب رأيي غير لائق في الوقت الي فمة مواطنات ومواطنين لينا مازالوا مصيرهم مجهول!

هذا في البداية ،لكن الشيء الي زاد الوضعية تعقيدا هو "الخلطة"السريعة الإلتهاب بين المشاعر الإنسانية المشروعة لذوي الحجيج المفقودين والتصريحات الي ماعندها حتى موجب من نوع "الحج موش ساهل وهم ماتوا في بيت ربي"أو الحج من قديم الزمان فيه ظروف قاسية وفمة حتى شكون رجع لوقت الصحابة!

وزادة تصريحات وتصرفات للوزير المقال نهار الجمعة الفارطة بعد عودته من الحج.

أولا وهو مازال في السعودية عبر على فرحته وإعتزازه بالجائزة(ما تلزونيش للكذب نسيت شنوة إسمها) ولي حسب فهمي الي يحضر ويغيب تجيء تقريبا كيف جائزة حسن التنظيم ،الي أحنا في تونس ما يقدنا فيها حد...وزيد سمعت أنه إستعمل هاك الكلمة الياسر RECHERCHÉE من المعجم الديني كلمة "الخراصين" يعني بكلامنا ،نحن الجهال، الكذابين حاشاكم على الناس الي انتقدت المبالغة في التغطية المصورة لحجة الوزير!

ثانيا ومباشرة بعد ما رجع لأرض الوطن زاد على قدام وقال ما يفهم منه أنه قام بمجهود باش تصير إحاطة بكل الحجيج التوانسة ،الي بالبادج متاع الوفد الرسمي والي ماعندوش...

ثالثا وهذا معطى قار في حياتنا العامة الخلطة إكتملت بالجمهور الفايس بوكي العظيم!.. هو كيف تجيء تثبت تلقى أنو فمة مجهر خاص مسلط على الوزير المقال وهي وضعية ماجاتش هكاكة لله في سبيل الله!

السيد الوزير المقال عمل كل شيء تقريبا باش يكون "محل اهتمام"الجميع (هاني قلت إهتمام ومبدئيا ما ندخلش تحت سقف ال54) ففي صفوف منضوريه في الوزارة الأمور ما كانتش باهية وخاصة مع النقابيين ونتذكرو رده الشهير على مطالب أيمة المساجد بمنحة خاصة كيف قاللهم تنجمو تروحو ترقدو ،تونس برجالها ويقولوا أن عدد القضايا عند المحكمة الإدارية بين الموظفين والوزارة "غير مسبوق"(عادي توة باش نجيوا في هذي ونعملو أرقام متدنية ؟)،زيد عليها القضايا المرفوعة ضد صحافيات وصحافيين:محمد بوغلاب هانو عندو مدة وهو مسجون وربي يفرج عليه ويرجع لأميمتو وعائلتو وصغيراتو والصحفية منية العرفاوي الي مشات تبحث على تفاعل...

صار هذا مع الصحفيين ومنضوري وزارة الشؤون الدينية وما صار شيء!

المرة هذي وعلى خلفية العدد الغير هين من الوفيات في صفوف الحجيج والي السيد الوزير المقال قال فمة خمسة من البعثة الرسمية و"الاخرين" في صفوف الي مشاو بفيزا سياحية, حمد الله ما قالش خمسة بركة والأخرين خاطييني!

المهم توة السيد أقاله رئيس الدولة من غير لا تفسير لا والو! عيّنو قعد قرابة الثلاثة سنين CONTRE VENTS ET MARÉES وتوة أقالو!

لكن في هاك الثلاثة سنين حس نفسه INACCESSIBLE وحد ماهو قادر يقلو ستة من سبعطاش! لا برلمان يحاسب ولا غيره!

هاهي الكلمة خرجت وحدها وربي يقدر الخير: يحاسب! وزير عينو الرئيس ونحاه الرئيس!CIRCULEZ YA RIEN À VOIR !

بالنسبة للوزير المحترم المقال نهار الجمعة الفايتة،هاوكة الناس تخمن وتقول أن المسألة عندها علاقة بالحج ،باهي والمقالين والمقالات قبل؟ راهو الجماعة الي شادين الحساب يقولوا أن في عهدة الرئيس قيس سعيد ،يعني قرابة الخمسة سنين ،فمة قرابة 80 وزير ووزيرة دخلوا الحكومة منهم 3 رؤساء ورئيسة حكومة...وبرشة حسابات وأنا ماعنديش علاقة طيبة بالحساب...

زعمة شنية الفلسفة ؟بالكش يتسمى تدريب ACCELERÉ على المناصب العليا !بالكش فمة نية لتكوين بنك للناس الـMINISTRABLES ؟على ما يأتي !

أما أنا وأعوذ بالله من كلمة أنا ورغم جهلي المدقع بالحسابات نفهم شوية في لعبة الكارطة (القوايل متاع بكري والسهريات كانت تتعدى بكاس تاي وبرج دلاع وطرح شكبة وإلا رامي)،عاد في اللعبة هذيكة كان الي يحب يربح الطرح يستحفظ على "جوكاراتو"يخبيهم وساعات يضحي في وسط الطرح بتسجيل بعض النقاط باش في الآخر يعمل فرشة!

تفكرت الحكاية الغير جدية بالكل وأنا نتفكر في أسماء بعض الوزراء الهامين الي أقالهم الرئيس قيس سعيد...

يطلعشي زادة بعدهم على الأضواء قبل الإنتخابات باش يرتاحوا وباش يعمل بيهم فرشة في الوقت المناسب ؟

الحاصيلو خذوني على قد عقلي ومقدرتي على التفكير في هالطقس الحار الي أكيد تعب برشة مواطنينا ومواطناتنا الي توفاو في الحج ،ربي يرحمهم.

OFFREZ-VOUS UN SUV ROBUSTE
À 0% AUTOFINANCEMENT
TAUX PRÉFÉRENTIELS
PLEINS D'AVANTAGES CLIENTS

EN PARTENARIAT AVEC
BTK LEASING

APPELEZ-NOUS AU
70130130

AUTOMOBILES 7OUARI

في محاورة خالد الكريشي :

هل كتاب «الإسلام السياسي ...» للبحري العرفاوي مؤلّف جماعي؟

بقلم : عبد السلام الككلي

اعتبر الأستاذ خالد الكريشي في مقاله «محنة أم منحة ؟» المنشور بأسبوعية «الشارع المغاربي» يوم 11 جوان 2024 ان كتاب البحري العرفاوي « تونس محنة الإسلام السياسي أو هل كانت عشرية حمراء ؟» مؤلف جماعي لاحتوائه في صفحاته الأخيرة على أربعة نصوص للعجمي الوريمي ولزهر العكرمي وراشد الغنوشي ونص لي شخصيا بعنوان «كيف استطاع قيس سعيد ان ينفذ مشروعه السياسي دون أية مقاومة تذكر؟ 1..... ونُشر اصليا بموقع « اسطرلاب « في 7 افريل 2024. وعلى هذا الأساس يرى الكريشي انه كان على العرفاوي « تنبيه القارئ لذلك والتنصيص على غلاف الكتاب بأنه مؤلف جماعي مع ذكر اسماء أصحاب النصوص الأربعة (هكذا) الأخرى «.

كما اعتبر خالد الكريشي في ورقته ان كل هذه المقالات الاربع «تصب كلها لصالح مقاربة نص الكاتب الرئيسي تؤيدها ولا تعارضها «.

ونريد هنا ان نوضح مسألتين تتعلق الاولى بمفهوم «المؤلف الجماعي» والثانية بصلة نصنا بأغراض كتاب «الإسلام السياسي»

1)هل كتاب «الإسلام السياسي...» «مؤلف جماعي» ؟

لنتجنّب التعريفات التي قد تثير نقاشا أو جدلا سنعتمد التعريف الأكثر دقّة وموضوعية في نظرنا وهو التعريف القانوني.

فما هو المؤلّف الجماعي ؟

يرجع القانون التونسي المتعلق بالملكية الأدبية والفنية الاعمال غير الفردية الى ثلاثة أنواع2

أ) المصنف المشترك

يعتبر المصنف عملاً مشتركاً «اذا شارك في إبرازه شخصان أو عدة أشخاص وتعذر بيان نصيب كل منهم في المشروع. وتكون حقوق المؤلف فيه ملكاً مشتركاً لهؤلاء الأشخاص».

ونذكر هنا على سبيل المثال كتاب «مدخل الى نظرية الرواية « لسمير المرزوقي وجميل شكر وهو كتاب ذو طابع تعليمي وكان موجها خصيصا لطلبة الاداب.

مع العلم انه يمكن ان يكون المؤلف المشترك من انتاج كتاب بأسمائهم الحقيقية او باسم مستعار يعود لشخصين او اكثر ومن هذه المؤلفات نذكر مثلا مؤلفات محمود حسين وهو اسم مستعار لكاتبين مصريين ماركسيين معارضين يعيشان في فرنسا وهما عادل رأفت وبهجت النادي وقد لقي انتاجهما الفكري رواجا منقطع النظير في فرنسا والعالم العربي في الأوساط اليسارية خاصة.

ب)المصنّف المركّب

ويعتبر المصنف عملاً مركباً إذا اقحم فيه مصنف سبقه دون مشاركة صاحب المصنف الأول، وتكون حقوق المؤلف فيه ملكاً لمن قام بالتأليف الثاني مع مراعاة حق صاحب المصنّف الأول الذي أدرج في العمل المركب

ويمكن ان نذكر كأحد أصناف الاعمال المركبة كل الاعمال ذات الطابع البيداغوجي والمدرسي والذي يعمد فيها صاحب المصنف الثاني سواء كان ذاتا طبيعية او معنوية الى اقحام نصوص في شكل ملحق ضمن العمل ويحتوي هذا الملحق على نصوص مختارة لها صلة بموضوع الكتاب. ونذكر هنا على سبيل المثال المؤلف الشهير لعبد المجيد الشرفي « الإسلام والحداثة « إذ اقحم الشرفي في مؤلفه نصوصا مختارة لمحمد اركون وحسن حنفي وعبد العزيز جاويش ومحمد عابد الجابري عبدالرحمان الكواكبي وفرج بن رمضان.

ج)العمل الجماعي

يعتبر المصنف عملاً جماعياً اذا برز لحيز الوجود بسعي من شخص أو من ذات معنوية تتولى نشره تحت إدارتها و باسمها وكانت مشاركة مختلف المؤلفين الذين ساهموا فيه بنصوصهم مندمجة في جملة ما يهدف إليه دون أن يمكن إسناد حق منفصل لكل منهم في جملة ما تم إنجازه وترجع حقوق المؤلف إلى الشخص أو الذات المعنوية التي أذنت بإنجازه وتولت نشره ما لم يقع التنصيص على خلاف ذلك ضمن عقد مكتوب.

ويدخل في هذا المجال على مستوى البحث العلمي خاصة اعمال الندوات العلمية التي تتمحور حول موضوع او قضية مشتركة. ويساهم في هذا المؤلف الباحثون الذين قدموا مداخلاتهم ويعود حقوق التأليف للشخص او الجهة التي اذنت بإنجازه مثل ان يكون مركز بحث او كلية او معهد او استاذ مشرف. اما المشاركون فقد تدفع لهم مكافاة على مشاركتهم كما يدخل في هذا المجال الاعمال التي تهدى لباحث او عالم سواء لتكريمه في حياته او بعد وفاته وتكون عادة حول مساهمة هذا الرجل في المجال العلمي وهو ما يعرف في الاوساط الاكاديمية باسم Mélanges.

وقدتظهر المصنفات الجماعية في صور كثيرة منها مثلا الدوريات والمعاجم ودوائر المعارف، ونلاحظ هنا أن كل واحد من المؤلفين في هذا المصنف الجماعي يهتم بموضوعه دون أن يكون بين مجموع المؤلفين المشتركين في عمل المصنف الجماعي أي تبادل في الأفكار. وقد عالج المشرع المصري أيضا موضوع المصنفات الجماعية حيث نص على ان المصنف الجماعي هو المصنف الذي يشترك في وضعه جماعة بتوجيه من شخص طبيعي أو اعتباري بحيث لا يمكن فصل عمل كل من المشتركين فيه وتمييزه على حده. ويعتبر الشخص الاعتباري الذي وجه ابتكار هذا المصنف ونظمه مؤلفا ويكون له وحده الحق في مباشرة حقوق المؤلف

ومن الواضح ان عمل الأستاذ البحري العرفاوي لا يدخل باي شكل من الاشكال ضمن الصنف الأول وهو العمل المشترك اذ يتعذر في هذا الصنف تحديد نصيب كل كاتب. وتكون حقوق المؤلف فيه ملكاً مشتركاً لهؤلاء الأشخاص.

كما انه لا يدخل في ما يسمى بالمؤلفات الجماعية مثلما يعتقد خالد الكريشي وفقا للتعريف القانوي اذ عادة ما يكون المصنف الجماعي باتفاق المشاركين و بتوجيه شخص طبيعي او معنوي ليس له منه غير اعداده ونشره وادارته من اشهار وتوزيع وتدرج أسماء المؤلفين في غلاف المصنف.

بقي النوع الثالث وهو العمل المركب فهل يمكن ان ندرج الكتاب ضمن النوع الثالث ؟

بالنظر الى التعريف القانوني للعمل المركب يمكن اعتبار كتاب العرفاوي عملا مركبا اذ انه يحتوي على مجموعة نصوص بقطع النظر عن حجمها. غير ان اعتبار العمل مركبا لا يفرض على الكاتب أية إشارة في غلاف الكتاب الى النصوص المختارة اذا لم يطالبه كتّاب النصوص بذلك. وبالرجوع الى مثالنا فإن عبد المجيد الشرفي لم يشر في غلاف كتابه الى المفكرين الذين ادرج نصوصهم في ملحق الكتاب ولم يطالبه أحد على حد علمي بذلك اذ ان اعتماد الملاحق التي تحتوي على مجموعة من النصوص هي ممارسة دارجة ولها صلة عموما بالمصنفات ذات الطابع التعليمي مثلما ذكرنا مع العلم ان كتاب الشرفي « الإسلام والحداثة « هو في الأصل دروس القاها الأستاذ في معهد التكوين المستمر.

2) صلة نصّنا بكتاب «الإسلام السياسي»؟

يعتبر خالد الكريشي في مقاله ان كل النصوص المختارة ومنها نصنا « تصب كلها لصالح مقاربة نص الكاتب الرئيسي تؤيدها ولا تعارضها «.

فالعرفاوي يصل في نهاية نصه لتبني مقولة حركة النهضة / الضحية طبقا لعلم الضحية La victimologie وفق فقه الاجرام الحديث وهو القدرة على تحويل الفاعل / المجرم الى ضحية ظروف وعوامل داخلية وخارجية احدثتها الضحية نفسها ((ليس من مقاصد هذا المقال مناقشة هذا الحكم الذي يحتاج الى كلام خاص).

واذا صدقنا ان هدف العرفاوي من كتابه هو تحويل حركة النهضة من مجرم الى ضحية فإن النص الذي كتبناه لا صلة له بهذا الغرض اذ انه يتعلق في مجمله بما حدث بعد 25 جويلية 2021 وليس قبله هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كان النص يهدف أساسا الى الدعوة الى النظر في كل احداث الثورة وما آلت اليه باعتبارها فشلا جماعيا ولم استثن النهضة من ذلك بل اكدت مثلا ان من أسباب نجاح قيس سعيد في مشروعه غياب محكمة دستورية كان يمكن ان تصدر رأيها في دستورية أو عدم دستورية القرارات التي اتخذها قبل 25 جويلية وفي تلك الليلة وما بعدها. وقد ذكرت ان كل الاحزاب الممثلة في البرلمان ومنها حركة النهضة تتحمل مسؤولية هذا الامر والتي لم تنتبه الى خطورته الا مع وفاة الباجي قائد السبسي وعدم وجود مؤسسة دستورية لمعاينة الشغور النهائي. وحين أفاقت من غفوتها وحاولت الخروج من مازق انتخاب الاعضاء بالثلثين وجدت قيس سعيد يتربص لها في زاوية انتهاء الآجال فافشل محاولاتها حين رفض ختم تعديل قانون المحكمة الدستورية كما اكدت على الدور الذي لعبه البرلمان في خراب الثورة حين تحول المجلس النيابي الى حلبة صراع وشوه لدى عامة الناس صورة السلطة التشريعية ودفع كثيرا من التونسيين الى الوقوع في فخ المطالبة بحل المجلس

كما ركزت على فشل كل الحكومات المتعاقبة التي كانت النهضة طرفا فيها وربما فاعلا أساسيا في توجيهها في تحويل الديمقراطية إلى مكاسب اجتماعية يستفيد منها عموم الشعب مما جعلها اقرب إلى الرفاه والديكور الأجوف الخالي من أية منفعة في كثير من الأحيان. وفي اعتقاد كثير من التونسيين غير المعنيين عموما بمنافع الديمقراطية لعدم ارتباطها بحاجاتهم المعيشية.

في خلاصة كانت البلاد في تصورنا ضحية صراعات حزبية وسياسية جعلت الحكومات تتساقط تحت معول الحسابات السياسية وعقلية الغنيمة مما عطل عمل اجهزة الدولة. هذا هو رأينا فأين وجد الكريشي تبرئة للنهضة في كل ما قلنا او حديثا يخدم غرض العرفاوي مثلما يرى الكريشي الا اذا كان الأستاذ يجعل من الانخراط في رواية «العشرية السوداء» او في مباركة الانقلاب على الدستور بدعوى الاستجابة لمطالب الشعب شرط تمايز مع خطاب حركة النهضة لابد منه والا صرت نهضويا او تخدم أغراض النهضة او تأشيرة قبول ورضى في عالمه الحزبي والسياسي الذي ليس هذا مجال الحديث عنه !

على أننا نؤكد في الأخير على مسألة تناولناها في كثير من مقالاتنا وهو ميل جل الأحزاب والمنظمات الوطنية الى عدم تحمل نصيبها من المسؤولية عن العشرية الماضية والتي يسميها البعض سوداء ويسميها العرفاوي حمراء إذ تلقى المسؤولية على النهضة وحدها. ان هذا الميل هو مجرد تنصّل من المسؤولية السياسية والأخلاقية عما حدث وهو ما يجعل تقييم مرحلة ما بعد الثورة امرا عسيرا والذهاب الى حوار يجمع كل الطيف السياسي دون اقصاء اي طرف شبه مستحيل في الظرف الراهن. كما يبدو ان اتفاقها جزئيا او كليا على برنامج سياسي موحّد ومن ثم على مرشح توافقي عنها في الانتخابات الرئاسية القادمة امرا اشبه بالحلم الجميل وسط مناخ من الكوابيس المفزعة.

---

1 – الإسلام السياسي... ص ص 213 – 223

2 – قانون عدد 36 لسنة 1994 مؤرخ في 24 فيفري 1994 يتعلق بالملكية الأدبية والفنية

الردّ العريشي على خالد الكريشي:

...بل كانت محنة

بقلم : بحري العرفاوي

. تصدير أول: ما من تأويل لنص من النصوص إلا وفيه انعكاسٌ نفسي.
. تصدير ثان: وصفُ أيّ ناقد نفسه بالموضوعية إنما هو تأكيد لذاتيّته.
. تصدير ثالث: إنما الكتابةُ تعريش للمعني، ويقال: «عرّش الطائر أي ارتفع وظلّل بجناحيه على من تحته».

أولا: تمجيد الكتابة

نشر الأستاذ المحامي خالد الكريشي بـ «الشارع المغاربي» في العدد 410 وبتاريخ 11 جوان 2024 مقالا نقديا لكتابي :» محنة الإسلام السياسي ..أو هل كانت عشرية حمراء»، عنْوَنَه بـ :»محنة .. أم منحة؟».

مُبهجٌ جدًّا أن نجد في زمن اللامعنى وفي صخب العالم، من لم يفقد الثقة في سلطة النصّ وفي قداسة رسالة الكتابة بما هي إنتاجٌ للمعنى وتعريشٌ للأفكار والقيم، وبما هي ممارسة لفعل الوجود لكون الكتابة حالةً من التحقّق بالمعنى الوجودي وبالمعنى الديكارتي، لكون الكتابة لا تكون إلا متّحدة مع التفكير ولكون التفكير انتقالا من مرحلة الطبيعة إلى مرحلة الثقافي حيث يتبدّى الإنسان بمهابة وجوده وهيبة حضوره.

وما يزيد النص البِكرَ حُضورا هو ما يُستقبل به من تقليب وتحريك في جهد نقدي يبذله من يؤمن بالكتابة وسيلة للتواصل مع الآخرين، وأداة للتبدّي حتى «يرانا» من يقرأ أو يسمع كلماتنا، إننا نُفرغ ذواتنا بما هي أفكار وعواطف في اللغة.

فالتحية عالية للأستاذ المحامي خالد الكريشي الذي لم يكتف بقراءة كتاب من مائتين وأربعين صفحة بل كتب عنه وفيه ما رأى وما وجد، وهل «التلقّي» إلا حالةُ محاورة للنص تتجنّد فيها عناصرنا الحية من عقل وعواطف وذائقة وأهواء وأمزجة.

ثانيا: حول «الملاحظات المنهجية» الأربع

أـ استعملتُ صيغة «نحن» في ص 136 في سياق الحديث عن مرحلة التنشئة داخل «الجماعة» التي نشـأتُ فيها في مرحلة التلمذة كما نشأ فيها كثيرون غيري ممن لم يلتحقوا بالتنظيم الحركي لما سيُعرف لاحقا بالاتجاه الإسلامي ثم بحركة النهضة، لقد كانت جاذبية الأنشطة الدينية للشباب قوية يومها داخل المعاهد، وإن الكثير ممن تلقوا تنشئة داخل «الجماعة» اتخذوا مسارات أخرى سواء خارج الأحزاب أو داخل أحزاب يسارية أو عروبية أو دستورية، وهذا أمر عادي في سياق تطور «النشأة» الفكرية والنفسية للأفراد.

واستعملت صيغة «هم» في سياق الحديث عن الإسلام السياسي بما هو تنظيم حزبي لم أكن فيه.

ولا أرى في الكتابة السياسية والفكرية فصلا حدّيّا بين الموضوعية والذاتية، فالأمر مختلف عن العلوم الصحيحة التي تخضع للحتمية، فقد نكون موضوعيين جدا بدوافع ذاتية قوية، بمعنى أنّ نقدنا لحركة سياسية أو لجماعة قد يكون نقدا دقيقا ومُفَصّلا بدافع ذاتي أي بدافع الحب والغيرة والحرص على تنبيه ذاك الحزب أو تلك الجماعة لأخطائها، كما قد يكون الهدف من الموضوعية في النقد تحقيق هدف ذاتي بمعنى آخر، وهو كشف عيوب المختلفين لتحقيق التمايز عنهم خاصة حين يكون بعض النقاد ينتمون لأحزاب وجماعات أخرى منافسة أو «معادية»، ولعل هذا ما سنلاحظه في قراءة الأستاذ الكريشي لكتابي «محنة الإسلام السياسي..» وهو أمر مفهومٌ ولا يُلامُ عليه لكون العقل السياسي «ذئبويا» غالبا.

ب ـ حول عنوان الكتاب، ذكر الكريشي نصف العنوان، أي «محنة الإسلام السياسي» وغفل عن النصف الثاني وهو «...أو هل كانت عشرية حمراء»، ليلاحظ بأنّ الكاتب «اختزل» الإسلام السياسي في حركة النهضة، خلاف ما يراه هو قائلا: «إذ تحتوى منظومة الإسلام السياسي في تونس على العديد من المدارس الفكرية والسياسية والأحزاب والتنظيمات والحركات منها المدنية السلمية ومنها التكفيرية المسلحة»، ولا أعتقد أن الأستاذ الكريشي تعمد الخلط بين ما هو مدني سلمي وما هو تكفيري مسلح، إذ جمع الجميع في منظومة الإسلام السياسي، وقد تسبب خلطه هذا في سوء فهم أو سوء تأويل حين ذكر ضمن من صنفهم إسلاما سياسيا (حركة النهضة ،حزب التحرير، حزب الوحدة، تنظيم انصار الشريعة المحظور، جند الخلافة، تنظيم القاعدة، تنظيم داعش....)، وهنا يقع الكريشي في خطأ منهجي، وسيسمح لغيري باتهامه بكونه يتعمّد «التلبيس» خدمة لأهداف سياسية وحزبية، وفي كل الحالات فإن هذا «الخلط» لا يخدم الحقيقة ولا يتماشى مع سياق التناول للإسلام السياسي في تونس، وإذ خصّصتُ البحث لحركة النهضة فلكونها هي الحزب الفاعل في المشهد السياسي التونسي وهي مدار التناول في الإعلام وفي خطاب الأحزاب، وقد أشرتُ إلى هذا في ص 35 من الكتاب بالقول: «لقد ظلت حركة النهضة محور مفاعيل السياسة في تونس سواء اثناء محنة مناضليها منذ محاكمات صائفة 1981 وخريف 1987 إلى حملة الاستئصال بداية التسعينات، أو أثناء مشاركتها في المشهد السياسي بعد 14 جانفي 2011، حركة النهضة هي التي ظلت تُدار حولها كل معارك السياسة والأفكار وهي التي تُطرح حولها الأسئلة في مدى علاقتها بالثورة والديمقراطية والمدنية والسلمية ...».

تناول حركة النهضة بما هي إسلام سياسي في تونس ليس فيه استثناءٌ لغيرها ممن يرى نفسه إسلاما سياسيا من التيارات المدنية السلمية، وليس ثمة ما يدفع الأستاذ الكريشي إلى القول: «ولا أظن أن هذا من قبيل الخطأ المطبعي كذلك»، فالمطابع بما هي أجهزة بلا عاطفة لا تخطئ لا في إنتاج الأفكار ولا في رسم الحروف، فذاك من عجزنا نحن عن تحمل أخطائنا فنلقي بها على المطابع وذاك دأبُ جماعة «الجبرية» من أحفاد جهم بن صفوان مُنَظّر بني أمية.

ج ـ مرة أخرى لا أعتقد أن الأستاذ الكريشي يتعمد «التلبيس» على القارئ بوصفه الكتاب ب»مؤلف جماعي» لكونه احتوى أربعة نصوص في محوره الأخير بداية من ص 212 بعنوان «محاولات في فهم وتشخيص الأخطاء»، وهي نصوص منسوبة لأصحابها، عبد السلام الككلي والعجمي الوريمي والأزهر العكرمي وراشد الغنوشي، واختياري لتلك النصوص إنما كان لتوسيع دائرة النظر في المشهد وأيضا لاستثارة المزيد من الأسئلة والقلق لدى القارئ، وعملية التضمين تلك مُعتمدة في الكثير من المؤلفات، الأعمال الجماعية عادة يقع فيها اتفاقٌ مسبق بين المؤلفين يتقاسمون محاور الكتاب وتكون عادة المساحات متقاربة وأيضا يتحملون بالاشتراك تبعات ذاك «العمل المشترك» وخاصة إذا وقعت بعض مضامينه تحت طائلة القانون فقد يُعتبَر «وِفاقا» يحتاج محاميا قديرا «يتطوع» للدفاع عن عناصره، (وهذا التأويل لذاك التوصيف سيفتح للخيال مدارا داكنا لسوء الظن).

ـ د: يلاحظ الأستاذ الكريشي أن «صاحب النص الرئيسي» في الكتاب كان انتقائيا في تناول الأحداث وفق هدف انتصاره لحركة النهضة رغم عدم انتمائه إليها تنظيميا وإنما من باب الوفاء لانتمائه العَقَدي.

سيقول قارئ لنص الأستاذ الكريشي بأنه هو ذاته اعتمد أسلوبا انتقائيا في تناوله للكتاب بما يخدم انتماءه السياسي والعقدي معا، فالسياسي عادة هو الأقل موضوعية وهو الأكثر ذاتية وهو الأقدر على استدخال السياقات واستخراج النقيض من نقيضه، على خلاف الشعراء الذين يرتشفون حليب المعنى ويذتاقون الكلمات مرشوشة على حرير الروح لا تُغريهم شعارا السياسيين ولا تأسرهم أسوار الأحزاب ولا ثكنات الإيديولوجيا..

المؤلف ذكر في مقدمة كتابه ص 3:»لا يعنيني سوى الدفاع عن العقل ضد الزيف، وعن الحقيقة ضد التضليل، وعن المستقبل ضد مشاريع التخريب وضد خطاب اليأس».

ثالثا: في الأفكار والسياقات

الكتاب كان محاولة في تفكيك نقدي ل»كيان» حركة النهضة منذ نشأتها إلى فترات ملاحقاتها إلى «محنة» السلطة، وكان عليّ أن أكون جريئا وواضحا في قول ما يجب قوله خدمة للحقيقة، وليس قول ما يشتهيه أنصار النهضة ولا ما يريده خصومها، الكتاب فيه نقد لبدايات التنشئة في مرحلة «الجماعة» وقد كنتُ فيها، وفيه أسئلة عن علاقة الحركة بالدولة وعمن كان خصمها وعما إذا كانت تتحمل جزءا من المسؤولية في اختيارها أسلوب القطيعة مع الدولة، وعما إن كانت خضعت لاستفزازات اليسار الاستئصالي المتسلل إلى مفاصل الدولة يريدها أن تظل دائما خارج الحياة المدنية وخارج النشاط القانوني وبعيدا عن مؤسسات الدولة.

ما من كيان سياسي إلا وهو منتوج لبيئة ثقافية واجتماعية وسياسية وتربوية، والكيانات التي تشترك في تلك البيئة لن تكون في الغالب مختلفة في تصوراتها الكبرى وفي ممارساتها حتى وإن اختلفت في بعض تفاصيل خطابها أو في شعاراتها، إن بيئة الاستبداد السياسي والحيف الاجتماعي والضمور القيمي لن تنتج أحزابا ديمقراطية وسياسيين أسوياء متعافين من نوازع

التسلط ومن أساليب المكر ومن خطاب الاستعلاء والاستعداء.

أما عن تناولي لمواقف اتحاد الشغل من الحركة ومن الإسلام السياسي عموما فقد كان مستندا إلى شهادات الأمين العام السابق لاتحاد الشغل السيد حسين العباسي في كتابه «تونس والفرص المهدورة»، فقد كشف صاحبه عن الدور الذي قام به اتحاد الشغل في صناعة المشهد السياسي منذ اليوم الثاني لمغادرة بن علي البلاد، لقد كانت شهاداته صادمة حقيقة وكاشفة للكثير من الغموض، ولعل ما «أزعج» الكثير ممن اطلعوا على الكتاب من خصوم الإسلام السياسي هو ما ورد فيه من شهادات من كتب أصحابها وليس من تأليف جماعة النهضة، ولم يمنعني ذلك من محاولة البحث عن تفسير لما تجده النهضة من عدم مقبولية لدى النخب النقابية والإعلامية والجامعية والفنية، فأنا أردد دائما بان ما من خصومة إلا وهي مشتركة وبأن لكل طرف فيها نصيبا بمقدار، أوردت في الكتاب حادثة الهجوم على ساحة محمد علي يوم 04 ديسمبر 2012 وحادثة وضع الفضلات أمام بعض مقرات الاتحاد.

وأما عن الدور السيء لبعض وسائل الإعلام وعما قام به بعض «التافهين» من متصد»ري المشهد الإعلامي من تهريج وتزييف وتحريض ففقد اعتمدت شهادات وردت في كتب أصحابها، لقد كان الكثير من المنتصبين في المنابر اليومية سيئين جدا وهذا لا ينكره من يحترم عقله وذائقته رغم أني ترفعت عن التفصيل في الكارثة.

ذكرت جريمتيْ اغتيال الزعيمين شكري بلعيد ومحمد البراهمي في سياق تحليل الأزمة السياسية والاختراقات الأجنبية للبلاد بعد 2011 وارتخاء أجهزة الدولة وضعف الحكومات وحِدة الخصومات السياسية حتى فقدت البلاد هيبتها وعقلها وأصبحت ساحة للعبث والجريمة والتهريب والإرهاب، لم تكن تلك الجرائم ضد الإسلام السياسي بل ضد البلاد كلها بأحزابها ومنظماتها ونخبها وثرواتها وسيادتها الوطنية.

فشل حركة النهضة هو وجه من وجوه فشل تجربة التدرب الديمقراطي، ومحنة الإسلام السياسي هي جزء من محنة الديمقراطية، والذين يُبدون شماتة في فشل خصمهم السياسي حتى وإن كان فشله مرتبطا بإدارة الشأن العام، عليهم أن يراجعوا أنفسهم في علاقتهم بالديمقراطية وبمصالح الناس وبالوطن.

إذا كان خصوم أي سلطة منتخبة يجدون سعادة في تعطيل اقتصاد البلاد وفي منع خصمهم من تحقيق نسبة نمو تُخفف من تبعيتنا الاقتصادية، فإنهم لن يكونوا إلا في موضع الاتهام في نواياهم حتى وإن رفعوا شعارات الثورية والوطنية.

محنة الإسلام السياسي لم تكن كلها مسلطة من خارجها، بل جزء منها، وهو كثير، مصطحب منذ فترة التكوين وجزء آخر هو من إنتاجها بسبب صراعاتها الداخلية وبسبب ما كان فيها من هيمنة الطبيعة البشرية حين جعلت عددا منهم يعتقد بأن زمن «التمكين» قد حلّ فكان التعامل مع الواقع الهش بشيء من تعالي «المنتصرين»، وما من تعالٍ إلا وهو مولدٌ للكراهية وللرغبة في ردّ الاعتبار.

الكتاب، يتجاوز البحث عن «محنة الإسلام السياسي» ليبحث في محنة الديمقراطية وفي محنة القيم وفي محنة «الإنسان».

ولن يتجاوز التونسيون «محنتهم» بخروج طرف سياسي من المشهد، لأن الأزمة تتجاوز ذاك الطرف، فهي أزمة في «الذات» أي في البنية النفسية والذهنية وفي المعايير القيمية، إنها أزمة في صميم الشخصية نحتاج معها «علاماتٍ» و»منارات» لا يكونون إلا من أبناء شعبنا يطمئن إليهم الناس ويثقون بهم تماما كما «مانديلا» الذي كان أكبر من زعيم سياسي وأعظم من رئيس حركة، لقد كان «إنسانا».

إفريقيا تبحث عن لقاحات

بقلم: رفيق بوجدارية

انتظم في باريس في الأسبوع المنقضي المنتدى العالمي للسيادة اللقاحية وابتكار اللقاحات بحضور عديد البلدان ومنها تونس في شخص وزير الصحة. وخصص هذا المؤتمر مليار دولار لتسريع إنتاج اللقاحات في إفريقيا. ولئن استضافت فرنسا هذا المنتدى فإن المفوضية الأوروبية هي التي سوف تؤمن ثلاثة أرباع هذا المبلغ. وإذ يعتبر المانحون هذه الخطوة لبنة أساسية لسوق اللقاح في إفريقيا القارة التي لازالت تستورد 99% من لقاحاتها وهو أمر مفزع فإن ذلك يعري انعدام السيادة والأمن الصحي بقارة باتت اليوم في قلب الصراع الجيواستراتيجي الدولي. ومخلفات هذا المشهد عديدة أهمها التبعية والكلفة الباهظة للأدوية وعدم التكافئ أمام الأمراض وهو ما عرفته أغلب البلدان الإفريقية إبان تفشي وباء كوفيد

أمام هذا الوضع الخطير ترى مجموعة غافي (تحالف للقاحات) في هذه الندوة فرصة لدفع تصنيع اللقاحات بإفريقيا خاصة وأن القارة لازالت تعاني من أمراض انقرضت في أوروبا مثل الكوليرا والملاريا وشلل الأطفال .

وكانت جائحة كورونا قد سلطت الضوء على انعدام المساواة في الحصول على اللقاحات بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة وبالتالي على التأخير الذي حصل في تلقيح ساكنة البلدان غير الغنية عموما وفي إفريقيا بالخصوص وهو يطرح مرة أخرى مأساة عدم التكافئ أمام الحق في الصحة بما يرتقي إلى مشكلة حق الإنسان الإفريقي في الحياة..

وإذ حدد الاتحاد الإفريقي هدفا يتمثل في إنتاج 60% من حاجاته من اللقاحات في حدود سنة 2040 فإن البلدان الإفريقية ليست على نفس المستوى الصناعي بينما هي تشهد موجات كبيرة من أمراض تستوجب التلقيح كشلل الأطفال والملاريا والكوليرا وغيرها من الأمراض المستجدة والجديدة التي تهدد قارة معظم سكانها من الأطفال ومعظم اقتصاداتها ضعيفة. وهنا لابد من استراتيجيا قارية للبحث عن التمويل والتمكن من التصنيع بطرق بيوتقنية حديثة .

وإذ أصبحت مجموعة «غافي» تعمل لضمان التمويل فإنه يقع على كاهل جنوب إفريقيا وتونس والمغرب ومصر دور التصنيع لما تعرف هذه البلدان من تطور في بنيتها الصناعية ولوفرة وجودة مواردها البشرية. ولا يجب لهذه البلدان أن تدخل في سباق أو تنافس بل عليها أن تتقاسم الأدوار والاختصاصات وتبقى النجاعة مرتبطة بقدرتها على إحداث شركات ناشئة تتحالف مع شركات عالمية لتطوير البحث وتصنيع لقاحات لفائدة إفريقيا القارة التي تعاني من عديد الأمراض الجرثومية وستعاني من الأمراض الناتجة عن الشح في المياه مثل الكوليرا. كما أنه من غير المقبول حرمان الأفارقة من حقهم في الصحة وفي اللقاحات الجديدة مثل التلقيح ضد سرطان عنق الرحم ومن غير المقبول ترك جوائح تستفرد بالقارة مثل الملاريا والايبولا وغيرها من الأمراض السارية القاتلة كالتهاب السحايا وفيروسات التهاب الكبد والإنفلونزا.

إصلاح التعليم في تونس

بقلم : د. محسن الفرحاتي

انطلاقا من ملاحظات خلل نظام التعليم التونسي الذي على الرغم من صلاحيات وزارتي التربية والتعليم لتحسين الظروف المعيشية للفاعلين وتقليل التفاوتات الجهوية وتكييف التدريب مع الطلب الاجتماعي والاقتصادي، إلّا أنّ التصريحات بقيت دون متابعة، وهناك ويلات مختلفة، وارتفاع تكلفة التعليم، والبنية التحتية غير الملائمة والبطالة.

وقد يكون هذا الخلل ناتجًا أيضًا عن ضعف الدولة بعد عام 2011 وسوء الإدارة بسبب احتكار المؤسسات الخاصة وحتى العامة والموارد البشرية والمالية ومحتوى المناهج الدراسية على أساس نموذج (التعليم = دبلوم = النجاح في الحياة)، على الرغم من نصوص المناهج الدراسية التي تدافع عن النهج القائم على الكفاءات في التعليم الأساسي، وفي التعليم الثانوي عن النهج الهولوغرامي الذي يمس المنهجية والتعقيد، وتعدد التخصصات والبناء والمقاربة بالوضعيات التعلّمية.

الإشكالية

تتمحور المشكلة حول السؤال. لماذا نتعلّم؟

يهدف التعليم إلى تنمية الكليات البشرية لغرض احترافي فوري أو مباشر من خلال التدريس والتأهيل، وغرض موضوعي ذي شقين، التنشئة الاجتماعية من خلال التعليم لأجل المواطنة، وإضفاء الطابع الإنساني من خلال تعليم الثقافة والاستقلالية والثقة والبحث عن المعنى. وهذا يتطلب تعليم «الدراية بالحياة» لتعلم مهارات «العيش معًا بشكل جيد».

مشروع الإصلاح

يمسّ الإصلاح تطوير قدرات الإنسان المنجزة.

حول هذا الهدف التعليمي يُطرح سؤالان بحثيّان رئيسيّان

* كيف يطوّر المحتوى إنسانيّة فرديّة مستدامة؟
* كيف تُحشدُ الوضعيّات التعليميّة لغرض التنمية البشريّة؟

هذه الأسئلة توجّه التفكير في تحديّات النظام التعليمي لتقّدم التعليم الذي يتطلّب الحكم الرشيد الذي يجعل الدولة قويّة، ويؤسّس الديمقراطية وينشئ نظامًا تعليميًا عامّا وعادلاً ومنصفًا ومستقلًا يهدف إلى تطوير كفاءات «العيش معًا» من خلال «التعليم لأجلِ ...» والتي تعد ضروريّة.

الفرضية

نخيّر الاعتماد على محتويات المناهج الدراسية لأنها تفضّل الدخول من خلال «وضعيّات الحياة» المتعلّقة بالمعرفة التخصُّصيّة المنفتحة على الحياة من أجل التنمية البشريّة المستدامة التي تستهدف الهويّة والعاطفة والإدراك والمعاملات والأخلاق والتصورات المعرفيّة.

ما المحتوى وكيفية القيام بذلك؟

هناك حاجة إلى تنفيذ إصلاح التعليم لتحسين جودة التدريس وتلبية احتياجات الحياة استنادا إلى «التعليم لأجلِ ...» من خلال وضعيّات الحياة وتطوير كفاءات التعدّديّة والتنافسيّة.

أسئلة البحث المبنية على الإطار التعليمي للمنهج هي:

* كيف يعمل المحتوى المبني على وضعيات حياتية لتنمية شخصية المتعلم؟
* ما هي الرؤية للمنهج التربوي التي يمكن أن تكون لدى الطلاب والمعلمين من خلال هذا المحتوى؟
* ما هي الأبعاد الفردية والجماعية (السياسية والاجتماعية) والإنسانية التي يستطيعون حشدها؟
* كيف يحشد المعلم الوضعيات الحياتية للتنمية البشرية؟

1.إطار الإصلاح

1.1.المناهج التعليمية لتعليم العيش

هناك نوعان من تيارات المناهج الدراسية:

* التيار الفرنسي الأوروبي حيث يتم تراكب المناهج والبرامج التعليمية
* التيار الأنجلوسكسوني وأمريكا الشمالية حيث يتجاوز المنهجُ البرنامجَ التعليميَّ

في علم الاجتماع، المنهج هو طريقة التفكير العالمية، أمّا في السياسة التعليمية يُعتبر المنهج خطة عمل وتنظيم عملية التعليم والتعلّم حول متطلّبات الحياة، ولذلك فهي تتطلّب هامشاً من الاستقلالية التي تتطلب بدورها

أ. الدافع، مصدر أي نشاط ناجح؛

ب. توافر مصادر متنوعة لا تقتصر على المعلومات الرسمية

ج. البعد الجماعي لأن استقلاليته تعتمد على استقلالية الآخرين

أمّا في تونس

* في بداية التجربة 1995/1996، دعمت اليونيسف وزارة التربية والتعليم في تنفيذ المقاربة بالكفايات في التعليم الأساسي
* في 2000/01 بداية تعميم الإصلاح

لكنها ظلت غير فعالة لثلاثة أسباب؛ عدم الاستقلالية واحتكار المحتوى والتقسيم بين مجالات التعلم التي تظل تخصصية ومجالات الحياة.

تجدر الإشارة إلى أن تصبح مجالات الحياة هي المنظمة لمواقف التعلم حول الكفاءات الحياتية وتحل محل مجموعة المقررات الدراسية في المنهج الدراسي. ومن هنا تأتي الحاجة إلى الربط بين أساليب التعليم المنهجية والتعليمية من خلال وضعيات مجالات الحياة. إنه تعليم وضعيات الحياة في وضعيات التعلم.

1.2. التدريس من خلال وضعيات الحياة

تسمح وضعيات الحياة بالتعلم من خلالها ويتم اعتمادها في القسم بالتركيز بشكل واضح على خمسة مجالات من الحياة في مجالات التعليم العام وهي الصحة والرفاهية، والإعلام والتوجيه، وريادة الأعمال، والمواطنة والعيش المشترك، والبيئة والاستهلاك. وتتراكب هذه المجالات على المجالات السبعة «للتدريس من أجل المستقبل» وهي نظرية المعرفة(الأبستمولوجيا)، والتعقيد، والأنثروبولوجيا، والفهم، وعدم اليقين، والهوية الوطنية والأخلاق، مما يسمح بإضافة صريحة للبعد الزمكاني والأخلاق.

يسمح التعليم الظرفي أيضًا بإثارة المشكلات لأن كل وضعية تتضمن مشكلة يجب حلها، وبناء الكفاءات والتفاعل الجماعي. إنه يعمل على تفعيل الثقة بالنفس والمبادرة والتعاون والديمقراطية. فهو يربط الموضوعي بالذاتي، والتصريحات بالأفعال، والمعرفي بالعاطفي الاجتماعي. فهو يسمح بـ «الفعل» دون تدخل المُرافق.

1.3.تحويل مواقف الحياة إلى مواقف تعليمية

يبدأ ذلك من الممارسة (تجربة الحياة السياقية) نحو النظرية عن طريق إزالة السياق ثم يعود إلى الممارسة عن طريق إعادة السياق في دائرة تتطلب ديناميكية

* في كفاءة جمع واختيار الموارد
* وفي كفاءة النقل إلى مواقف أخرى مصادفة وفق دائرة التحقق التأملي

1.4. ملخص إطار الإصلاح

البحث عن إصلاح المناهج الدراسية التي تشمل التعلّم من خلال وضعيات الحياة للوصول إلى التوصيات الدولية (منظمة الصحة العالمية، اليونسكو)، لتنمية نوعين من الكفايات.

* الإجراءات المعرفية-المهارية التي تطور التأمّل، والنقد، والتخصصات المتعددة، ووضع السياق، والتعقيد، والإشكالية من أجل العمل المختص المستدام مع مراعاة الخطأ، وعدم اليقين، وعدم الاستقرار.

* الاجتماعية-العاطفية التي تنمّي الدافع والثقة والتفاهم والعدالة والوعي الأخلاقي للمشاركة المدنية المستدامة مع مراعاة التنوع البشري ودوافعه.

2. تحليل المناهج المختلفة

* مناهج مقررة تعكس السياسات التعليمية التي تعبّر عنها قوانين التوجيه.
* المنهج المحتمل: دليل علوم الحياة والأرض (2015) للسنة التاسعة أساسي.
* المنهج الذي نسميه المنهج الحقيقي المعلن والذي يعتمد على استبيانات موجّهة لطلاب ومعلمي المدارس والمعاهد الثانوية التونسية.

1.2. تحليل بالرّجوع للسياسة التربوية العمومية التونسية

* الصراع الفرنسي التونسي: نتج عنه انتصار للقضايا بعد التضحيات
* صراع الدين والحداثة: أدّى إلى إقامة مدرسة حديثة وفق الإرادة السياسية
* إصلاح 1958: يهدف إلى توحيد وتأميم وديمقراطية التعليم العام

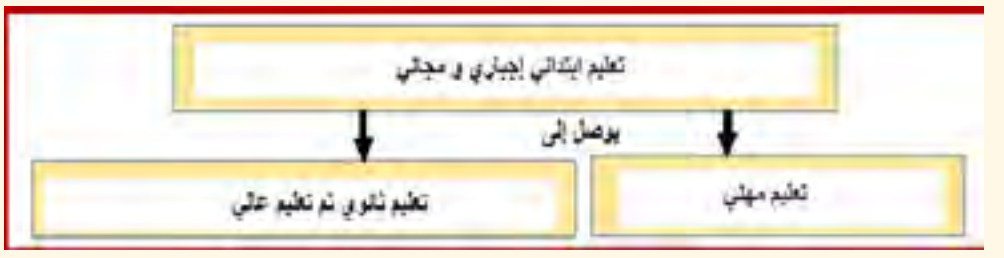

*إصلاح 1991: التعليم الأساسي يتمحور حول هرمية المعرفة وتقييم الأداء الكمي مما يؤدي إلى فقدان الكفاءات الفكرية والعملية وفقدان التعليم المهني

* إصلاح 2002 مُعدّل بإصلاح 2008: يتمحور حول الطلاب، قيم المعرفة، العمل، العدالة مع

- دمج وزارة التربية والتكوين والتشغيل
- التعاون مع: المجلس الأعلى لتنمية الموارد البشرية والمنظمات الوطنية (الاتحاد العام التونسي للشغل، اتحاد الصناعة والتجارة والاتحاد التونسي للفلاحة والصيد البحري)
- إدماج التعليم الصناعي والبناء والخدمات (2007).

خاتمة

تتوافق القرارات السياسية مع الاتفاقيات الدولية

* التربية البنائية الاجتماعية: التعليم في مجالات الحياة
* تحسين وصفات المحتوى وإشراك الطلاب
* تحرير الأدوار المدرسية نحو تنمية الكفاءات التعددية:

التعليم، التأهيل، التنشئة الاجتماعية
إذن
المعرفة والدراية ومهارات التعامل مع الآخرين من أجل الرفاهية

لكن هناك فشل يفسّره

*الانقطاع المبكّر عن الدراسة بشكل متزايد

*نتائج البرنامج الدولي لتقييم الطلاب 2015 التي تُظهر ضعف الترتيب في الأداء الأساسي وخاصة في القراءة، وضعف التدريس في الفصول الدراسية، وتسليع المعرفة، وعدم الانضباط، وتدهور المناخ.

ومع ذلك، هناك أربع نقاط إيجابية مقارنة بدول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية

- انخفاض معدل الرّسوب
- أعلى معدل التحاق بالمدارس الثانوية
- المساواة في الالتحاق بين البنات والبنين
- تزايد التعليم الثانوي في بيئات غير مواتية

ويُعتقد أيضًا أن من أسباب الفشل؛ تأثير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (فان زانتن، 2014) على السياسة التعليمية للدول:

* تعميم سياسة الكتب البيضاء لسنة 1990، وما يشبه نقاش الحكم الذي نشأ في عملية بولونيا لاقتصاد المعرفة والتدريب المستمر ومواءمة الأنظمة التعليمية ليس سوى وهم.
* التنسيق القسري مع جداول الأعمال الدولية بسبب ضعف مقاومة الدول الفقيرة مثل بلادنا بسبب العولمة وخاصة العولمة الاقتصادية.

2.2. تحليل الوضعيات الإشكالية للمنهج المحتمل للسنة التاسعة أساسي

*اختيار الصف التاسع الذي يمثّل سنة حرجة لأنّ هناك مواجهة مع المجتمع

*اختيار علوم الحياة والأرض لانفتاحها على الأسئلة الحادة اجتماعيًا والأسئلة البيئية والتنموية، وبالتالي، تقدم «التعليم لأجل ...» من خلال الوضعيات.

* اختيار تحليل الوضعيات لأن تقييم الكفاءات يمكن أن يتم من خلال تقييم الوضعية حيث يتم اكتساب الكفاءة أثناء عملية تحقّق الوضعية.
* اختيار الإطار الظرفي (جونايرت وآخرين. 2015.) وإطار التحليل من خلال دورة التحقيق التأمّلي: التفكيك، إعادة التركيب؛ (كولب)
* اختيار الكفاءات التي تقدمها اليونسكو

- المعرفية الإجرائية نحو العمل الحاسم والمستدام
- الاجتماعية العاطفية نحو المشاركة المدنية المسؤولة أخلاقيا.

* اختيار أداة تقويم رياضي يسهل ويوحد تقويم الوضعيات ويتيح تحسينها أو تطوير وضعيات جديدة .(2020). Référence: Mohsen. Farhati. et Atf. Azzouna. Analyse des compétences à travers les situations d'apprentissage : Dispositif permettant le réajustement des situations, un nouvel obstacle de franchi !» Didactiques Volume 09 N° 03 Juillet- Décembre 2020, pp.11-47, https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/300

2. 3. المنهج المعلن الفعلي

لقد حفزت الحالة السلبية على مستوى المنهجين الدراسيين المقرر والمحتمل البحث مع الطلاب والمعلمين عن تصوراتهم واهتماماتهم وتوقعاتهم للمشروع السياسي وتنظيم المدرسة والإدارة والبرامج والمناهج.

اعتمدنا في هذا البحث استبيانات تغطي هذه الجوانب الهامة من الحياة المدر سية.

اعتماد أسئلة مغلقة، مع إجابات ثنائية.

التحليل من خلال حساب النسب المئوية ومقارنة بمربع كاي، باستخدام برنامج SPSS

2. 3. 1. مسح لدى الطلاب

18 سؤالا موزعون على 9 مجموعات

* أسباب الصعوبات لدى المتعلّمين
* العلاقات العاطفية
* العلاقة بين المدرسة والمجتمع والصراع الاجتماعي
* قيم الحياة المدرسية
* العلاقة بين الطالب والمعلم
* انتظارات المتعلّمين
* الهوية
* الحوكمة
* الزمن المدرسي

كشفت الإجابات عن 4 استنتاجات

* المحتوى مقدس لأنه يُنظر إليه على أنه أداة للصّعود الاجتماعي متناقض مع

- الجهل بمعنى الهوية،

- الشعور بالظلم والصراع الطبقي،
- عدم المشاركة في إدارة المدرسة
* رؤية مزدوجة للتعليم: أحادية الاتجاه، فردية، نخبوية متناقض مع
- الإجابات: علاقة عاطفية ثلاثية تقدمية وغير متضاربة
- والتجربة اليومية: ربما بسبب تقديس المحتويات والمعلم
* تقليل الأبعاد المعرفية الإجرائية والاجتماعية والعاطفية للأسباب التالية
- الجهل بتدريس المستقبل، ربما بسبب الافتقار إلى نظرية المعرفة والأنثروبولوجيا والأخلاق وتعدد التخصصات
- وبالتالي الجهل بتعقيد العيش معًا (التفاهم، التنوع، الاختيار الأخلاقي، المقاييس المكانية والزمانية)
* الغياب التام لإدراك مجالات الحياة بسبب
- الجهل بحس الهوية الشخصية/الانتماء الجماعي
- الافتقار إلى الاستقلالية في اختيار المهنة أو الاستقلالية التي تشوهها درجات البكالوريا على أساس المواد العلمية والدروس الخصوصية والتقييم الكمي
- غياب التربية المواطنية (ازدواجية العلاقة وقدسية المحتوى)
- غياب التعليم الديمقراطي: الحكم الاستبدادي للمدرسة

2. 3. 2. مسح لدى المعلمين

8 مجموعات من الأسئلة تسلط الضوء على المعرفة والأساليب والأهداف
- تعليم المهارات الحياتية
... -الصحوة على الآفات الاجتماعية: العنف، الانتحار، الدين، الإدمان
- التوعية التعليمية لأجل...: الصحة، البيئة، التنمية المستدامة والتنمية البشرية، المواطنة
- التربية الأخلاقية تمثل التقاطع مع المهارات الحياتية
- أهداف تعليم الحياة: التعليم، التأهيل، التنشئة الاجتماعية
- المهمات التربوية: تكون أو تمتلك
- رؤية المحتوى: الوساطة، وتعدد الموارد، وتعدد التخصصات
- الزمن المدرسي
تُظهر الإجابات عدّة استنتاجات
- تردد أكثر وضوحاً لدى النساء في التعبير عن آرائهن ونواياهن في التصرف
- الوعي بالآفات (العنف، الانتحار، الدوغمائية الدينية، وما إلى ذلك) ولكن الالتباسات المتعددة (العلمانية/الإلحاد، الصحة/الجنس، المواطنة/الدين، إلخ) لا تزال موجودة
- قلة التدريب السياسي أو الخوف من التصريح
- المحافظة العالية والموقف الحيادي تجاه محتوى معين
- انعدام الثقة والتواصل وعدم الاهتمام
- وجود تناقضات متعددة بين المناهج المقررة ودرجة الالتزام بالمناهج المحتملة الواضحة للغاية بشأن القضايا المثيرة للجدل، وخاصة المواطنة والتنمية المستدامة
- الخلاف لأسباب متعددة: نقص التدريب، عُلُوّ السلطة التأديبية والخوف من المغامرة في القضايا المحفوفة بالمخاطر، ومقاومة التغيير
- الجهل بمفاهيم تعليم الأخلاق الحميدة والصحوة العلمانية والعبادة الدينية والتنمية المستدامة والاستراتيجيات الأخلاقية بسبب نقص المناهج الدراسية
- قلة التدريب على حل المشكلات
- قلة التدريب على التواصل التداولي
- عدم الالتزام بالتعامل مع الآفات
- الوضعية السيئة في بعض المسائل خاصة عند النساء كالمساواة بين الجنسين، والحرية والمواطنة مع إجابات متناقضة في بعض الأحيان
- عدم تسييس نظام التعليم بسبب نقص تعلم السياسة
- غياب التدريب الأخلاقي وبالتالي الجهل بدورهم في إدارة الأخطاء والشكوك والتهديدات وغيرها، واستغلال المعرفة وتداعياتها في الظلم والعنصرية
- أكثر تركيزًا على مهمة إضفاء الطابع الإنساني على مهمة التنشئة الاجتماعية
- اختيار تواتر مدرسي يتناسب مع التواتر البيولوجي لكنه يتعارض مع الاختيارات السياسية

2. 3. 3. تقاطع المسحين

يتيح هذا الإسناد الترافقي إمكانية البحث في أصل الإجابات، خاصة بين الطلاب كما يجعل من الممكن اقتراح سبل لتحسين المناهج الدراسية.
* تأثير كبير جدًا على المناهج الدراسية في كليهما
- الخلط خاصة عند النساء، بين الامتلاك والكينونة وبين الانفتاح والدوغمائية وبين الحقيقة والمعرفة التعددية
- الخوف وعدم الالتزام بالتربية الحياتية وإعلان الآراء
- نقص التدريب في مجال التعليم لأجل ... والتخصصات ذات الصلة: نظرية المعرفة، والأنثروبولوجيا، والأخلاق، والحكم الديمقراطي
- صعوبات لدى الطلاب في إدراك هذا التعليم والقيم المرتبطة به وخاصة الانتماء
- رؤية رسالة المدرسة إرشادية وتأهيلية أكثر من التنشئة الاجتماعية
- التركيز على الفرد
- عدم الوعي بدور الوسيط النفسي في توجيه الويلات والتفاوض وتهدئة الصراعات الطبقية

إجابات على أسئلة البحث الأربعة

السؤال	الإجابة
كيف يعمل المحتوى المبني على مواقف حياتية على تنمية شخصية المتعلم؟	قلة المحتوى التعليمي في الحياة غير القراءة والكتابة والحساب وغيرها
ما هي الرؤية للمنهج التربوي التي يمكن أن تكون لدى الطلاب والمعلمين من خلال هذا المحتوى؟	رؤية مختزلة مع القليل من الالتزام والتردد والخوف والتجنب
ما هي الأبعاد الفردية والجماعية (السياسية والاجتماعية) والإنسانية التي يمكنهم حشدها؟	تعبئة المعرفة المجزأة، والمجهزة للإرتقاء الاجتماعي
كيف يحشد المعلم المواقف الحياتية للتنمية البشرية؟	غياب المواقف الحياتية الصريحة ورفض الالتزام لصالح اضطراب التعليم في الكفاءات الحياتية
وبالتالي نقص التدريب على الكفايات الحياتية	
ولكن على الرغم من كل هذه السلبيات، لا يزال الطلاب يظهرون ثقتهم في التعليم	

3. الخاتمة والتوقعات المستقبلية

النقطة المحورية هي تدريس الكفاءات الحياتية لتعلم كيفية العيش بشكل جيد من خلال إتقان المناهج التعليمية الظرفية التكوينية التي من شأنها أن تسمح بتنمية الإنسانية ذات خمسة أبعاد وهي الفردية، والتفرد، والمجموعة الوطنية، والانتماء المحلي والكوني، والأخلاق المسؤولة التي تساهم جميعها في فهم الإنسان.

التوقعات المستقبلية:

الحاجة إلى تدريب المعلمين على البنائية والتفكيكية، والنهج القائم على الكفاءات، والتعليم لأجل ...، وتعلمية الوضعيات، والديمقراطية، والحوكمة الرّشيدة، والأخلاق المهنية، ونظرية المعرفة، والأنثروبولوجيا.

الحاجة إلى اعتماد الوضعيات الحياتية والتعليم لأجل ... في محتوى المناهج ال دراسية.

تحسين نوعية التعليم يعتمد على وسائل عملية وهي الاستثمار اللوجستي والمالي، الدعم الأوثق للطلاب، تسهيل تدريب المعلمين، ومساعدة الطلاب ضعاف الحال.

وهو ما يتطلب تفكيرا جماعيا ديمقراطيا.

Mohsen. Farhati. (2021). *Les réformes de l'éducation en Tunisie. Analyse rétrospective.* France. Les éditions du net. 488p.

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

التعليم العمومي

نتائج مناظرة الباكالوريا لسنة 2024 في حاجة الى التمعن والتأمل. فالمعدلات الاعلى على المستوى الوطني كانت من نصيب 7 معاهد عمومية 3 منها ثانوية حققت افضل معدلات في شعب الآداب والاقتصاد والتصرف والاعلامية والرياضة وهي معهد ابن ابي الضياف بمنوبة ومعهد عبد العزيز بالخوجة بنابل ومعهد بورقيبة في المنستير. أما بقية أعلى المعدلات فقد حقّقها معهدان نموذجيان بكل من نابل وسوسة.

معدلّات أعادت الاعتبار مرة أخرى للتعليم العمومي ونسفت بذلك أكذوبة تفوّق التعليم الخاص (أكثر من 500 مدرسة خاصة للتعليم الاعدادي والثانوي) باعثة بأكثر من رسالة ايجابية مفادها أن المدرسة العمومية لا تزال تقاوم رغم اهتراء بنيتها التحتية وانعدام الامكانات المتاحة لها وتفاقم الشغورات في صفوف المدرسين فضلا عن حاجتها الملحة لتغيير مناهج التدريس وتنقية محيطها من مختلف السلوكات الاجرامية التي تتهدد التلاميذ.

هي فرصة أخرى تمنحها المدرسة العمومية للجميع حتى لا يفوت أوان انتشالها من التردي والاهمال وانقاذ آلاف التلاميذ من الانقطاع المبكر عن التعليم ومن التسرب المدرسي والانغماس في تعاطي المخدرات واعادة الاعتبار للمدرسين وغرس قيم المحافظة على المرفق العمومي وتقديس العمل وطلب العلم.

وهي أيضا مناسبة للتذكير بخطورة هجرة الادمغة بدءا بهجرة النوابغ لتوفير مناخ استثمار جالب لهم حتى يعودوا بالفائدة على البلاد عوض استغلالهم من قبل دول اخرى. فالارتقاء بالبلاد لا ينحصر فقط في بعث منظومة تربوية عصرية بل أيضا في تثوير الادارة العمومية والقطع مع ثقافة التواكل وإعلاء راية العلم والرفع من شأن العمل والتشمير عن ساعد الجد والكد.

رديء

وزارة البيئة

قفز عدد الشواطئ غير الصالحة للسباحة من 6 الى 28 شاطئا بين سنتي 2011 و2024. عدد ضخم من الشواطئ غير المناسبة للاصطياف تضاعف قرابة خمس مرات في أقل من عقدين حسب الإحصاءات التي كشفت عنها وزارة الصحة مع مطلع شهر جوان.

اما الأسباب فهي تلوث السواحل في مدن مثل تونس ونابل وبن عروس وبنزرت وقابس نتيجة سكب نفايات سائلة متأتية من منشآت عمومية مثل الديوان الوطني للتطهير الذي حوّل شواطئ ولاية بن عروس الى بؤر مسمومة وممنوعة على المصطافين والمجمع الكيميائي الذي انتصب منذ سبعينات القرن الماضي بخليج قابس فعكّر صفو المدينة وتسبّب في تلويث شواطئها وسمّم هواءها وألحق ضررا بتربتها. أما عما يقترف عدد من الشركات الصناعية والتحويلية الخاصة فحدّث ولا حرج رغم الاعتمادات التي تخصصها الدولة للحد من الأنشطة الملوثة.

تدخل وزارات مثل الصحة والصناعة والتجهيز وهياكل مثل وكالة حماية الشريط الساحلي والوكالة الوطنية لحماية المحيط لا يحجب دور وزارة البيئة في التنسيق بين مختلف المؤسسات وفي اعتماد رؤية متكاملة للذود عن الشواطئ وفي مرافقة الصناعيين إضافة الى فرض سيطرتها على المحيط البحري.

أمام أوضاع بيئية كارثية في سواحل مدن مثل بن عروس أو قابس أو حتى صفاقس بات إعلان حالة طوارئ بيئية أمرا مستعجلا لا في ملف الشواطئ الملوثة فحسب وانما أيضا في ملف مصبات النفايات والفضلات المراقبة منها والعشوائية والتي أصبحت تنذر بكارثة بيئية في أكثر من جهة.

قالوا

قيس سعيد

تونس التي لم تقبل ابدا بوجود قواعد عسكرية فوق اراضيها من غير التونسيين لن تحيد ابدا عن هذا الاختيار قيد انملة.. تقبل بالتعاون وبتبادل التجارب والخبرات وهو امر تقليدي مألوف بين كل الدول ولكن لن يكون مثل هذا التعاون الا في ظل اختياراتنا الوطنية النابعة من مصالح شعبنا ولن نقبل بان تكون حبة رمل واحدة ولا قطرة ماء واحدة بل حتى هبّة نسيم واحدة خارج السيادة الكاملة للدولة التونسية .

سلوى العباسي

التلميذات اللواتي تخلّفن عن اختبار الباكالوريا يدرسن بمعهد حي الانس بالروحية وهن مقيمات بمبيت لكنهن اخترن بطلب من الاولياء ان يغادرن المبيت اثناء دورة الباكالوريا ولكنهن للأسف الشديد لجأن الى نقل عشوائي وهنا انا اتحمل المسؤولية... هناك نقل مدرسي وهذا النقل على ذمة دواوين الخدمات المدرسية ويبدو ان هناك اشكالا يخص سائق النقل المدرسي وسيحاسب ... من المفروض ان لهن حافلة نقل مدرسي يوفرها الديوان وسائق الحافلة لم يكن متواجدا وليس لدي معطيات دقيقة حاليا ولكني سأفتح تحقيقا واحمله المسؤولية فقد تم اقتناء الحافلات بقرض لتمكين التلاميذ من حقه في النقل المجاني والسائق تخلف عنهم وقت الامتحانات .... سأفتح تحقيقا وأحمل الجميع المسؤوليات ...

نور الدين الطبوبي

لقد تكررت الانتهاكات واستهداف استقلالية العمل النقابي ومصداقية الحوار الاجتماعي وضرب المفاوضة الجماعية واضرت كثيرا بحقوق العمال ومكاسبهم وقد تجلى ذلك في سلسلة الاعتقالات والمحاكمات التي تستهدف النقابيين وفي عدم الالتزام بتطبيق الاتفاقيات المبرمة وفي رفض الحوار والمفاوضة مع النقابات .وعلى هذا الاساس من واجب الحكومة التونسية استئناف الحوار فورا مع الاتحاد العام التونسي للشغل ووقف الانتهاكات والتضييقات والمحاكمات فلم يعد ممكنا السكوت عليها حماية لاستقرار تونس وتقدمها وتحقيقا لتضحيات شعبها وعمالها في مجال الديمقراطية والحريات عموما والحقوق والحريات النقابية بالخصوص.

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

العقيد الأمريكي السابق دوغلاس ماكغريغور :

لسنا جاهزين لحرب مع الروس

نقل : الحبيب القيزاني

تاكر كارلسون لدى محاورته دوغلاس ماكغريغور

في حوار أجراه معه المذيع الأمريكي الشهير تاكر كارلسون قال العقيد الأمريكي المتقاعد دوغلاس ماكغريغور : "أنا أقول ما يخشى زملائي الآخرون في الولايات المتحدة قوله وهذا يتطلب شجاعة وأنا وطني ولا يتمنى لبلده وصمة عار أخرى وأنا أحذّر من التدخل الأمريكي المباشر في حرب أوكرانيا... فالجيش الأمريكي لم يعتد على أولئك الذين بإمكانهم القتال".

وفي تقييم للوضع الحالي بأوكرانيا قال ماكغريغور : "أعتقد أن كل الأكاذيب التي تم ترويجها لنا على مدى العام الماضي مثل انتصار الأوكرانيين وفضل الروس تتلاشى أمام أعيننا الآن... المعركة الدائرة مروّعة حيث خسر الأوكرانيون حسب تقديراتنا 400 ألف جندي... الجرحى ليس لدينا أرقام دقيقة عن عددهم لكن من المعروف أنه تم بتر أطراف ما بين 40 و50 ألف جندي... المستشفيات تعجّ بالجرحى والقادة يواجهون تحديات لاخلائهم من جبهات القتال وبعض الوحدات تستسلم بسبب عدم قدرتها على مواصلة القتال.. الجنود الأوكرانيون يعاملون بشكل حسن من طرف الروس ويدركون أنه يمكن مبادلتهم كأسرى مستقبلا وهذا يدفعهم الى الاستسلام.. وأعتقد أننا سنرى هذا الجيش الذي نصرف عليه الكثير من الأموال والأسلحة يتلاشى تدريجيا وفي الوقت نفسه اذا نظرنا الى هذه المنطقة الطويلة في جنوب أوكرانيا التي يسيطر عليها الروس وتحديدا الزاوية الشمالية الشرقية منها وخصوصا مدينة خاركيف نرى وجود هجومات ضخمة الآن تجتاح بفعلها القوات الروسية خطوط القوات الأوكرانية وهم لا يخبرون أمريكا كيف يحدث ذلك وبدلا من الاعتراف بأن هذه مأساة رهيبة يجب أن تتوقف على الأقل لأسباب إنسانية وأن القتل يجب أن يتوقف مثلما نادى بذلك دونالد ترامب فإننا نستمر في ذلك وهذا ما يجبر الروس على التحرك نحو غرب أوكرانيا... منذ البداية لم يكن بوتين ومستشاروه مهتمين على الاطلاق بصراع مسلح من حلف الناتو أو مع الولايات المتحدة الامريكية ولهذا السبب تصرفوا بشكل تدريجي وتقدموا ببطء وبشكل دفاعي لبناء قوتهم ثم قاموا بعمليات هجومية... لديهم أكثر من 300 ألف جندي احتياطي وأعتقد أن السبب في إبعادهم عن جبهات القتال هو أن الرئيس بوتين يرى وجود احتمال دخول أمريكا المعرقة في غرب أوكرانيا واذا ذهبنا الى معركة في غرب أوكرانيا سيكون الروس مستعدين لذلك وستكون العواقب بالنسبة لأمريكا ولحلاف الناتو مدمّرة لأننا لسنا مستعدين لخوض حرب مع الروس".

وردّا على سؤال كارلسون عن سبب ذلك قال ماكغريغور : "اعتقد أن جاهزية الجيش الأمريكي تشهد ترجعا منذ فترة طويلة... الانضباط الذي يساعد الجنود على القتال يتراجع باستمرار تقريبا.. فالانضباط الذي يساعد الجنود على القتال يتراجع باستمرار تقريبا... فالانضباط شيء قار وهو في الواقع شكل من أشكال العادة يتشكّل مع مرور الوقت من خلال التكرار ومع ذلك يتشكل أيضا تحت الضغط حيث يصبح متأصلا في الشخص مما يخلق التماسك داخل الوحدات العسكرية... لا يمكن الحصول على التماسك اذا تم تقسيم الوحدات العسكرية على أسس عرقية مثلما يحدث في الولايات المتحدة وترقية اشخاص غير مؤهلين بشكل واضح ومكافأة أولئك الذين هم غير أكفّاء أو لهم ذكاء منخفض.. كل هذا يؤدي الى احباط المعنويات وتدمير المؤسسات العسكرية الامريكية.. يعاني الجيش وكذلك سلاح البحرية من هذا الأمر وكذل سلاح الجوّ والبحرية وليس من السهل إصلاحه... هذه مجرد شقوق في الوقت الحالي لكنها ستتحول الى شروخ عملاقة اذا بدأ صراع مسلّح".

وأضاف ماكغريغور : "في ما يتعلق بالروح المعنوية والانضباط نحن نشده الآن مرحلة تشبه مرحلة نهاية عام 1970 (في إشارة الى بداية تراجع القوات الامريكية المشاركة في حرب فيتنام أمام الهجوم الشامل الكاسح الذي شنته قوات الفيتوكونغ والذي انتهى باحتلال سايغون عاصمة فيتنام الجنوبي المدعوم من طرف أمريكا وفرار سفير الولايات المتحدة وأفراد عائلته وبعض معاونيه على متن مروحية من فوق سطح بناية السفارة)..

الكثير منّا مرتبكون ولا نعرف كيف نتصرف في الوقت الحالي. ببساطة ليس لدينا قادة ذوي خبرة كافية يمكنهم توجيهنا بشأن كيفية التعامل مع الأمور... في المقابل تمتلك الوحدات القتالية بمختلف تسمياتها ككتائب أو ألوية التجربة الضرورية لموجهة التحديات على ساحة المعركة... لديهم القدرة على تقييم الوضع واتخاذ القرارات بفعالية لكن منذ عام 2001 كانت معظم الصراعات مع أعداء في مستوى أقل (...) ثم ان معدّاتنا قديمة منذ سنوات عديدة.. على سبيل المثال كانت الدبابات التي خدمت عليها عندما ذهبت الى الحرب عام 1990 جديدة تماما ومن أحدث التجهيزات... لا تزال تلك الدبابات في الخدمة لدى الجيش الأمريكي... لقد تم تحديثها لكنها لم تعد جديد ولم تعد جيدة مثلما كانت من قبل وكمثال على ذلك : تحتوي الدبابات من سلسلة "أم 1" على محرك توربيني وعندما تكون المركبة ثابتة فإنها تحرق نفس كمية الوقود التي تحرقها عندما تتحرك.. أعني أنه محرك توربيني وقد صُمّم للطائرات ووضعناه في دبابة لذلك لدى طاقمه 8 ساعات فقط من العمل أي أن خزان الدابة يحتاج كل 8 ساعات الى تزويده بالوقود والأكثر من ذلك أنه يزداد سخونة... درجة حرارته مرتفعة جد وتبلغ حوالي 1000 درجة وبالإضافة الى ذلك هناك اكثر من 40 وصلة حول المحرك وهي بالغة الهشاشة ويمكن أن تتسبّب في حريق بسهولة اذا لامست الأنابيب الصغيرة التي تحمل أنواعا مختلفة من الوقود، لذا فإن المحرك ساخن جدا الى درجة انه يمكنك تتبع حركة القوات البرية انطلاقا من الأقمار الصناعية التي تدور بالمدار الأرضي المنخفض، لذا اذا كنت تعتقد أنه بإمكانك الاختفاء أو التقدم على شخص ما فاعلم انه يراك ويرصدك من الفضاء كهدف متوهّج. يضاف الى ذلك التردد في استبدال هذا المحرك بنظيره الحديث الذي يعمل بالكهرباء والديزل الذي يمكن الاعتماد عليه والذي يكون أكثر

الدبابة الامريكية ابرامز ام 1

برودة ويمكنه العمل 24 ساعة أو أكثر دون إعادة تزويده بالوقود. كل هذا يمثل مشكلة كبيرة أثناء الحرب لأنه عليك العودة للتزوّد بالوقود ثم التوجه الى الجبهة مرّة أخرى وليس من السهل القيام بذلك كل 8 او 9 ساعات... يخبروننا بأنهم سيضعون مولدا كهربائيا لتعويض الخسائر عندما تقف في مكان واحد لكن المشكلة هنا تكمن في انه لا يمكنك البقاء في مكان واحد لفترة طويلة في القتال لأنك اذا فعلت ذلك أصبحت هدفا ويتم القضاء عليك. هذا بالضبط ما تراه الآن في أوكرانيا... المراقبة مستمرة من الفضاء.. المراقبة من الجو تسمح لك برؤية كل شيء على الأرض...

لذلك اذا كنت ستتخذ موقعا ثابا لاطلاق النار منه فستتعرض للهجوم والتدمير بسرعة كبيرة جدا.. هذا هو السبب في أن هذا الأمر الدفاعي يذكرنا الآن بالحرب العالمية الأولى اذ ان أي شخص يبدأ في التحرك يتم العثور عليه ومهاجمته وتدميره على الفور. العامل الوحيد الذي يحدّ من قدرته على اطلاق النار على الهدف وتدمير العدوّ هو سلاحك.. بالطبع لا يعاني الروس من أي نقص في الأسلحة... تذكّروا أننا كنّا في بداية الصراع نعاني من نقص في السلاح... الروس قادرون علي المحافظة على المستوى المناسب من مخزون الصواريخ والقذائف... لديهم الكثير من المنشآت الصناعية التي تعمل على مدار 27 و7 أيام على 7 ونحن في الولايات المتحدة ليس لدينا تلك القدرة الاحتياطية الصناعية وسيتطلب الامر منا عدة اشهر للوصول الى مستوى يجعلنا قادرين حقا على المنافسة في حرب التكنولوجيا... لهذا السبب يشعر الكثير من الناس بالقلق مثلي من أننا اذا دخلنا في مواجهة مع الروس لن نكون قادرين على الانتصار لأن العالم تغيّر وتغيّرت معه طبيعة الحرب، فأنظمة الدفاع الجوّي المتكاملة تدمّر كل ما يمكن أن يأتي من السماء تقريبا ومن ثمّ نعود الى الردع النووي... الأسلحة النووية التكتيكية هي التي تقول انه اذا واصلتهم التقدم سنستخدم الأسلحة النووية... لا نريد أن نصل الى هذه المرحلة... هناك ما يسمى بالأسلحة النووية التكتيكية... نعم نحن الآن أمام وضع مرعب ومن المفترض أنها صواريخ نووية صغيرة لن يؤدي استخدامها الى حرب كبيرة لكن استخدام أي سلاح نووي سيؤدي حتما الى تصعيد سريع لأن خصومكم سيقررون أنهم إذا لم يستخدموا أسلحتهم النووية سيخسرونها... أذكى ما يمكننا فعله الآن هو انهاء هذا الصراع".

وفي ردّ عن سؤال حول ما يمكن أن تكون أهداف روسيا، قال ماكغريغور : "كان الهدف الأصلي من العملية العسكرية مختلفا تماما... أعني أنه لو عقد الاوكرانيون سلاما مع الروس في مارس أو أفريل من عام 2022 كان الروس سيحصلون على قليل من الأراضي ربّما ما يسمّى بالمناطق الانفصالية وأعتقد أنه ستكون هناك حينها ضمانات بحياد أوكرانيا وضمانات للمساواة في الحقوق أمام القانون بالنسبة للروس المقيمين بأوكرانيا... هذا ما لا يفهمه الكثير من الناس... يرجع هذا الصراع الى حدّ كبير الى سوء معاملة الروس الذين يعيشون في أوكرانيا والتي تعرضوا لها من طرف الحكومة الأوكرانية. بالطبع وصلت حكومة قوية ومتطرفة الى السلطة في كييف في عام 2014 وبعد مجيئها مباشرة تقريبا بدأوا حربا على ما يسمّى بالمناطق الانفصالية وفي هذه الاثناء استمر بوتين في محاولة لايجاد حلّ لا يؤدي الى المواجهة واتفاقيات مينسك خير مثال على ذلك... بالطبع نعرف الآن بفضل المستشارة الألمانية انغيلا ميركل أن اتفاقيات مينسك كانت مجرد خدعة ووسيلة حتى يتمكن الاوكرانيون من تعزيز قواتهم وكان الغرض من ذلك واضحا وهو الاستعداد لشن حملة هجومية على روسيا وبالطبع كانت الخطوة الموالية هي جلب الصواريخ الامريكية الى هناك ووضعها في شرق أوكرانيا ونصبها على بعد دقائق قليلة من الطيران من جميع المدن الروسية والترسانة الروسية... كان ذلك ببساطة غير مقبول... اتفاق مينسك أصبح الآن من الماضي ويظل السؤال المطروح هو عمّا سيوافق الروس اليوم... اعتقد أنهم سيطالبون بأن يصبح ما تبقى من أوكرانيا أي الأراضي الواقعة غرب نهر دنيبرو محايدة.. لا يمكن أن تكون هذه الأراضي جزءا من الناتو... لن يتسامح الروس أبدا مع جنود الناتو على أراضي أوكرانيا لأننا أثبتنا بشكل لا شك فيه اننا معادون لروسيا.. اما كيف ستحكم هذه الأراضي فهدف مسألة أخرى... انا متأكد من أن موسكو ترغب في أن يكون لها بعض التأثير في تلك الحكومة وستريد أن تقرر من سيكون في تلك الحكومة للتأكد من أنه لن يتم مستقبلا معاملتها بالطريقة التي تمت مع اتفاقيات مينسك".

وبخصوص هدف أوكرانيا قال ماكغريغور : "أظن أن الاوكرانيين يرغبون أكثر فأكثر في تجاوز الأمر... ويزداد الأمر صعوبة بالنسبة لهم... لقد أراد زيلنسكي والمتطرفون المحيطون به خوض هذا الصراع حتى آخر مواطن أوكراني... أنا متأكد من أن زيلنسكي وأصدقاءه يشعرون بالقلق ومن أنهم في مرحلة ما سيهربون الى عقاراتهم في فلوريدا بأمريكا أو في إيطاليا أو قبرص حيث يمكنهم انفاق مليارات الدولارات المسروقة التي تم اقتطاعها بطريقة ما من المساعدات التي قدمناها لهم... سوف تتذكر أن أوكرانيا ربما تكون واحدة من أكثر الدول فسادا في العالم... هذه كارثة عالمية... لقد غادر 14 مليون أوكراني وطنهم الأم وهم على الأرجح لن يعودوا اليه.. فما الذي يمكن فعله مع هذا البلد الكبير؟ بالطبع لدينا تكتلات زراعية ضخمة وشركة "بلاك روك" للاستثمار التي وضعت أعينها بالفعل على الأراضي الخصبة في غرب أوكرانيا وافترض انه ستكون هناك محاولات السيطرة على هذه الأراضي ولكن هذا قد لا يحدث اذا انتهى الصراع بهزيمة كبيرة لا رجعة فيها لنظام الحكم الاوكراني".

النووي التكتيكي الروسي

" أخطر من "بريكست"

وكالة "بلومبرغ" نقلت عن مسؤولين أوروبيين قولهم إن أزمة كبيرة في فرنسا قد تكون أكثر خطورة على الاتحاد الأوروبي من انسحاب بريطانيا من الاتحاد في عام 2020.

الوكالة أشارت الى قول دبلوماسي أوروبي، لم تكشف عن اسمه، إن المخاطر المحتملة في فرنسا تمثل "الموضوع الرئيسي لكل مناقشة في بروكسل".

ولاحظت أن "أزمة واسعة النطاق في فرنسا... ستوجه ضربة لقلب منطقة الأورو" مستدركة بأن فريق الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لا يعتقد أن تجربة "بريكست" يمكن تطبيقها في فرنسا.

وأضافت أن فريق ماكرون يعتقد أنه يجب التركيز على المخاطر الاقتصادية المتعلقة بحملة حزب "التجمع الوطني" اليميني المتطرف، معتبرة أن ذلك قد يساعد في زيادة شعبية التحالف الموالي لماكرون.

يأتي ذلك على خلفية تقدم "التجمع الوطني" بقيادة جوردان باردیلا، خلف مارين لوبان، على أنصار ماكرون في انتخابات البرلمان الأوروبي، والتي حصل "التجمع الوطني" فيها على 31.36% من الأصوات.

مدافع CESAR

صحيفة Nouvelles d'Armenie (أخبار أرمينيا) أكدت أن بلادها وقعت مع فرنسا اتفاقية تمدّها بمقتضاها بمدافع من نوع CESAR (القيصر).

الصحيفة نقلت عن وزير الجيوش الفرنسي Sebastien Lecornu قوله في تدوينة نشرها بموقع X : "نواصل دعم علاقات الدفاع مع أرمينيا.. خطوة جديدة هامة بإمضاء صفقة تحصل بمقتضاها أرمينيا على مدافع من نوع CESAR مضيفة أن وزير الدفاع الأرمني كتب من جهته على منصة X : "يوم 17 جوان، تم في اطار زيارة عمل الى فرنسا التوقيع على اتفاق تعاون عسكري – تقني بين وزارة الدفاع الأرمينية والشركة العسكرية – الصناعية KNDS FRANCE –".

تراجع

موقع Afrique Media نقل عن وزير الشؤون الخارجية السويسرية تأكيده أن رواندا أصبحت بعد الأردن والعراق ثالث دولة تسحب توقيعها على البيان الختامي الصادر عن مؤتمر السلام حول أوكرانيا المنعقد مؤخرا بسويسرا.

يذكر أن 13 دولة من جملة الدول الـ 91 التي حضرت المؤتمر لم توقع على البيان الختامي هي : أرمينيا والبرازيل والبحرين وكولمبيا والهند وأندونيسيا وليبيا والمكسيك والعربية السعودية وجنوب افريقيا وتايلندا والامارات العربية المتحدة والفاتيكان.

وقد بلغ عدد الدول التي شاركت في المؤتمر 91 دولة إضافة الى مقاطعة كوسوفو و8 منظمات عالمية، وقع 74 منها على البيان الختامي.

وقد التأم المؤتمر في غياب روسيا والصين.

حقيقة المساعدات

مجلة Proletären الأسبوعية السويدية كشفت أن 90 ٪ من المساعدات المالية الامريكية التي يتم الإعلان عن رصدها لأوكرانيا تذهب في الحقيقة الى شركات المجمع الصناعي العسكري بالولايات المتحدة.

المجلة أضافت أن المجمع الصناعي العسكري استثمر تحت يافطة مساعدة الجيش الاوكراني عشرات المليارات من الدولارات في أكثر من 100 مصنع جديد لانتاج مختلف الأسلحة ولتشغيل المعطلين عن العمل وذلك بكل ولايات البلاد.

أكثر من ذلك – تواصل المجلة – لا تقتصر "المساعدات" العسكرية المعلن عن توجيهها الى أوكرانيا على انتفاع المجمع الصناعي العسكري من أموالها وإنّما يتخطّى ذلك الى تصدير أسلحة جديدة الى دول حلف الناتو تعويضا عن الأسلحة القديمة التي تخلصت منها عبر ارسالها الى أوكرانيا.

صحيفة "واشنطن بوست" كشفت من جهتها أن جزءا هاما من أموال المساعدات الامريكية المخصصة لأوكرانيا يوجه في الحقيقة لتطوير أسلحة ومعدات جديدة. وأشارت الصحيفة إلى أنه من جملة 70 مليار دولار تخصص لأوكرانيا، لا تتلقى كييف سوى 10 ٪.

قطع

موقع Reporter ذكر أن السلطات البولونية قررت قطع دفع المنح المرصودة لتشغيل اللاجئين الأوكرانيين في القطاع الخاص بداية من غرة جويلية القادم.

الموقع أوضح أن أصحاب المؤسسات الخاصة تمتعوا الى حدّ الآن بمنحة تقدر بـ 40 زلوتيس (العملة البولونية) يوميا عن كل لاجئ يوظفونه.

ونقل الموقع عن الحكومة البولونية تبريرها القرار بصعوبات ضمان نجاعة منظومة المنح وذلك بعد ارتفاع عدد الطلبات المودعة من طرف اللاجئين الأوكرانيين للحصول على شغل مشيرا الى أن ذلك أثار شكوك الحكومة حول ما اذا كان بعض أصحاب المؤسسات الخاصة تحيّلوا لتوظيف بعض أقاربهم الذين يعانون من البطالة.

ولاحظ الموقع أن نتائج عمليات لسبر الآراء ببولونيا أوضحت أن أغلبية المواطنين باتوا يعارضون رصد منح لتشغيل اللاجئين الأوكرانيين وأنهم غير راضين على سلوكهم.

حرب القرن بين لبنان و «إسرائيل»

نبيه البرجي

مشكلتنا مع «الاسرائيليين» أنهم يعتبرون قوتهم العسكرية «حالة الهية»، وأن إلههم هو «رب الجنود»، حتى إنهم رأوا في طائرات «الميراج» التي دمرت سلاح الجو في مصر، منذ الساعة الأولى لحرب جوان 1967، الطيور النحاسية التي بعث بها «يهوه» للقبض على أرواحنا (الشريرة). أما قوتنا العسكرية فهي ما دون «الحالة البشرية». إلهنا رب الضحايا، ان شئتم... رب القتلى.

لا مجال البتة للمقارنة بين وضعنا التكنولوجي، ونحن واقعاً ما تحت التكنولوجيا، ووضع «اسرائيل»، لنشير الى أن «اليهود» الذين حطوا الرحال في فلسطين فكروا عام 1912 في انشاء «التخنيون»، أي «معهد اسرائيل للتكنولوجيا»، ليبدأ العمل عام 1924، أي قبل نحو ربع قرن من اعلان دافيد بن غوريون قيام الدولة.

وحين فكّر الرئيس رونالد ريغان في اطلاق «برنامج حرب النجوم»، الذي يتمثل في نصب منصات فضائية مزودة بمدفعية لأشعة اللايزر وللجزيئيات الالكترونية، لتدمير أي صاروخ معاد عابر للقارات خلال 7 أو 8 ثوان، أوفد المدير التنفيذي للبرنامج الجنرال جيمس آبرامسون في أوت 1981 الى «تل أبيب» للتوقيع على اتفاقات تتعلق بصنع بعض الأجهزة الحساسة للبرنامج.

هذا ما جعل «اسرائيل» تتفوق عسكرياً، وبصورة دراماتيكية على البلدان العربية قاطبة، لينكسر ذلك التفوق بظهور الصواريخ. وهذا ما لاحظته هيلاري كلينتون، وزيرة الخارجية في عهد باراك أوباما، داعية «الاسرائيليين» الى أن ياخذوا بعين الاعتبار أن شيئاً ما قد حدث، وأدى الى تغيير الكثير من مفاهيم القوة ومفاهيم التوازن. آنذاك انقضّ عليها الذئاب باتهامها بممالأة العرب وطعن «الاسرائيليين» في الظهر، والى حد العمل ضدها ابان المنافسة الرئاسية مع دونالد ترامب.

التفوق العسكري ليس بالظاهرة الأبدية في منطقة هي في حال ارتجاج (واجترار) متواصل. الفياتكونغ الحفاة كانوا يسقطون يومياً بصواريخ «سام ـ 7»، قاذفة عملاقة من طراز «بي ـ 52»، لينا هز عدد الطائرات الأميركية التي أسقطت ومن كل الأنواع، بما فيها طائرات الهليكوبتر الـ 10000 طائرة.

شيء ما يشبه الخيال، كيف كان رجال المقاومة في لبنان أثناء مرحلة التحرير يتسلقون ذلك الجدار الشاهق الذي يوصل الى قلعة الشقيف، وهم يتجنبون أجهزة الرصد الالكترونية والألغام والعوائق الالكترونية الأخرى المعقدة، ليزرعوا راية المقاومة على القلعة.

المشاهد الخارقة أيضاً ظهرت في غزة. من كان يتصور أن باستطاعة مقاومين، مهما كانت صلابتهم، مواجهة تلك الأهوال الجوية والبرية والبحرية، التي انقضّت بكل تلك الوحشية على القطاع، الذي يخلو من أي تضاريس طبيعية، والذي حولته القنابل الأمريكية الى ركام. لأكثر من ثمانية أشهر استنزف أولئك المقاومون حتى عظام ملوك التوراة، الذين كان يلجأ اليهم «الحاخامات» والساسة والجنرالات على السواء.

الخبراء الاستراتيجيون وصفوا تلك الحرب بأنها «أول حرب حقيقية بين العرب والاسرائيليين». هذه التجربة المريرة زادت في هواجس القيادة العسكرية «الاسرائيلية»، التي توجد بين يديها عشرات التقارير حول الترسانة الصاروخية لحزب الله، ناهيك من أسطول المسيّرات المتعددة المهام. حديث عن «الصواريخ الجبارة» التي لم تخرج بعد من صوامعها، والتي تهدد بتدمير كل مظاهر وكل مقومات الحياة في المناطق الأكثر حيوية.

لاحظنا مدى الذهول الذي اعترى تلك القيادة، بعدما أظهرت المؤسسة العسكرية بامكاناتها التكنولوجية الساحقة، عجزها عن رصد المسيّرة «هدهد»، وهي تتهادى فوق المناطق الاستراتيجية، كمؤشر على امكانية تحويل كل تلك المنشآت وخلال دقائق الى حطام.

يحاول بنيامين نتنياهو بطريقته البهلوانية، توظيف الورقة اللبنانية في «صراعه» مع جو بايدن، أي حرب بين لبنان و «اسرائيل» ستكون «حرب القرن»، لأن تداعياتها لن تقتصر على تغيير المسارات الاستراتيجية في المنطقة، بل تنسحب حتى على تغيير الخرائط.

هذا ما يثير الهلع لدى الأمريكيين، الذين يعتقدون أن تدخلهم العسكري سيكون كارثياً، وأن عدم تدخلهم سيكون كارثياً أيضاً. لذلك يتم تحريك الأرمادا الديبلوماسية بكل قوتها من أجل حل مستدام للوضع الحدودي بين لبنان و «اسرائيل». المهمة ليست مستحيلة اذا كانت التكشيرة الأمريكية باتجاه «اسرائيل» هذه المرة، لا باتجاه لبنان..

هكذا سينهار الاقتصاد العالمي

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

من الصعب التنبؤ بالتسلسل الدقيق للأحداث أثناء الانهيار العالمي، ذلك أن هناك عددا من المرشحين لدور الشريحة الأولى التي ستبدأ سلسلة ردود الفعل العالمية.

لذلك، سأصف فقط الجوانب الرئيسية، استنادا لتجربة انهيار الاتحاد السوفياتي، الذي حدث تقريبا لنفس النمط، وشاهدته بأم عيني.

تبدو المشكلة الرئيسية هي التضخم العالمي المفرط، أي الارتفاع السريع في الأسعار وانخفاض قيمة الأموال في جميع أنحاء العالم، والأهم من ذلك، في العملات الرئيسية في العالم.

وسيؤدي انهيار هرم الديون العالمي أو اندلاع الحرب الصينية الأمريكية إلى انخفاض الإنتاج العالمي والنقص العالمي في السلع على خلفية فائض متزايد من الأموال. وستنخفض إيرادات الحكومات بشكل حاد وسترتفع تكاليف إنقاذ الاقتصاد، وستبدأ جميعها أو معظمها في طباعة النقود بوتيرة محمومة لتغطية نفقاتها.

وسيؤدي هذا بسرعة كبيرة، في غضون بضعة أشهر، إلى دفع جميع البلدان تقريبا نحو التضخم المفرط، مع تضاعف الأسعار كل بضعة أشهر أو حتى أسرع.

سيؤدي التضخم المفرط كذلك إلى تبخر جميع المدخرات المحتفظ بها نقدا أو في الودائع المصرفية بسرعة كبيرة. وستقوم الدولة أو أصحاب العمل في القطاع الخاص، ممن لم يصابوا بعد بالإفلاس، بزيادة رواتب ومعاشات التقاعد للأشخاص العاديين، ولكن بمعدل أقل من معدلات التضخم المتسارع، بالتالي سيصبح الدخل الحقيقي ومستويات المعيشة أقل بشكل كبير ومتضاعف.

سيكسر التضخم المفرط أيضا جميع سلاسل التجارة داخل كل دولة، والأسوأ من ذلك، حول العالم. كان الناس في الاتحاد السوفياتي السابق، والآن في لبنان أو السودان وزيمبابوي وفنزويلا، وغيرها من البلدان التي تعاني من التضخم المفرط، يستخدمون الدولار والأورو بدلا من العملات الوطنية في التجارة. وحتى لو تم حسابها بالعملة الوطنية، فإن الأسعار تظهر بالدولار. لكن في حالة التضخم العالمي المفرط، لن تكون هناك وسيلة للمدفوعات الدولية، بل وحتى للمدفوعات المحلية ولا شيء على الإطلاق. لا عملة محلية ولا أورو ولا دولار ولا يوان، سيقع الجميع في براثن التضخم المفرط.

من الناحية النظرية، يمكن للمرء أن يأمل في أن تتمكن الصين من الحفاظ على إنتاجها وعملتها، حيث سيكون لديها في البداية فائض من السلع، أي أنه لن يكون هناك تضخم مفرط في المرحلة الأولية. لكن هذا سيعني فوزا فوريا للصين في حربها على الولايات المتحدة. لا أعتقد أن الولايات المتحدة سوف تستسلم بلا حرب ساخنة، وهو ما يعني على الأرجح أن الحصار الذي يفرضه تحالف «أوكوس» AUKUS سوف يعزل الصين، ويوقف معظم صناعاتها، ولن يتمكن اليوان الصيني من إنقاذ التجارة العالمية. بعد ذلك، أخشى أن تنضم الصين إلى البقية، أي أنه سيكون هناك تضخم مفرط في اليوان.

ومن شأن التضخم المفرط في جميع العملات، بما في ذلك العملات الرئيسية في العالم، أن يعطل التجارة العالمية، على الأقل لفترة من الوقت. فلا يمكنك إبرام العقود وتسليم البضائع عندما تتغير الأسعار كل يوم. علاوة على ذلك، فإن التضخم المفرط قاتل للصناعات المعقدة التي تستخدم عشرات الآلاف من المكونات من مئات الشركاء من عشرات البلدان ذات معدلات التضخم المفرط المختلفة.

أولا، سيتوقف الإنتاج المعقد مع التقسيم العالمي للعمل في جميع أنحاء العالم: الهواتف الذكية والسيارات وأجهزة الكومبيوتر والطائرات وأي إلكترونيات وكيمياء وأدوات وما إلى ذلك.

وإذا توقف مصنع الغسالات عن استلام الأبواب، فسيتوقف المصنع بأكمله. وعلى إثر ذلك ستتوقف المصانع التي تنتج الزجاج والمطاط والأسلاك الكهربائية وغيرها لهذه الغسالات عن العمل، أي سيتوقف جميع الشركاء الذين يقومون بتوريد مكونات المصنع الأول. لكن المصنع الذي وفّر المحركات للغسالات كان ينتج إلى جانب ذلك ضواغط لمكيفات الهواء للمصنع الثالث، لذلك فإن إيقاف مصنع الغسالات سيوقف أولا جميع شركائه، ثم جميع شركاء شركائه، وهكذا دواليك.

أي أنه في حالة التضخم العالمي المفروط، ستتوقف الصناعة العالمية بأكملها. في لبنان وروسيا، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، استخدموا الدولار بدلا من الليرة والروبل، لكن هذه المرة لن يكون هناك دولارات، وسيكون هناك أيضا تضخم مفرط في منطقة الدولار. وسيؤدي انهيار الصناعة إلى إصابة كافة البلدان بالشلل، حتى تلك التي تتمتع بفائض في التجارة الخارجية مثل روسيا.

كل ما أفعله الآن فقط هو وصف ما رأيته في روسيا خلال تسعينات القرن الماضي، ولكن هذه المرة سيكون الأمر أسوأ.

بعد الأشهر الأولى من الإغلاق، من المحتمل أن تستأنف الصناعات الأكثر بدائية فقط العمل، لا سيما تلك التي ستكون قادرة على التحول إلى المقايضة، أي أن تدفع لبعضها البعض سلعها. ستقوم مصفاة النفط باستبدال طن البنزين بـ 10 خرفان من المزارع، وتعطي 5 خرفان لمورد النفط، الذي سيعطي اثنين لمورد الأنابيب، واثنين كأجور للعمال. هذه هي الحالة الأكثر ملاءمة، وعادة ما تحاول المصانع أن تدفع لبعضها بأطباق الخزف والطوب وإطارات السيارات والأسرة والقمصان وغيرها من السلع التي تنتجها. كان هذا هو الحال بروسيا في التسعينات، حيث أغلقت معظم المصانع أبوابها ببساطة لأن التوربينات والقاطرات الكهربائية والسلع المعقدة المماثلة لم تكن مناسبة للمقايضة.

ستستخدم هذه المصانع نفس السلع لدفع أجور عمالها. وستظهر أسواق عفوية عملاقة حيث سيبيع عمال هذه المصانع ما حصلوا عليه من صاحب العمل بدلا من الأجور. سيكون هؤلاء هم المحظوظين الذين لم يفلس أصحاب أعمالهم ولم تغلق مصانعهم.

وكما قلت، من المرجح أن تكون الصناعات المعقدة هي الأولى التي يتم إغلاقها، وستكون لديها فرصة أقل لإعادة فتحها بعد الصدمة الأولى. وربما لن يتم فتح سوى أبسط الصناعات، فتنتج سلعا منزلية يسهل إنتاجها وبيعها في السوق نسبيا.

هكذا ماتت الصناعة القوية في الاتحاد السوفياتي، وازدهر منتجو المواد الخام بشكل رئيسي، حيث كان هناك طلب خارجي عليها بالدولار. إن حقيقة ولادة روسيا من جديد هي معجزة تعتمد على الصبر الهائل وغير المسبوق الذي تحلى به الشعب الروسي، حيث استمر الناس في العمل بالمصانع دون الحصول على أجور لعدة أشهر. ولذلك، تم الحفاظ على جزء من الصناعة المعقدة في روسيا، وكان هذا كافيا لإحيائها. وأشك في إمكانية حدوث ذلك في بلدان أخرى.

سيؤدي الإغلاق الكامل للصناعة إلى زيادة حادة في البطالة وأعمال الشغب والثورات والفوضى، ممّا سيزيد من تفاقم عواقب توقف الاقتصاد. وسيتم الإطاحة بالعديد من الحكومات. وستكون البلدان التي تعاني من ميزان تجاري سلبي وانعدام الأمن الغذائي، وخاصة بعض البلدان العربية، معرضة للخطر على نحو خاص.

لكن، ولنفترض جدلاً أنه لا توجد أعمال شغب. سيؤدي إغلاق الصناعة والتضخم المفرط للعملات الوطنية إلى إضعاف الحكومات المركزية. وستحظر العديد من المناطق في البلدان الكبيرة تصدير السلع، مثل المواد الغذائية خارج مناطقها لمكافحة النقص. وستظهر مراكز للقمارق داخل البلدان وبين المناطق، ممّا سيزيد من تعقيد التجارة. في الوقت نفسه، ستبدأ عدد من المناطق وحتى الشركات الكبيرة الفردية في إصدار عملاتها الخاصة.

وبطبيعة الحال، سيتبع ذلك حتما الانفصالية السياسية، وسيرغب القادة المحليون في أن يصبحوا ملوكا على ممالك صغيرة، وستبدأ الدول الكبيرة في الانهيار. سيؤدي ذلك إلى قطع العلاقات الاقتصادية بشكل أكبر، حيث ستزيد القمارق الإضافية والعملات المختلفة من الصعوبات التي تواجه الصناعة.

باختصار، ستحدث عملية بدائية سريعة للغاية للاقتصاد في مختلف أنحاء العالم، في غضون عام أو عامين، وفي بعض الحالات في غضون عدة أشهر.

وستكون البلدان الزراعية المتأخرة هي الأقل معاناة، وسوف تختفي العديد من الصناعات الفريدة. آمل أن نحافظ على تكنولوجيا الكومبيوتر، على الرغم من أنه من المرجح أن يكون هناك تراجع في هذه المجال لعدة مستويات إلى الوراء.

يمكنك الآن أن تتخيل بنفسك العواقب الاجتماعية والسياسية. لكنني سأضيف أن المعاشات التقاعدية والمزايا الاجتماعية إذا لم تختف، فإنها ستنخفض بشكل كبير. سوف ينخفض مستوى الطب، ومعدل المواليد، الذي انخفض بالفعل إلى ما دون مستوى الإحلال في العالم، سيواصل انخفاضه بشكل كبير. وستكون هناك مجاعة في بعض المناطق. وبعدد من البلدان سيكون هناك انهيار في البنى التحتية مع نزوح الناس من المدن. ستكون هناك ثورات وحروب أهلية في بعض البلدان، وستنهار بلدان أخرى، وتختفي بلدان ثالثة، وسوف يتبع ذلك هجرات عملاقة.

وفي ظل السيناريوهات المتفائلة للغاية، إذا تمكنت الصين وروسيا من هزم الغرب بسرعة، فإنه ستكون أمام عملتيهما فرصة للبقاء مستقرتين وتصبحان عالميتين، وهو ما من شأنه أن يخفف من الضربة التي سيتلقاها الكوكب بأكمله. وأنا أذكر روسيا والصين فقط لأن كلا البلدين يتمتعان بميزان تجاري إيجابي وصناعة متطورة، وهو ما يمنحهما الفرصة لتجنب التضخم المفرط. لكن الصين تعاني من ديون ضخمة ونقص في الموارد، وروسيا ليست مكتفية ذاتيا في الصناعة، أي أنه ليس لديهما سوى فرصة، وليس ضمانا. لكن تحالفهما التكميلي قد يكون قادرا على ضمان النجاح.

في السيناريو الأكثر ترجيحا، وفي غضون سنوات قليلة، سوف تتمكن البلدان التي تمكنت حكوماتها من إغراق الاحتجاجات في الدماء والحفاظ على الدولة والقطاعات الرئيسية للاقتصاد من تثبيت التضخم من خلال ربط عملاتها بالذهب وبالتالي استعادة مصداقيتها. سيتم جذب الجيران والأقاليم الأضعف التي فقدت دولتها بسرعة كبيرة إلى مدار هذه البلدان. وسيظهر عالم جديد يضم عددا من المراكز الإقليمية التي ستبدأ مرة أخرى في التنافس مع بعضها البعض. وسيبدأ الاقتصاد في النمو تدريجيا مرة أخرى، وتبدأ دورة جديدة.

ولنتذكر أننا نمرّ بكل هذه الأحداث «السارة» بفضل حقيقة أن الولايات المتحدة قامت بفك ارتباط الدولار بالذهب في سبعينات القرن الماضي وبدأت في طباعة النقود غير المدعومة بالسلع بشكل غير محدود. لقد عاش الأمريكيون والأوروبيون حياة جيدة في العقود الأخيرة بفضل حقيقة أن عملاتهم تتمتع بمكانة العملات العالمية. تصرفوا بشكل غير مسؤول، وأساؤوا استخدام حقهم في طباعة العملات العالمية، وأنشأوا هرما عالميا من الديون، سيدفع الكوكب بأكمله ثمن انهياره.

وأخيرا نصيحتي: احتفظوا بمدخراتكم من الذهب والفضة، ولكن ليس بالدولار والأورو.

35 صفحة

الشارع الثقافي

العدد 411 - من الثلاثاء 25 جوان إلى الاثنين 1 جويلية 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

الدكتور المنصف بن عبد الجليل المختص في الحضارة العربية الاسلامية لـ«الشارع المغاربي» :

فشل الدولة الوطنيّة راجع إلى معضلة داخليّة تتمثّل في تسييرها وفي اشتغال مؤسّساتها

• أشعر بالقتامة والحزن لأنّ الإنسانيّة خسرت مصداقيّتها الحقوقيّة والأخلاقيّة

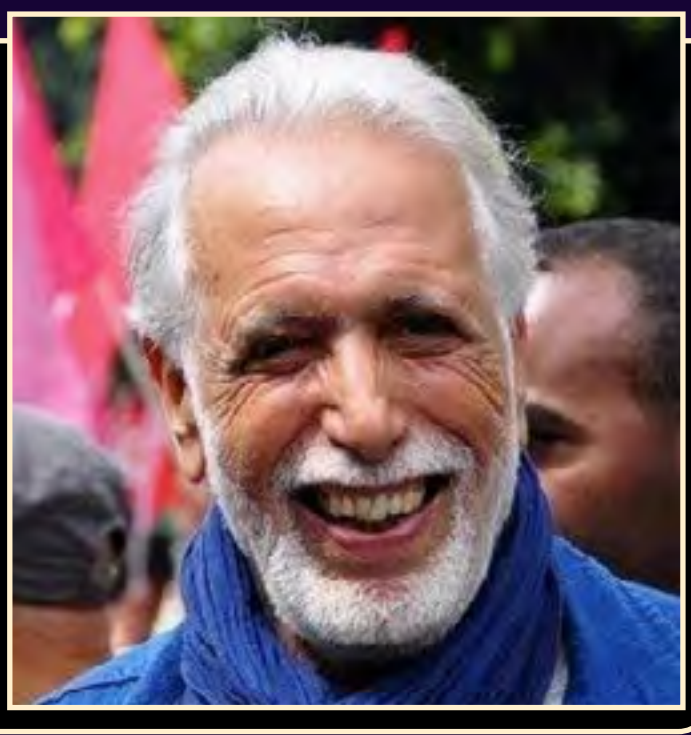

خميس الخياطي
رحل جسدا وبقي أثرا...
قصة حياة مليئة بالسينما والصحافة والكتابة والمواقف

بقلم : خالد نجاح

وقفة

صناعة الإرهاب وتوظيفاتها الهيمنية

بقلم : محمد الشريف فرجاني

سينما

السينما الافريقية بين إرادة التحرر وضغوطات الدعم

بقلم : سعاد زريبي

وقفة

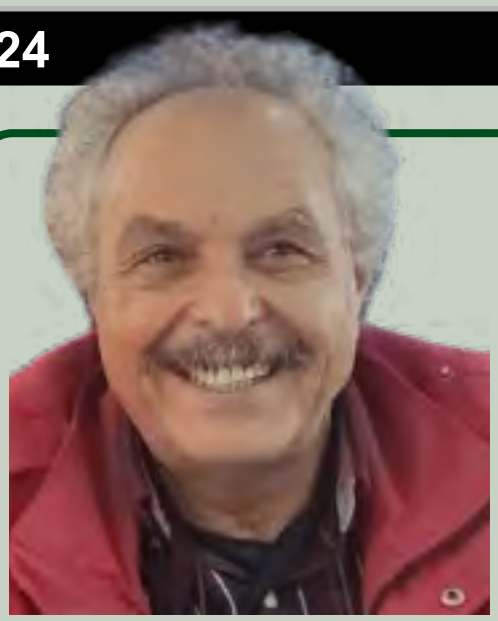

صناعة الإرهاب وتوظيفاتها الهيمنية

بقلم : محمد الشريف فرجاني

يمكن الكلام عن صناعة للإرهاب – على نفس النحو الذي نتكلم به عن صناعة الخوف، وصناعة الإذعان أو صناعة الرأي العام –، وفق ما تقتضيه مصلحة الأقوى لتجريم كل مقاومة لمختلف أشكال الهيمنة والاستغلال والاضطهاد والاحتلال اعتمادا على شتى أنواع القهر بما فيها ما ينطبق عليها تعريف الإرهاب الذي أشار إليه تشومسكي

يقول أفرام نعوم تشومسكي – الذي تناقلت وسائل الإعلام إشاعة وفاته إثر دخوله المستشفى في البرازيل يوم 18 جوان 2024 – إن الإرهاب ليس سلاح الضعفاء، كما يروج إلى ذلك، بل هو، ككل الأسلحة الأكثر فتكا ودمارا، سلاح أقوى الدول التي تسعى إلى الحفاظ على هيمنتها. وينطلق مؤلف «صناعة الإذعان» من التعريف الرسمي للولايات المتحدة الأمريكية، كما ورد في المناهج المعتمدة قي تكوين الجيش الأمريكي، ليلفت النظر إلى التنصيص في هذه المناهج على أن «الإرهاب هو الاستخدام المدروس بدقة للرعب بغية الوصول إلى غايات سياسية أو دينية، بممارسة العنف، أو التهديد بممارسته، والتخويف والإكراه وبث الخوف». ويلاحظ أن هذا التعريف ينطبق تماما على ما تقوم به بلاده منذ قرون في أمريكا لطرد الهنود من ديارهم والسعي إلى إبادتهم، وعلى ما شنته من حروب في شتى أنحاء العالم التي طالتها هيمنتها وآلتها العسكرية المدمرة. ويذكر تشومسكي أن الجمعية العمومية للأمم المتحدة صادقت سنة 1987 على قرار يدين الإرهاب لم تعترض عليه سوى دولتين، الولايات المتحدة وإسرائيل، في حين أمسكت الهندوراس على التصويت، لا لسبب إلا لأن القرار أوضح أن الإرهاب المدان لا يتعارض مع حق الشعوب في مقاومة النظم الاستعمارية أو الاحتلال العسكري. وفي نفس الاتجاه، يذكر إدوارد بيك1، الرئيس السابق للبعثة الأمريكية في العراق بعد اجتياحه من طرف قوات بلاده، والسفير الأسبق للولايات المتحدة في موريتانيا، أن قيادة الجيش والرئاسة الأمريكية في عهد ريغن طلبتا سن قانون واضح يمكن الاعتماد عليه في مقاومة الإرهاب، وأنه تم تقديم ستة مشاريع قوبلت كلها بالرفض لأنها تنطبق، في جانب منها، على ما تقوم به الولايات المتحدة وحلفاؤها قي علاقة بالدول والجماعات المسلحة المناهضة لهيمنتها ولمصالحها في هذا البلد أو ذاك. ويستنتج من ذلك أن الإرهاب لا يوجد إلا في عين المتكلم، يشير به إلى أعمال من يرى فيهم أعداء متربصين به وبمصالحه، ويرفض أن تنعت به أعماله. فالإرهابي هو دائما الآخر، ولا أحد يعتبر أعماله، بما فيها الأكثر وحشية وتدميرا، بأنها تدخل في باب ما يسميه بالإرهاب. ولعل ذلك من العوامل التي لا يوجد بسببها تعريف قانوني كوني للإرهاب، تقبل به كل الدول التي تفضل، على غرار الولايات المتحدة وخلفائها، الكلام عن مقاومة الإرهاب والمماطلة في سن تعريف قانوني له، تعتمد عليه هذه المقاومة أيا كان مرتكبه وأيا كانت ضحيته.

والإرهاب شأنه شأن كل أنواع العنف المنعوت بأنه «غير شرعي» لأنه غير مسنود بقوة المتغلبين والماسكين بزمام الأمور، على هذا الصعيد أو ذاك: ما يسمى بالحروب الانفصالية وبالفتن... قبل أن تنتصر، وعندها يصبح الإرهاب مقاومة، والحروب الانفصالية حروب استقلال والفتنة جهادا، الخ، على نحو ما بينته في كتابي السياسي والديني في المجال الإسلامي2. وبناء على ذلك يمكن الكلام عن صناعة للإرهاب – على نفس النحو الذي نتكلم به عن صناعة الخوف، وصناعة الإذعان أو صناعة الرأي العام –، وفق ما تقتضيه مصلحة الأقوى لتجريم كل مقاومة لمختلف أشكال الهيمنة والاستغلال والاضطهاد والاحتلال اعتمادا على شتى أنواع القهر بما فيها ما ينطبق عليها تعريف الإرهاب الذي أشار إليه تشومسكي. فحرب التحرير الجزائرية، مثل المقاومة الفرنسية للاحتلال النازي، كانت إرهابا، وكذلك الأمر بالنسبة للمقاومة الفلسطينية اليوم وبالنسبة لنضال نلسون منديلا ضد الميز العنصري وسيادة البيض في جنوب إفريقيا. وهو ما يشهد عليه حوار، جرى في بداية تسعينات القرن العشرين، بين سيمون فاي3 واسحاق شامير الوزير الأول الإسرائيلي آنذاك. فعندما أشارت عليه بضرورة التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطيني، اجابها بانه لا يمكن التفاوض مع منظمة إرهابية. ولما ذكرته بانه سبق له أن حوكم بتهمة الإرهاب، مع عدد من مؤسسي دولة إسرائيل، من طرف سلطة الانتداب البريطاني إثر قيامهم بتفجير فندق الملك داوود في القدس قبل سنة 1948، لم يتورع عن إجابتها بكل صلف قائلا: «ولكننا نحن انتصرنا...» وكأن الانتصار يحول الجريمة إلى فضيلة ويكفي لتغيير طبيعة الأفعال والسلوكات ليضفي عليها شرعية لم تكن ولا يمكن ان تكون لها.

وفضلا عما تتميز به صناعة الرهاب اليوم من مكر وصلف وكيل بمكيالين وفق منطق المقابلة بين « الصديق والعدو» و«الأنا والآخر» وقانون الغاب القائم على أولوية حق الأقوى والغالب على حقوق الضعفاء والمغلوبين، لا بد من التذكير بأن أولى استعمالات الإرهاب المعاصرة كانت للإشارة إلى نظام للحكم عرفته فرنسا بعد ثورة 1789 سمي «نظام الرعب»4 الذي ساد مع روباسبيار5 وانتهى بإعدامه، قبل ان يتم حصر استعماله على ما يقوم به الأفراد والجماعات غير الحكومية ضد الدول، أيا كانت سياسات هذه الأخيرة وطبيعتها، وأيا كانت أهداف الأعمال الموصوفة بالإرهاب. وقد استمر هذا الاستعمال من نهاية القرن التاسع عشر إلى نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي وما نتج عنه من تفرد الولايات المتحدة بوضع نظام عالمي جديد تحدد قوانينه وفق ما تفتضيه مصالحها ومصالح حلفائها، فأصبحت تهمة الإرهاب تشمل، إلى جانب الأفراد والحركات المناهضة لهيمنتها، الدول التي ترى في وجودها وفي سياساتها تهديدا لمصالحها ولتي فقدت الحماية التي كان يوفرها لها التحاد السوفياتي. فصارت هذه الدول، دون سواها، متهمة بالإرهاب لتبرير الهجوم عليها وتدميرها باسم مقاومة الإرهاب والدفاع عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، على غرار ما وقع في العراق وفي ليبيا وأفغانستان. وهكذا تعولمت مقاومة الإرهاب بعد أن كانت مسألة داخلية أو، في بعض الأحيان، جهوية، مؤدية بذلك إلى عولمة الإرهاب ذاته بعد أن كان محليا. فأصبحت صناعة الإرهاب صناعة أمريكية بالأساس، ومازال الأمر كذلك رغم أن روسيا استعادت ما كان للاتحاد السوفياتي من قدرة على الوقوف في وجه الولايات المتحدة وعلى منافستها في هذا الجال، فتعددت صناعات الإرهاب وتنوعت مصادرها وأسواقها وتوجهاتها.

وقد فضحت صناعة الإرهاب من طرف الولايات المتحدة وحلفائها، منذ نهاية الحرب الباردة، النفاق الذي قامت عليه هذه الصناعة تحت غطاء الدفاع عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، في حين أنها دأبت على ارتكاب أفظع جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وعلى انتهاك حقوق الإنسان، بما فيها حق الشعوب في تقرير مصيرها، سواء بصورة مباشرة أو عن طريق حلفائها والمرتبطين بها طمعا في فتات ولائمها أوخوفا من بطشها.

وقد جاءت حرب الإبادة في غزة، وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة، المنقولة مباشرة عبر مختلف وسائل التواصل، لتزيح آخر الأقنعة عن حقيقة تعامل الولايات المتحدة والدول الغربية المساندة لإسرائيل مع الإرهاب. وأمام إمعان هذه القوى في صلفها وفي سياسة الكيل بمكيالين، سواء في علاقة بمسألة الإرهاب أو في علاقة بقضايا الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان، لم يعد بالإمكان تجاهل هذا التعامل أو السكوت عليه دون أن يكون ذلك مشاركة في الجريمة. فخرج المتظاهرون في الجامعات وفي شوارع المدن الامريكية والأوروبية، وفي كل أنحاء العالم، بل وفي إسرائيل نفسها، للتعبير عن إدانتهم لسياسة الإبادة والتطهير العرقي والميز العنصري والإرهاب المنهجي، التي تمارسها إسرائيل بدعم من أمريكا والدول الغربية بل ومن دول عربية وعدد من دول الجنوب مثل الهند والأرجنتين، وهو ما يفند أطروحة المواجهة بين الغرب و«الجنوب الشامل»6. وهو ما يؤشر على تنامي الوعي، خاصة في صفوف الشباب، بحقيقة الإرهاب كصناعة تقف وراءها الدول العظمي، وفي مقدمتها الولايات المتحدة وحلفاؤها، على غرار ما بينه منذ عقود أفرام نعوم تشومسكي.

---

1 – Edward Pick

2 – الصار في طبعة جديدة محينة عن دار نيرفانا للنشر بتونس سنة 2023

3 – Simone Veil

4 – Régime de la terreur

5 – Robespierre

6 – Le Sud Global

الدكتور المنصف بن عبد الجليل المختص في الحضارة العربية الاسلامية لـ«الشارع المغاربي»:

فشل الدولة الوطنيّة راجع إلى معضلة داخليّة تتمثّل في تسييرها وفي اشتغال مؤسّساتها

• أشعر بالقتامة والحزن لأنّ الإنسانيّة خسرت مصداقيّتها الحقوقيّة والأخلاقيّة

حاورته : عواطف البلدي

الحديث إلى أستاذ الدراسات العربية والحضارة الاسلامية الدكتور المنصف بن عبد الجليل متعة وتحقيق معرفة في آن. مفكر رصين يخوض في كثير من القضايا باقتدار المتمكّن الذي خبر دروب الفكر والثقافة العربية الاسلامية..

في هذا الحوار صغنا أسئلة حول تخصصه الحضارة العربية الاسلامية وعن قسم الانثروبولوجيا الذي أحدثه الى جانب الدراسات الإفريقية خلال توليه منصب عميد كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة سوسة.. تطرقنا معه إلى إشكالات وقضايا تشغل ضمير المسلم المعاصر وتحتاج دائما إلى إعادة النظر بحثا وتفكيرا كمسائل التراث والوحي والحداثة والاصلاح والجامعة والمدرسة والراهن السياسي وعلاقة الثقافة بالدين ونقاط كثيرة أخرى..

أسست قسم الانثروبولوجيا والدراسات الافريقية عند توليك منصب عميد كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة سوسة، لو تحدثنا عن الإضافة التي قدمها ذلك القسم اليوم؟

حرصت بالفعل على إحداث اختصاص جديد هو علم الإناسة أو الأنثروبولوجيا. وقد ذكرت الظروف التي أنشئ فيها القسم والحاجة إلى مثل هذا الاختصاص في أحد الأجزاء من كتابي «بذور المواسم». ولكن الجدير بالذكر أنّي أسّست هذا الاختصاص مع ثلّة من الأساتذة المختصّين تونسيّين وأجانب، ووجدت الإقبال عليه مشجّعا في بدايات التجربة.

ثمّ أعددتُ والزملاء مشروع الماجستير في «الدّراسات الإفريقيّة» بالتعاون مع جامعة بايروت الألمانية، وهي الجامعة المختصّة أيضا في هذا المجال. وكانت الغاية من هذا الجمع بين الأنثروبلوجيا والدراسات الإفريقيّة أن يتحوّل الدّرس الأنثروبولوجي بعد الإجازة إلى درس تطبيقي على المجتمعات الإفريقيّة وحضاراتهم. وأعتقد أنّ قسم الأنثروبولوجيا والماجستير في «الدراسات الإفريقيّة» قد سدّا فراغا بالجامعة التونسيّة وقتها.

أمّا الحديث عن الإضافة التي قدّماها اليوم فصعب للحاجة إلى مزيد من الوقت ليتبلور الأثر. ولكن ما أعلمه منذ البداية أنّ قسم الأنثربولوجيا بالكليّة قد ساعد على إنشاء التفاعل الأكاديمي والعلميّ بين الأقسام، وتحوّل إلى قسم يجمع المؤرّخ والجغرافيّ ودارس اللغات والأدب، وظهر نوع من المنهج الأفقي الحاسم في ما يسمّى اليوم «بالدراسات البينيّة». وهذه إضافة مهمّة تخفّف من حدّة انقطاع الأقسام عن بعضها. وربّما توجد إضافة أخرى تتمثّل في إجراء بحوث ميدانيّة على المهاجرين الأفارقة الذين حلّوا ببلادنا، وأعتبر هذه المحاولات العلميّة الأولى مهمّة في فهم طبيعة التقبّل التونسي للعنصر الإفريقي، رغم أنّ التونسيين هم أفارقة دون أدنى شكّ. بل لعلّ هذه البحوث الميدانيّة قد تساعد على المدى المتوسّط والبعيد على نشر القيم الإنسانيّة الكونيّة وتخفّف من حدّة العنصريّة التي ظهرت ببلادنا في بعض المناسبات. وأرى أخيرا أنّ أهمّ إضافة أحدثتها هذه الدراسات الأنثروبولوجيّة والإفريقيّة

هي تأثّر الدّراسات الأدبيّة واللغويّة والتاريخيّة والجغرافيّة بالكليّة بالدراسات الأنثروبولوجيّة تأثّرا منهجيّا وتأويليّا. وهو ما يزيد «المنهج البيني» صلابة واستقامة. أقول هذا على سبيل التفاؤل بما سيتركه هذا المجال من العلوم الإنسانيّة من الأثر كلّما تقدّمت به التجربة بالكلية وبالجامعة التونسيّة. وعموما بدأت تظهر سلسلة جديدة تحمل عنوان «دراسات إفريقيّة»، وتضمّ إلى حدّ الآن ثلاثة كتب، يشرف عليها أحد أساتذة القسم بالكليّة، وفيها جدّة نرجو أن تتطوّر لتترك الأثر الواسع لدى القارئ عموما.

ما هي التحديات التي تواجه علماء الأنثروبولوجيا في أبحاثهم؟

يبدو أنّ السّؤال يهمّ علماء الأنثروبولوجيا على وجه الإجمال. وأميّز شخصيّا بين التحدّيات التي تواجه علماءنا هنا في تونس وما يواجهه علماء الأنثروبولوجيا عموما. يعاني علماؤنا من الضيق الشديد بكلّ أنواعه حين الإقبال على العمل الميداني وإجرائه بكل الضوابط العلميّة المرسومة. وربّما كان التحدّي الأكبر الذي يواجهه علماء الأنثربولوجيا عموما هو القدرة على تمثّل «الآخر المختلف» كما - هو في حضارته، وتصوّره لذاته. مازالت الكتابة عن الآخر جزءا من الكتابة عن الذات، ومازالت الكتابات الأنثروبولوجيّة الغربيّة مشربة بالمركزيّة الثقافيّة الغربيّة. ولبعض العلماء وعي شديد بهذا التحدّي لذلك كتبوا مقالات بل كتبا مفردة عن تحوّل الأنثربولوجيّ إلى ذاتيّة مقيتة وهو يكتب عن الآخر المختلف. صحيح أنّ الدّارس لا يمكنه أن يتخلّص من نسق تفكيره ولا من المقارنات الممكنة التي تتبادر إلى ذهنه على سبيل التداعي، ولكنّ الأحكام التي يرسلها هي التي تقتضي شيئا من الحذر والتفكير النّقدي الذي يعني في النهاية تخلّصا من الذّات الدّارسة إلى الحلول في روح الذات المدروسة كما- هي. ويعتبر تحدّي تفهّم الآخر رهانا كبيرا لأنّ الدّارس حيثما كان، يتلقّى سهاما من كلّ صوب: من الصحافة ووسائل الإعلام، ومن الكتب التمجيديّة، ومن المعلومات الكثيرة والمتفاوتة وثاقة، ومن نظرته هو إلى علميّة المعرفة «الراجحة» عنده، ومن النّظريات الجديدة في تشكّل الظواهر، أي من كلّ ما هو من سلطة المعرفة أو ما يُظَنُّ سلطةً. ولنا درس بليغ في مواقف الأنثروبولوجيّين (وحتّى الفلاسفة والمؤرّخين) من الحرب الجارية على غزّة.

الى أي مدى نجحت الانثروبولوجيا أو المنهج الانثروبولوجي في معالجة مواضيع باتت محرمة كظاهرة الوحي استنادا الى السيرة النبوية مثلا أو مسألة العجيب الخلاب في القرآن أو اشكالية المعنى وغيرها من العناصر التي كان الفكر التقليدي الاسلامي قد قال كلمته فيها ورفض كل محاولة تريد العودة الى النبش في مثل هذه الامور؟

يدخل هذا السؤال في ما يسمّى «بالأنثروبولوجيا الدينيّة»، وفيها يعتبر الدّين «ظاهرة». وفي المجال الإسلامي يشمل الدين النّصوص التأسيسيّة، ويشمل أيضا ما أسميته يوما بـ«النصّ الإسلامي» أي الشّروح التي وضعها علماء المسلمين لتلك المصادر التأسيسيّة والأخبار التي عدّلوها وأضحت عندهم بشروطهم،

صادقة ومقبولة عقلا وشرعا. الأنثربولوجيا تراجع كلّ ذلك مراجعة عقليّة، وترجّح منها ما يكون ممكنا حسب سنن العمران البشري مثلما قال ابن خلدون في تأسيسه للنّظريّة التاريخيّة. ومن هنا عسر على المسلمين المعتقدين المؤمنين قبول نتائج المنهج الأنتربولوجي إلاّ من كان منهم علميّ التفكير القادر على التمييز بين المعرفة والإيمان. وكان من عداهم غير مقتنع بما يقول الأنثروبولوجي لأنّ مراجعة الأسس والمقدّمات شأن مخيف غير مأمون العواقب. قد تقوّض تلك المراجعة سلطة الخبر، وهي السلطة التي يتحصّن بها المؤمن. وقديما ذهب الكثير من علماء المسلمين إلى القول بإبطال الجدل، وردّ علم الكلام، وإيثار الخبر وتقليد السلف الصالح على ما دون ذلك من مراجع المعرفة. لهذا لم تنجح الأنثروبولوجيا في المحضن الفكري حيث الأغلبيّة المسلمة. وإن نجحت في بعض الدراسات فأثرها محدود جدّا. وهذا في نظري مرتبط بأثر الحداثة الفكريّة في ذات المحضن. ولعلّ الوضع يتغيّر في قابل الأيّام والعصور.

ومع ذلك فالوحي المحمّدي في ترجيح الأنثربولوجي ظاهرة لا تخرج عن سياق الذهنيّة العربيّة التي نشأ فيها محمّد. والخبر عنها تصوّر بشريّ لدى مَنْ تقبّلها سواء كان معاصرا للنبوّة أو بعيدها، أو من تقبّلها لاحقا، ولكلّ منهم بها صلة تعبّد معلنة. أمّا الدّارس فيريد تفهّمها في ظروفها وسياقها ومن خلال معارضيها والمعارك من حولها، ومن خلال سيرتها الاجتماعيّة والاقتصاديّة؛ وهيهات أن ندّعي اليوم أنّنا نعلم كلّ تلك التفاصيل لأنّ ما دوّن أو ما بلغنا على وجه الرواية والإخبار مشوب بالكثير من النوازع الفرقيّة والتعبّديّة والدفاعيّة التي تجتمع كلّها في البحث عن الخلاص من خلال التعبّد لدين جديد قوّض ما سبق وأنار الكون بفضيلة التوحيد. ولكن هل ينكر اليوم أنّ ما عدّ «جاهلية» يشمل أيضا حضارة مرموقة ومتقدّمة؟ ويكفي أن نعود إلى النقائش المكتشفة في مواقع مثل «محرم بلقيس» أو «قانية» أو «قرية الفاو» لندرك أنّ الوحي المحمّدي كما تجلّى في نصّ القرآن البالغ إلينا هو جزء أيضا من تلك الحضارة الراقية. وهنا بالذات أجيب عن سؤالك «هل يعتبر الدين الإسلامي ظاهرة من خارج الثقافة أم هو جزء منها: جوابي أنّه جزء من تلك الثقافة التي شهدها محمّد نفسه ومعاصروه. وتوجد اليوم دعوة علميّة وجيهة ترى أن تدرس ظاهرة الدين الإسلامي في محضنين: هما الحجاز من ناحية وحضارة جنوب الجزيرة العربيّة بما فيها حضارة اليمن، من جهة أخرى. وفي هذا الأفق من التفكير الأنثروبولوجي يتنزّل كلّ ما ذكره سؤالك من أمر اللغة والاستعمال البلاغي والعجيب والخلاب، وصدقيّة الأخبار فضلا عن تأويل القدامى للمعجزة المحمّديّة لأنّ كلّ ما قاله قدامى المسلمين وكلّ ما قاله القرآن عن نفسه إنّما هو خطاب حجاجيّ، لا تتردّد الأنثروبولوجيا في تفكيكه تفهّما لأركانه ومقوّماته خارج مبدأ التعبّد. وقد حرّرنا في ذلك الفصل الأوّل من كتابنا الأخير الموسوم بـ»من اللحظات التأسيسيّة في الإسلام» وشرحناه بالتفصيل.

ومع ذلك نرى أنّ بعض المؤرّخين الذين كانت لهم دراية واسعة بالمنهج الأنثروبولوجي قد ذهبوا مذهبا «مشطّا» في إنكار الحدث المحمّدي والقرآني، على رأسهم أصحاب المدرسة النفاتيّة فأنكروا أن يكون القرآن كما روت أخبار المسلمين، كما شكّكوا في تاريخيّة محمّد، وردّوا كلّ ما نسب إلى القرنين الأوّل والثاني. وقد ظهرت مصاحف صنعاء شاهدة على تهافت هذه النّظريّة. ونشر الباحث الإيراني د. صادغي مقالا مطوّلا حلّل فيه إحدى الصحف القرآنيّة المكتشفة بصنعاء، واستنتج نقيض النظريّة النفاتية. وقد ذهبت وداد القاضي في مقال لها نشرته في الكتاب الجماعي «في قراءة النصّ الديني»، (نحو نهج سليم في قضية موثوقيّة الرسائل العربيّة الإسلاميّة، الكتاب، ص 162-127) إلى نقيض هذه النظريّة حين اعتبرت الرسائل غير محدثة بعد عهدها الذي نسبت إليه. وفي مقال بسّام الجمل الذي سينشر قريبا ضمن الأعمال المهداة إلى عبد المجيد الشرفي، عن «بيت الحكمة»، تفصيل لأهمّ هذه النظريّات وتجاوز لما قيل في تاريخ القرآن وما يمكن أن يقال تجديدا للنّظر.

فيم يبرز تفرّد محمّد بالنسبة الى غيره من الرسل والانبياء في مسألة تلقيّ الوحي؟

تفرّد محمّد من بين سائر الأنبياء والرّسل، وقد شرح ذلك المرحوم هشام جعيط في الجزء الأوّل من ثلاثيّة السيرة التي كتبها. وقد شرح نفسيّة النبيّ وصدقه. وقد عطف على ذلك عبد المجيد الشرفي في فصل مهمّ عن محمّد والوحي في «الإسلام بين الرسالة والتاريخ»، وهما كتابان أبعد ما يكون الأمر فيهما تعبّديّا. وقد شرحنا في الفصل المذكور من كتابنا الذي ذكرنا جانبا آخر في شأن محمّد وهو رجحان نبوّته في وقتها حين نافسه آخرون

لو وُجّهت أموال الحجّ إلى مستحقّيها لما بقي محتاج ولا فقير في بلاد المسلمين

فرادة النبي محمّد تكمن في بشريّة سيرته وتفاعله الدقيق مع واقعه المتقلّب

لهشام جعيّط وعبد المجيد الشرفي خصلتين يشتركان فيهما: القدرة على تجديد نظرتهما وتأويل التفاصيل رغم ثبات النّصوص، وإتقانهما الاستئناس بفلسفة التاريخ والعلوم الانسانيّة المصاحبة

لا بدّ من أحزاب تدير الشأن السياسي ولا بدّ من حريّة فكريّة وسياسيّة تضمن للأحزاب نشر آرائها ومشاركتها في تسيير الدّولة والشأن العام معا

أستحضر مثال أندونيسيا وآراء علمائها ومفكّريها فأجدها جديرة بالتنويه والتدبّر... لقد مالوا بالتديّن إلى جوهره الأخلاقي، وبالتطوّر العلمي الساند لنموّهم ولتقدّمهم إلى الحداثة

معاصرون له، في النبوّة. ولا تتمثّل فرادة محمّد في تلقّي الوحي وحسب، وقد روت الأخبار على ما فيها من المبالغات الواضحة، قصّة نزول الوحي، ولكنّ فرادته تكمن أيضا في بشريّة سيرته، وتفاعله الدقيق مع واقعه المتقلّب، وقدرته الفائقة على التعامل والتعاهد والتوسّل بأساليب العصر في سياسة الدّعوة. فرادة في مكّة وفرادة في يثرب، وفرادة في تشكيل السرايا والهجرة. كان محمّد منغرسا في سياق الثقافة التي عاصرها، خبيرا بها. وكان الوحي من ثمّ جزءا لا ينقطع عنها دون أن يكون مجاريا لها. ولفهم هذا التواشج والاختلاف يمكن الاطّلاع أيضا على ما كتبه فضل الرّحمان في أحد الفصول الأولى عن القرآن ومحمّد في كتابه «الإسلام والحداثة».

في حديثه عن الوحي قال عبد المجيد الشرفي «لقد كان محمد صادقا نزيها فيما قال عن احساسه (...) فبلّغ ما رأى...» هل تعتبر الوحي لغة ام لسانا ام ماذا تحديدا؟

اتّفق كلّ من هشام جعيط وعبد المجيد الشرفي على صدق محمّد فيما بينه وبين نفسه. واختلف العلماء القدامى في أمر نزول الوحي وطبيعته، وذكر السيوطي ما أضحى شائعا معلوما في كلّ الدراسات. ولعلّ أهمّ من تناول هذه المسألة بالتحليل من بين العرب هو نصر حامد أبو زيد في كتابه الشهير «مفهوم النصّ». وذهبنا، في ما يخصّنا، إلى أن الوحي قبل أن يبلغ النبي هو من طبيعة كلام الله في الاعتبار، وهو من ثمّ جهاز لغويّ مطلق، لأنّنا لا نعرف له طبيعة رغم ما تقول الأخبار من أنّه لسان عربيّ، ورغم ما يروى عن اللوح المحفوظ. ولكن ما أن نزل الوحي على النبي حتّى أضحى مفهوما لديه أي من ذلك اللسان العربي الذي يفهمه النبيّ. وتأوّلنا أنّ اللغة الربّانيّة المطلقة قد تحيّزت في لسان عربيّ، يفهمها النبيّ أوّلا فالنّاس من بعده حين يبلغهم الوحي. ومن ثمّ كان القرآن وحيا متحيّزا يندرج في كلام العرب ومواضعاتها اللسانيّة والذهنيّة والتفكيريّة؛ ويضحي الوحي المتحيّز جزءا من لسان النّاس وحضارتهم، بل يصبح النصّ المقدّس في اعتبار النّاس والقرآن نفسه، محاورا لما استقرّ من أسس التخاطب بين العرب. وقلنا في شيء من إثارة التفكير عند الطلبة: إنّ العربيّ طرف في الوحي من باب اللسان ومواضعاته.

وقد استلهمنا ذلك من الروايات الكثيرة التي ذكرها السيوطي في النّوع السادس عشر من كتاب الإتقان، والموسوم بـ»في كيفيّة إنزاله»، بل ذكر في بعض الأقوال أنّه نزل على ثلاثة وجوه: «أحدها أنّه اللفظ والمعنى، وأنّ جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به. (...) والثاني: أنّ جبريل إنّما نزل بالمعاني خاصّة، وأنّه صلعم علم تلك المعاني وعبّر عنها بلغة العرب، (...) والثالث أنّ جبريل ألقى إليه المعنى، وأنّه عبّر بهذه الألفاظ بلغة العرب وأنّ أهل السماء يقرؤونه بالعربيّة، ثمّ إنّه نزل به كذلك بعد ذلك» (السيوطي، ص 96).

ولئن اختلف العلماء في طبيعة الوحي تفهّما لعلاقة النبيّ بالله وللنبوّة أصلا ثمّ لمعجزة القرآن، فإنّ الأنثروبولوجيا توجّهنا، في ما نرى، إلى اعتبار حدث الوحي وطبيعته انتقالا من لغة مفارقة إلى لغة متحيّزة أي إلى لسان عربيّ هو بالأساس ترجمان لتفكير وتعبير عن ذهنيّة.

هل نحن أمام تراث «كلي شامل» أم تراث «مبتور وباتر» وكيف يمكن لهذا التراث ان يجد له مكانا الى جانب الحداثة اليوم؟

لا يمكن أن ندّعي أنّنا أمام «تراث كلّي وشامل»، إن كان القصد من السؤال أنّنا اكتشفنا كلّ المدوّنة التراثيّة العربيّة والإسلاميّة، إذ الثابت أنّنا بصدد اكتشافات أثريّة كثيرة وخاصّة منها ما يتّصل بالفترة القديمة بالجزيرة العربيّة. وإذا كان شكّ العلماء الغربيين خاصّة في ما ينسب إلى القرنين الأوّل والثاني من المصادر التأسيسيّة، فلانعدام الوثائق والآثار من ناحية، ولسكوت المرويات والتراث الشفوي عن الجانب المنافس للإسلام والرافض له، من ناحية أخرى. ولذلك يبقى التراث العربيّ والإسلامي «مبتورا» على حدّ عبارة السؤال أو ناقصا. وبالإضافة إلى هذا يدرك الباحث أنّ القرآن قد تضمّن خطابا موجّها إلى الرسول وإلى النّاس بين مؤمن ومعارض ومنافق، كيفما كانت أوضاعهم وأحوالهم. ولا شكّ في أنّ أولئك المناهضين قد جادلوا وناقشوا. وليس من الهيّن أن يلمّ الناظر في القرآن بتلك الرّدود ولا بتلك الأوضاع رغم المدوّنة الواسعة التي رواها الإخباريّون تحت مسمّى «أسباب النزول». وهذا الخطاب المحاور للناس يبقى ناقصا لأنّ الرّدود عليه قد نُزعت من ذلك الإرث لأسباب عقديّة وإيمانيّة. لذلك التجأ بعض الدارسين الغربيين إلى المصادر غير العربيّة كالنصوص السريانيّة وغيرها لمزيد التفحّص والتحقيق.

وإذا صادرنا على أنّ التراث الإسلاميّ يدافع بطبيعته عن نزعته الإيمانيّة فكانت كتب السيرة مثلا، وكتب الفضائل، والطبقات والرّجال عموما، ثمّ كتب المذاهب، والتوحيد المسمّى بعلم الكلام، وكلّها في النّقض والإبرام، إبرام عقيدة الفرقة أو المذهب ونقض عقيدة المخالف، فإنّ ذلك التراث يكون أيضا «باترا» لغيره المختلف عنه عقيدة ونحلة. وجوابي على الجملة أنّ التراث العربي والإسلامي مازال خاضعا لآليّة التشكّل: تشكّلٌ مادّي حسب ما تسمح به المكتشفات القادمة من المخطوطات والنقوش، كما كان أمر مصاحف صنعاء المكتشفة صدفةً في الجامع الكبير بتلك المدينة سنة 1972؛ وتشكّلٌ تأويلي

لا يقف عند حدّ.

أمّا كيف يكون لهذا التراث معنى اليوم في أفق الحداثة الفكريّة، فجوابي هو أن يدرس ذلك المتن دراسة ذات ثلاث درجات متراتبة: أولاها مرتبة البحث الفيلولوجي أو اللغوي، وثانيتها مرتبة الدراسة السياقيّة - التاريخيّة، والثالثة، وهنا التوسّل بالمنهج الأنثروبولوجي، مرتبة البحث عن الذّهنيّة والرّمزيّة اللتين تتخفّيان وراء العبارة والسياق. وأرى أنّه لا مناص هنا من الاستئناس بالعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة دون إسقاطها على النّصوص والمرويّات، من ناحية، ودون الخشية من قداسة النصوص، من ناحية أخرى.

لماذا مارس المسلمون قديما السياسة على مستوى العقيدة ولم يختلفوا سياسيا في أمور الشريعة، ولماذا يجري الاختلاف بينهم اليوم سياسيا على مستوى الشريعة لا على مستوى العقيدة؟

ممارسة الحكم مرتبطة بظروفها التي تنشأ فيها السلطة والدّولة معا. فإذا اعتبرنا الفترة المبكّرة من تاريخ المسلمين فقد قال علي عبد الرّازق وغيره كثير عن أمر الخلافة وما كان في شأنها من الخلاف واتّباع أعراف الحكم الجارية وسنن التدبير السياسي؛ تضحي العقيدة في هذا الباب مجمّعا من أجل التشريع للقائم على النّاس. ذلك أصل لا غنى عنه وقتها. وأرى أنّهم اختلفوا سياسيّا في أمر الشريعة على ما يبدو من قبول المذاهب السنّيّة والشيعيّة التي ظهرت متأخّرة نسبيّا. واستمرّ ذلك الخلاف إلى اليوم. بل ربّما وجب الالتفات في نظري إلى اندراج الشريعة، باعتبارها فقها وأحكاما وأصولا، تتالى ظهورها وتشكّلها، في الأعراف التي عرفتها البلدان الكثيرة التي دخلها المسلمون، لأنّه لا جدوى من الأحكام إن لم تحقّق للناس استقرارا وتآلفا مع طبيعتهم الثقافيّة وشخصيّتهم الحضاريّة. وقد يردّ علينا هذا الرأي بضعف اعتماد العرف أصلا من أصول التشريع، والواقع أنّ استخراج الأحكام والتشريع برمّته هو تأويل للنصّ المصدر بأفق ذهني وفكري راسخ في الثقافة والعرف. ولينظر في النوازل مثلا ير صدق ما نحن بصدده.

أمّا اليوم فلا أرى أنّ النّاس كما وصفتِ. هم مختلفون سياسيّا في العقيدة والتشريع، والمشهد ظاهر للعيان في كلّ المجتمعات العربيّة والإسلاميّة المعاصرة. والسبب، في ما أرى، خلط السياسة بالدين في جانبيه العقدي والتشريعي. أعني أنّه خلط بين طبيعتين مختلفتين للأشياء، طبيعة الدين المفارقة في اعتبار المؤمنين، وطبيعة القانون الناجم من سنن الانتظام البشري، والمجتمعات المتنوّعة المتغيّرة بطبيعتها لأنّها عمرانيّة، حسب العبارة الخلدونيّة. ويزول هذا الاشتباك عندما يردّ كلّ من الدين والسياسة إلى طبيعته، وأهمّ ما في ذلك الردّ أن يكون الدين لله وحده، وأمرا أخلاقيّا يهتدي به المؤمن بحريّة تامّة دون أن يتجاوز حدّه إلى غيره ليحمله على ما لا يرى لنفسه؛ وأن يكون أمر السياسة والتدبير القانوني أمرا عمرانيّا يهمّ النّاس جميعا من حيث انتظامهم، وتعاونهم، والدّفاع عن حقوقهم المدنيّة التي تجمعهم في مفهوم المواطنة. إنّ المرجع في الدين هو الله في المنظور الإسلامي؛ والمرجع في السياسة هو المواطنة القائمة على الحقوق والحريّات الفردية والجماعيّة المضمونة بالمؤسّسات والقوانين.

أستحضر الآن مثال إندونيسيا وآراء علمائها ومفكّريها فأجدها جديرة بالتنويه والتدبّر. لقد مالوا بالتديّن إلى جوهره الأخلاقي، وبالتطوّر العلمي الساند لنموّهم وتقدّمهم إلى الحداثة حيثما كانت، وبالسياسة إلى تاريخهم وثقافتهم وحضاراتهم المتعدّدة والمتنوّعة، فجمعوا إلى البعد الديني -الأخلاقي حرصا على إدارة الحكم بوسائل العصر الحديث: انتخابات، وأحزاب، وانكباب على المصلحة الاجتماعيّة العامّة، ومراقبة للفساد أيّا كانت صيغته وأسبابه، فكان من ذلك نظام فيه من التواؤم ما حقّق تنمية عظيمة دون اقتتال ولا افتراق مبيد للقيم والعمل معا. وترجموا ذلك كلّه في رؤية وسموها بعبارة جاويّة «البانشاسيلا» مكّنوا بها لممارسة التعدّد والغيريّة معا، ومارسوا بها في أغلب الأحيان سياسة ديمقراطيّة مدنيّة. قال عنها أحد مفكّريهم إنّها علمانيّة مؤمنة (يعني الإيمان في الدّستور بألوهيّة مطلقة) تجمع بين المسلم والبوذي والهندوسي وغيرهم.

في ظل الصراعات الإقليمية هل يمكن أن يؤدي «فشل دولة وطنية» ما إلى طائفية سياسية والى نشوء طوائف متخيّلة لا تقل خيالية عن «القومية»؟

الصّراعات الإقليميّة أمر مشهود، وداخل في باب التوازنات والمصالح لكل دولة. ويشهد العالم برمّته تحوّلات جذريّة إن في منطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط أو حتى في المنطقة الأوروبيّة. ولكنّي أؤمن بأنّ فشل الدولة الوطنيّة راجع حتما وقبل كلّ شيء إلى معضلة داخليّة تتمثّل في تسييرها، واشتغال مؤسّساتها، واستثمار كفاءاتها، ومراعاة حقوق مواطنيها وتوجيه العناية المطلقة إلى تنميتها الاقتصادية والفكريّة والثقافيّة والاجتماعيّة. ولئن كنت ممّن يرى القوميّة شعارا متخيّلا كان له معنى في حقبة من تاريخ التشكّل العربي، ومازال ذا أثر عند البعض اليوم، فإنّ فشل الدّولة الوطنيّة يحدث فراغا لا تملؤه إلّا «طائفيّة» حزبيّة أو تشرذم يزيده تدخّل الجيش في بعض البلدان أزمة عويصة الحلّ. وأصبحنا نرى اليوم دولا بلا رئيس منتخب، واستحدثنا خطّة مثيرة هي خطّة الرئيس «المكلّف بتسيير شؤون الدّولة».

هل تعتبر تونس فعليا بلد اللاطوائف واللاطائفية؟

نعم أعتقد ذلك. ولكن لا بدّ من أحزاب تدير الشأن السياسي. ولا بدّ من حريّة فكريّة وسياسيّة تضمن

> **أعرف جيّدا كفاءة زميلاتي وزملائي وأنا على دراية أيضا بتقدير الجامعات المرموقة لهم**
>
> **يكفي أن نعود إلى النقائش المكتشفة في مواقع مثل «محرم بلقيس» أو «قانية» أو «قرية الفاو» لندرك أنّ الوحي المحمّدي كما تجلّى في نصّ القرآن البالغ إلينا هو جزء أيضا من تلك الحضارة الراقية**

للأحزاب نشر آرائها ومشاركتها في تسيير الدّولة والشأن العام معا.

بعد اعلان خبر إلغاء التأشيرة بين تونس وإيران بدأ الحديث عن «انتشار التشيّع الفارسي وعن خطره على السلم الاهلية» وعن «عودة الفاطميين»... الى أي مدى تتبنى هذه الآراء أو تفنّدها؟ وكيف ذلك؟

لا أظنّ أنّ لهذا الكلام معنى. لقد سبق تخويف النّاس بالتشيّع الخميني أيّام قيام الثورة الإيرانيّة. ولم يحدث شيء. وتعود هذه الموجة من حين لآخر. بل أرى أنّ التقارب بين البلدان شأن مهمّ يساعد على إشعاع تونس والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى. وأكاد أجزم أنّ جهلنا للحضارة الإيرانيّة القديمة والحديثة هو نقص أكاديمي وفكري فادح يجب تلافيه بإحداث مراكز للبحث وأقسام علميّة داخل الجامعة التونسيّة، إذ ليس لنا أيّ خبير ولا مختصّ في الحضارة الإيرانيّة ولا في الشأن الإيراني، وإن اهتمّ بعض التونسيّين بالتشيّع الإمامي والغالي على حدّ سواء. في الجامعات الأوروبية ثمة علم يسمّى «الدراسات الإيرانيّة» (Iranologie) وقد أنشئت له أقسام في جامعات مرموقة، وليس لنا حظّ من ذلك. فليس بإلغاء التأشيرة بين إيران وتونس سيفد التشيّع إلينا وسيختلّ التوازن الاجتماعي والديني ببلادنا. هذه ترّهات مستفزّة يستعملها أهل السياسة السياسويّة للأسف. أمّا عن عودة الفاطميّين، فيا حبّذا لو درس التونسيّون حضارتهم الفاطميّة، ويا حبّذا لو دخلنا مقوّمات ذلك العهد المشرق من الحضارة التونسيّة. ويا حبّذا لو كنّا على دراية بما ينتجه الفاطميّون اليوم من الآثار الباهرة والمرموقة في الفنون والمعمار وإدارة الشأن العامّ، والمشاركة في السياسات الدوليّة فضلا عن وضع البرامج التربويّة والأكاديميّة المتينة والمجدّدة للتفكير في البلدان التي تعيش فيها الجماعات الفاطميّة. عندما أرى المهديّة والقيروان وسائر المواقع الفاطميّة أشعر بالحزن بسبب إهمالها، كما أشعر بذات الإحساس عندما أرى طلبتنا وبرامجنا التعليميّة لا تقدّم مادّة دسمة عن ذلك العهد من تاريخنا. الجهل عدوّ أصحابه. إنّ جوابي إذن هو: إنّ مجرّد إلغاء التأشيرة بين إيران وتونس لا يحدث ذلك التغيّر الاجتماعي والديني في صلب المجتمع التونسي المعاصر.

بصفتك مختصا في الحضارة والانتروبولوجيا. كيف تتأثر الثقافة بالدين؟

قلنا في ما سبق إنّ الدين جزء من النّظام الثقافي. ولكن بين الثقافة والدين تفاعل من ناحية أخرى، يظهر في الأنشطة الفكريّة، وفي الفنون، وفي الموسيقى، وفي وسائل الإعلام، وفي اللباس، وحتّى في المناسبات والطقوس والشعائر على قدر تمكّن المذهبيّة الدينيّة. ولكن دون هذا الأثر الواسع وانتشاره رؤية سياسيّة يتبنّاها القائمون على الدّولة ويسمحون بها. كان ذلك قديما في الحواضر العربيّة البارزة، ويمكن أن يكون ذلك اليوم متى توفّر الشرط السياسي. وهو ذات الشرط الذي يسمح للمذهبيّة السنّيّة أن تتجلّى في بلادنا، والمذهبيّة المالكيّة في بلاد المغرب وهكذا.

نعيش في حالة جزر من جهة الفكر التنويري ومدّ ظلامي رجعي .. أي سبيل للمقاومة؟

لا سبيل إلى المقاومة إلاّ بثلاثيّة متواشجة: نقد التراث كما أسلفنا؛ وعقلنة التربية والتعليم فضلا عن تجديد المعارف العلميّة ودراسة تاريخ العلوم وفلسفتها، ونشر الثقافة الوطنيّة التي تكوّن الضمير والوعي والذوق الفنّي، والانفتاح على الحضارات الإنسانيّة الكونيّة. إذ من انغلق على نفسه، ولم يتقن لسانا غير لسانه كان حبيس الجهل بالآخر، وابتعد عن الغيريّة التي تربطه بالعالم، واتّجهت عيناه إلى ما سبق ولم يتعبّد لغير ما مضى.

كيف نفكّ الاشتباك بين فهمنا وتمثلنا للحداثة وبين واقعنا المعاصر؟

يمكن أن يظفر القارئ ببعض الإجابة في ما ذكرتُ سلفا. وقد أميل إلى تبنّي كلّ ما قاله عبد المجيد الشرفي في هذا الموضوع لأنّه تناوله تقريبا من كلّ الجوانب، وأنفق من الجهد والوقت ما يغني عن تفصيله هنا.

في كتاباته حول الاستشراق الانغلو-ساكسوني الجديد يرى مايكل كوك أن مكان مكّة الحقيقي كان موجودا في فلسطين.. الى أي مدى يصح هذا القول؟

ليس مايكل كوك هو الوحيد الذي قال ذلك، بل توجد ثلّة من بينها أيضا غرد بوين من جامعة ساربروكن الألمانيّة، وأذكر أنّه قدّم لنا يوما في بيته عرضا كاملا عن الجغرافية القرآنيّة أشار فيه إلى تحويل الحدث الإسلامي وأماكنه إلى فلسطين. لم يقنعنا لا وقتها ولا اليوم. وأظنّ أنّ الحقيقة في هذا المجال لا تكمن في تأويل الآيات القرآنيّة والألفاظ العربيّة بتحويلها إلى السريانيّة وغيرها من الألسنة الممكنة، ولكن تكمن في ما تبوح به الحفريّات الأثريّة في المواقع الغنيّة بالنقائش والمعالم. وفي انتظار ذلك فإنّ سرديّة البدايات الإسلاميّة تبقى مفتوحة.

ماذا تعيب على الاستشراق الجديد ورموزه؟

لعلّ أهمّ ما يمكن ذكره أمران: الشكّ في أن يكون القرآن نصّا يعود إلى سنوات الوحي، وترجيح اعتباره محرّرا بعد قرنين أو ثلاثة قرون من الزمن، وشكّ ألبرشت نوت وسفان كاليش وهانز جانسن في تاريخيّة الشخصيّة المحمّديّة. تتوسّل هذه المجموعة بآليّة نقد النصوص القديمة والمقارنة بينها وبين السرديّة غير العربيّة، السريانيّة والبيزنطيّة والإغريقيّة. وقد أثبتت مصاحف صنعاء بالتأريخ المعتمد على الكربون 14 أنّ بعض الصحف القرآنيّة تعود حتما إلى السنوات المبكّرة من القرن السابع للميلاد. أمّا ما قيل عن الشخصيّة المحمّديّة على لسانهم فرددناه في كتابنا المذكور آنفا بالحجج الكثيرة كما ردّه الكثير من الباحثين العرب وغير العرب. وأذكر ما قال لي عزيز العظمة يوما عن هذه المدرسة العلميّة: إنّهم أصحاب «لوثة». وهي عبارة بليغة قاتلة.

بم تحتفظ للمفكّريْن هشام جعيّط وعبد المجيد الشرفي؟

أذكر لهما خصلتين يشتركان فيها: القدرة على تجديد نظرتهما وتأويل التفاصيل رغم ثبات النّصوص، وإتقانهما الاستئناس بفلسفة التاريخ والعلوم الانسانيّة المصاحبة. ولكنْ لكلّ شخصيّته وروحه.

يعتبرك د الشرفي أفضل طلبته حيث قال لنا في حوارنا الأخير معه إنه مطمئن على مسيرتك؟ هل انت مثله راض عن مسيرتك؟

لا أظنّ ذلك ولم أسمع به قطّ. والأستاذ حذر في مثل هذه المواقف وأفهم توابع هذا الرأي. ومسألة الأفضليّة لا معنى لها أصلا في حين أرى نفسي ملزما بمتابعة البحث بالجديّة القاسية أحيانا حتّى تكاد حياتي لا تشمل شيئا سوى البحث العلمي. عبد المجيد الشرفي علّمني أخلاقيّة البحث في الإسلاميّات، ودفعني إلى أن أكون غيره حتّى لا أكرّره، وأظنّ أنّي فعلت ذلك. وتعلّمت أيضا منه ومن المرحوم عبد القادر المهيري أنّ الجودة في مجال البحث لا تكتمل لأنّك أمام رهان لا يتوقّف ولا ينقطع... وفي كلّ عمل جديد أجد ذات الصعوبة إن لم تكن كسابقتها فهي أشدّ. ولي هاجس لم يغب عن مسيرتي وهي أن تكون بحوثي ذات قيمة تطابق الشروط الأكاديميّة في الجامعات المرموقة. لذلك لا أؤمن بسمعة جامعة تطؤها قدماي حتّى أؤمن بكفاءة الأساتذة بها. فالشخصيّات العلميّة هي التي تمنح الجامعة سمعتها. ولعبد المجيد الشرفي دين في رقبتي وكذلك هو الشأن عند تذكّري المرحوم عبد القادر المهيري الذي لم أستطع أن أنساه يوما: ذلك الدّيْن هو أنّ الرجلين، كلّ من موقعه، وبطريقته، قد شكّلا مسيرتي كما هي اليوم، دون أن أنسب إليهما سقطاتي العلميّة إن كانت. ومازالت المسيرة في طريقها التجويد بالمعارف الجديدة.

كيف تنظر الى مسيرة زملائك وزميلاتك (امال القرامي ونائلة السليني ورجاء بن سلامة وألفة يوسف ...)؟

هذا الفريق من الباحثات، وأضيف إليهن غيرهنّ مثل المرحوم كمال عمران، ووحيد السعفي وسهام الدبّابي، وناجية الوريمّي وفوزي البدوي ومن هم أصغر سنّا من أبناء دار المعلّمين العليا خاصّة كجيهان عامر... هؤلاء فريق ممّن تتلمذوا على عبد المجيد الشرفي وعاصرتُهم ووقفتُ على جدّيتهم، وأعتقد أنّهم ممّن تفتخر الجامعة التونسيّة بهم. وسيكونون بهذه المسيرة العلميّة والأثر الأكاديمي ضامنا لجامعة مشعّة وتفكير نقدي قد يصبح يوما ذا أثر تنويري واسع ومنتج.

وأنت ابن دار المعلمين العليا.. كيف نغيّر المدرسة؟ بمعنى كيف نصلح المنظومة التربوية بالتوازي مع المؤسسة التعليمية؟

يصعب أن أعرض في هذه العجالة رأيي في تغيير المدرسة التونسيّة اليوم وإصلاح المنظومة التربويّة في هذا الظرف الانتقالي الذي تشهده بلادنا. ومع ذلك مازلت أؤمن بتلك المبادئ التي قام عليها الإصلاح التربوي الذي أشرف عليه المرحوم محمّد الشرفي، وهو الإصلاح التربوي الثاني الذي عرفته البلاد بعد النّظام التربوي على يد المرحوم محمود المسعدي. للأسف لم يمهل الوزير ناجي جلّول ليطبّق جوانب كثيرة هامّة من برنامجه التربويّ وتجديد المدرسة التونسيّة. وربّما ذكّرت في هذه العجالة بأربعة مبادئ كبرى يمكن أن تساعد على تحديث المدرسة التونسيّة: أن تكون وطنيّة، عقليّة التوجّه في تفهّم تراث البلاد والمعارف الجديدة معا؛ وأن تكون إنسانيّة الرؤية تأخذ بكلّ المعارف المختلفة باعتبارها كونيّة، وهي لذلك مدرسة منفتحة على حضارات الدّنيا وألسنة الأمم؛ وأن تربّي النّاشئة على التفكير والتحقيق النقدي فتنشئ من ثمّ متعلّما قادرا على «الترشّد الذّاتي»؛ وأن ترسّخ في النّاشئة الوعي بمواطنيّتها، إن صحّت العبارة.

وماذا عن إشكالات الجامعة والبحث العلمي؟

مازلت أؤمن بأنّ الجامعة التونسيّة هي من بين أفضل الجامعات في العالم. ولستُ واهما. أعرف كفاءة زميلاتي وزملائي وأعرف الكثير من أعمالهم وبحوثهم وأنا على دراية أيضا بتقدير الجامعات المرموقة لهم. وهذا يعود إلى الرؤية التي أسّست الجامعة التونسيّة في مختلف الاختصاصات العلميّة والأدبيّة والإنسانيّة، وساهمت الجامعة في بناء الدّولة الوطنيّة. صحيح أنّ جودة التكوين والبحث تراجعت، فيما يرى البعض، ولكنّه مجرّد انطباع. ومع ذلك أقول: ليس شأن الجامعة بمختلف عن حال المدرسة التونسيّة عموما، وربّما أرى التنصيص على آفتين يمكن تلافيهما بشيء من الصرامة العلميّة والسياسية: أولاهما تفاقم عدد الطلبة في المراحل المتقدّمة حتّى أضحى عدد المتابعين لحلقة الماجستير والدّكتوراه عددا يفوق النسب المعتمدة في التأطير، تدريسا وبحثا. وفي المقابل بقي اختصاصا الطبّ والصيدلة (وربّما الهندسة والعلوم أيضا) مضمونين بالصرامة العلميّة والتأكّد من كفاءة

> توجد اليوم دعوة علميّة وجيهة ترى أن تدرّس ظاهرة الدين الإسلامي في محضنين: هما الحجاز من ناحية وحضارة جنوب الجزيرة العربيّة بما فيها حضارة اليمن، من جهة أخرى
>
> جهلنا للحضارة الإيرانيّة القديمة والحديثة هو نقص أكاديمي وفكري فادح يجب تلافيه بإحداث مراكز للبحث وأقسام علميّة داخل الجامعة التونسيّة
>
> عندما أرى المهديّة والقيروان وسائر المواقع الفاطميّة أشعر بالحزن بسبب إهمالها

المتخرّجين. لذا يمكن للجامعة التونسيّة أن تراجع نفسها، وأن يكون شرط الدخول الكفاءة العالية والقدرة على مواصلة البحث العلمي.

والآفة الثانية هي شبه توقّف الانتدابات بالجامعة التونسيّة وبقاء كثير من الكفاءات الشابّة على هامش المجال الأكاديمي. وأعتبر هذا خورا لا يليق بالسياسة الأكاديميّة التونسيّة.

أمّا الطامّة الكبرى التي تعاني منها الجامعة التونسيّة فهي آفة البحث العلمي، وخاصّة في الإنسانيّات. فتعثّر التأطير إلى حدّ استغراق السنوات الكثيرة، كما بيّنت الدّراسة التي وضعها خبراء «ببيت الحكمة» عن مرحلة الدّكتوراه بالجامعة التونسيّة، وقلّة الدّعم المادّي، وضعف إنتاج المخابر والوحدات البحثيّة، إنّ كلّ ذلك يميل بنا إلى اعتبار البحث العلمي الجامعي مشكلة عاجلة تحتاج إلى تدخّل فوري وعاجل. ولا معنى لتكوين جامعي بلا بحث علمي، فيه من الجدّة والطرافة ما يضمن إنتاج المعرفة لا تكرارها واستنساخها.

ترى أن مصلحي القرن 19 أذكى ممن تلاهم... من هم مصلحو ومجددو هذا العصر من تونس ومن خارجها؟

الذكاء نسبي في موضعه وفي جيله وفي القضايا التي تشغل المفكّر والمثقّف والسياسي على حدّ سواء. أعتبر أنّ الإصلاحيّة العربيّة التي يسمّيها عبده فيلالي الأنصاري «الإصلاحيّة الأولى» إصلاحيّة ذات كفاءة عالية في استيعاب أحوال المسلمين والأوروباوين وقتها، وأنّهم اجتهدوا في إثارة نقاش نشروه وتابعوه بالتحقيق، وكانت المجلات الكثيرة والصّحف التي حرّروا فيها مقالاتهم تبلغ أقاصي الدنيا. ورغم تكوينهم التقليدي وسيادة العلوم الشرعيّة في المدارس ومراكز التعليم، فإنّهم كان بعضهم أهل رحلة واطّلاع وتحقيق في الأسباب، والهيئة المدنيّة التي شاهدوها وأعجبوا بها إلى أن تساءلوا عن وجه شرعيّ للاقتراض من غير المسلم. واكتشف جلّهم أنّ الحريّة هي سبب تقدّم الأمم. وهذا في حدّ ذاته مكسب كبير.

أمّا «الإصلاحيّة الثانية» وتشمل جيل العقود الأولى من القرن العشرين فكانت معنية بوضع جديد هو ما بعد التخلّي عن الخلافة وبداية الحركات الوطنيّة ومشاريع تكوّن الفكرة القوميّة وما هو معروف لدى كلّ المهتمّين بإشكاليّات الفكر العربي المعاصر. وأظنّ أن هذه الكوكبة من المفكّرين بمنطقة الشام الكبرى ومصر والمغرب وغيرها قد كانوا ذوي أثر وإشعاع نادرين، ومازالت نظريّاتهم إلى اليوم تثير بقايا نقاش وجدل نقضا وإبراما. ومن جاء من بعدهم هم أيضا مفكّرون لعلّ فريقا منهم مال إلى إشكاليّة التحديث لا التجديد والإصلاح. وهو انتقال إشكاليّ مهمّ. يبرز في تونس عبد المجيد الشرفي، والمرحوم سعد غراب، والمرحوم محمّد الطالبي والكثير من طلبتهم، وفي المغرب عبد الله العروي وعبده فيلالي الأنصاري وغيرهما كثير، وأريد أن أذكر أسماء كثيرة ظهروا في الأفق الإندونيسي الذي أهتمّ به في هذه المرحلة من حياتي العلميّة، وقد جمعت جلّهم في مقدّمتي إلى الترجمة العربيّة لكتاب «الإسلام والحداثة والشخصيّة الإندونيسيّة» الذي ألّفه المفكّر الإندونيسي «نور خالص ماجد».

الى أي مدى تتبنى الرأي القائل إن « بعض الحكام العرب طغاة مستبدّون يسوسون الناس بالقهر والعسف في سبيل تأبيد حكمهم..» وأنهم «حراس أوفياء لمصالح الغرب» وللكيان الصهيوني؟

في هذا القول تعميم لا أوافق عليه. وقد عرّت الحرب على فلسطين الكثير من الوجاهة في هذا الرأي، كما كشفت عن مواقف من بعض الحكّام العرب تناقضه.

لو تقيّم لنا الراهن السياسي في تونس؟

لا يمكنني أن أزيد على ما جاء في كتاب زميلي الأستاذ فتحي ليسير «دولة الهواة». ولعلّ الأمر ازداد تفاقما في بعض الحالات اليوم.

سياسيا، كيف تقرأ التعاطي العربي والتونسي مع ما يحدث في غزة اليوم؟

أشعر بالقتامة الشديدة والحزن العميق لأنّ الإنسانيّة كلّها خسرت مصداقيّتها الحقوقيّة والأخلاقيّة، وإن كان في شعوب العالم وحركات الشبّان وطلبة الجامعات بصيص أمل لا ينكر. وفي تونس استثناء محدود لن ينسى أيضا. ورغم هذا الوضع السيّء من حياة الإنسانيّة أرجو ألاّ يعيد المفكّرون النّظر في وجاهة الحداثة لكونها غربيّة المنشأ. أرجو ذلك صادقا لأنّ ما يحدث اليوم هو جزء من تخلّي أنظمة الغرب وآلتها الصحفيّة عن قيم الحداثة ومبادئها رغم كلّ الادّعاءات والمخاتلات السياسيّة والفكريّة.

أخيرا لديّ سؤال طالما أرقني كيف لمسلم ان يضخ أموالا طائلة لأداء مناسك الحج وبيننا يمن جائع وفلسطين تستغيث وبلدان عربية تعيش الفقر والهوان...؟

حيرتك وجيهة، وهذا الذي ترين هو من أثر الوعي الأخلاقي والحقوقي الضعيف لدى العامّة، ومن أثر سلطان التديّن أيضا. وهو ما يحتاج إلى ثقافة أخرى لا تنقطع عن الدين بقدر ما تردّه إلى إنسانيّة أجلّ ما فيها ضمان الحقوق والعدل والحرّيّة قبل الشعائر.

ولكن أذكر أيضا عكس هذا الذي ذكرتِ أيّام حرب العراق، فقد قاد المظاهرة دفاعا عن العراق ثلّة من المثقّفين التونسيّين، منهم المرحوم هشام جعيّط. وأذكر أيضا توافد النّاس على السفارة العراقيّة ليقدّموا ما يملكون من المال والحلي دعما للعراق المحتاج وقتها. وقتها لم يمنع الشأن الديني مساعدة العراق ولم يحفظ المال للحجّ. ولو كانت أموال الحجّ تعطى إلى مستحقّيها لما بقي محتاج ولا فقير في بلاد المسلمين.

قراءة في كتاب

الديستوبيا أو أدب المدينة الفاسدة في رواية «صياد الغروب» للكاتبة أم الزين بن شيخة

سعاد زريبي

يحيل مصطلح ديستوبيا على المكان الخبيث أو على المدينة الفاسدة التي يعّم فيها الفقر والقمع والقتل والخراب والشر عموما. ديستوبيا هي مصطلح يوناني وهو المفهوم المضاد لمفهوم اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة وتعد رواية "آلة الزمن" لجورج ويلز التي صدرت سنة 1895 ورواية "نحن" للكاتب الروسي يفغيني زامياتين التي صدرت سنة 1926 و"ترتيلة" جورج أورويل و"الرجل الهارب" لستيفن كينغ التي نشرت عام 1985 أهم روايات الديستوبيا التي صورت بشاعة هذا العصر الذي ساد فيه القتل والقمع والفقر والمرض والفتك بأحلام الشعوب ومستقبلهم إنها نوع من اللوحة البيكونية للوجه المشوه للعالم المعاصر .تندرج رواية صياد الغروب للكاتبة التونسية أم الزين بن شيخة تحت هذا الإنحياز الروائي الذي يسعى الى تصوير بشاعة المشهد الحالي للإنسان المعاصر إنه تقول الكاتبة "ديستوبيا معممة". تحمل الكاتبة طاقات الرسام الديستوبي كوشمار بطل روايتها طوفان من الحلوى الذي كان مبدعا شرسا للرؤوس المذبوحة. تحول الكاتبة الكتابة الى نوع من تصوير الرؤوس المذبوحة أو الأعضاء المبتورة وأحلام المستقبل الضائع لجيل مابعد الثورة التونسية .

صياد الغروب هي رواية عصية ومتمردة وحالمة وممتعة ومنسوجة بلحم اللغة الضاد الشيقة وكأنها تعيد الى اللغة مجدها وسحرها المدفون بعد عصور من التكلس والوهن الفكري وبلادة جيل الوهن والإستلاب الفكري. رواية سابحة بين الخيال والواقع لا يقبض القارئ على خط واقعي واضح حتى تقفز به الكاتبة عاليا خارج فوضى الخيال البهيج. رواية تفضح الواقع وترسم أفق بهيج لجيل الإنتظارات أو شعب ما بعد الثورة التونسية. شخصياتها كوشمار الرسام الديستوبي، وردة بوصفها "فينوس الرواية"، أيوب الذي "له من صبر الأنبياء مهارة اختطاف الشمس عند غروبها"، فرح التي "هي لها من الأسماء فرح ولا نصيب لها منه ما يذكر ويحمد" وغيرهم هم شخصيات بملامح تونسية ،وجه تونسي حقيقي واقعي بكل تجاعيده التي نشبت تحت عينيه قصة كاملة من شعب متعب ومفقر ينتظر تحقق وعود ربما لن تتحقق الا للأجيال القادمة وبعدها. هم شخصيات لا غربية عنا يسرون في شوارع المدينة المخددة بكل أشكال الضياع والتيه الجماعي

أم الزين بن شيخة

على عتبات الانتظار هم أصدقاءنا وأبناءنا وإخوتنا هم نحن أبناء ما بعد ما يزيد عن عشر سنوات من الإنتظار ومن البؤس.

رواية تستطيع أن تبدأ في قراءتها من أية صفحة ومن أية جملة وكأنك أمام لوحة تشكيلية تطلخ صاحبتها ألوان الكارثة والمأساة على قماشتها من كل جهة وصوب راسمة عقدة غامضة تهجم على العين لتفتحها على الكارثة فلا يسعك الا أن توزع نظرتك في كل مجالها فتجد المشهد نفسه: وجع جماهيري واسع .تهرب من السرد ومن سياسات النص ونمطية الجملة تخلق شكلا من التمرد على كل أشكال النظام السردي والنصي فهي هنا في هذه الروايات ككل روايتها تعلمنا أنه لم يعد هناك وجود أصلا للثوابت هناك فقط قطع من اللاشيء ومن اللامعنى ومن الفوضى ،قليل من هذا وذاك .كلمات وشذرات وجملة منثورة على مساحة الصفحة. تغمس أم الزين بن شيخة أصابعها في اللغة تطحنها وتشكل بها ومن خلالها نص بحجم وجع شعب كامل وجيل كامل يقف في طابور طويل من الإنتظار تحت إيقاع صوت النواح المتكرر من نهاية الدولة وموت الأجنة ،من سرقة أحلام جيل كامل من الشباب الذين وضعوا أحلامهم على قارعة قوانين الدولة ووعودها من أجل أن يجتازوا الحدود خلسة أو علنا هروبا من واقع غير واقعي تماما ولا هو خيالي بشكل مطلق حيث تقول الكاتبة "السماء بدأت ترسل لعناتها على الجميع. والكارثة تحثّ الخطى نحو ما تبقى من الحياة في سنين عجاف. حتى تظن أن العالم قد سقط في أحشاء وحش خرافيّ قديم. ثم تستوي الحروف على حافة الهاوية تتظاهر بأن كل شيء على ما يرام .كما لو أن هوميروس عاد من جديد ليخلّد تعاسة الآلهة اليأس هو وجهة النظر الوحيدة في هذه المدينة .. فنحن مقابر لاواعية متحركة. نقضي حياة كاملة في التدرّب على دفن الجثامين في أنفسنا.لا ننفكّ عن تحنيط الموتى.كما لو كنّا مدفنا مصريا قديما." هو وضع على قتامته إلا أنه علامة صحية لولادة نصوص جديدة سردية جديدة تصنعها الأقلام الحرة والعقول الحرة من أجل نثر جديد لعالم آخر تروم الجماهير بلوغه والوقوف على خبر تحققه بل هو علامة قصوى على التألق والابداع.

تحول الكاتبة صورة أيوب الذي ساقته أقداره الى الكرسي المتحرك هذا الكرسي الذي صار وطنه الشخصي لا أحد يسكنه معه، هناك في كرسه يمارس حبه لفن التصوير الفوتوغرافي يصطاد بآلة التصوير غروب أحلام هاربة من حر الصيف وقحط المدينة. يسافر أيوب نحو مكانه المفضل البحر في جزيرة قرقنة جزيرة تونسية حيث يلتقط صور الغروب في تلك الصور يلتقي بذاته. تعيد له الصور الفوتوغرافية قدرته على المشي وعلى الركض. هنا في فنه يركض في أحلامه وفي جمالية الصور التي يلتقطها. تصور أم الزين في روايتها البتر كحدث مأساوي وتراجيدي حول صورة حياة أيوب الى حدث يلخص مرحلة كاملة من تاريخ تونس مابعد الثورة جيل الأحلام المبتورة. إنه جيل من المترحّلين داخل أنفسهم. جيل من الرّاكضين خلف رواية مستحيلة الذين منعتهم السياسات الجديدة من الركض ومن السير على الاقدام. تترحل الكاتبة داخل المجتمع التونسي لترصد أشكال البتر وصوره، أسبابه وضحاياه. كل على طريقته يقص قصته على طريقته فالبتر أنواع ودرجاته مختلفة الخطورة هاهنا تقول الكاتبة إنه قصص يلتقي فيها كافكا وبروست وجورج أورويل .إنه الواقع الذي كثرت فيه إصابات الجنون ،الهستيريا والاكتئاب والفصام والاغتصاب والهرسلة وكثرة الأشباح. يمتزج في نص أم الزين التهمكم بالنقد الشرس ،الوصف بالتصوير ،العرض بالفضح والتعرية .

قراءة في كتاب

الوجع لا حدود له والنص ممتد وخطوط إفلاته لامحددة، متغيرة لزجة تفلت من كل أشكال التخديد السياسي والأدبي والثقافي الشاحب والمسرات التي تسعى الى تبويب الأثار الفنية والأدبية بكل عنف الفصل الشرس. هاهنا يمتزج يتمرد نص أم الزين التهكم بالنقد الشرس ،الوصف بالتصوير ،العرض بالفضح والتعرية .

الوجع لا حدود له والنص ممتد وخطوط إفلاته لامحددة، متغيرة لزجة تفلت من كل أشكال التخديد السياسي والأدبي والثقافي الشاحب والمسرات التي تسعى الى تبويب الأثار الفنية والأدبية بكل عنف الفصل الشرس. هاهنا يمتزج يتمرد نص أم الزين على سياسات الفصل بين حقول الابداع والفكر فهو نص متشبع بتقنيات الدروس الفلسفية المعاصرة ومنغمس في فرادة اللغة. يمتزج نحو صياد الغروب الشعري بالفلسفي بالروائي حيث تنشط الكاتبة مكنة كاملة نشيطة :تفكر في الواقع بوصفه إشكالا فلسفيا، تكتب الشعر من أجل أن تتخطى وجع الواقع وتكتب الرواية من أجل أن تغمس بأصابعها في الواقع ولكن الخيط الناظم بين الحقول الثلاثة لا يكون ممكنا الا متى إستطاع المبدع أن يكون قادر على التخييل بشكل حر ولقد نجحت الكاتبة في رسمه في روايتها لأجل أن تعلم القارئ القفز بين الحقول والسير سريعا داخل المساحات اللزجة والمرنة للغة فحين يرتطم فكر القارئ المتفلسف باللاممكن هذا الذي أصبح عنوان مرحلة كاملة و إسم لحظة تاريخية طويلة في حياة الشعب. لقد صدقت الكاتبة بأن أوجاع الشعب لا حدود لها فهي كل هذا: حروب وأوبئة وآلهة تتصادم ويأكل بعضها بعضا. ديستوبيا الرعب المعمم. وملاك التاريخ يلتفت عنا نحو وجهة أخرى. شعوب تتشرد وأمواج من البشر التائهين. جثامين برتبة أحياء. سرقة الثورات على قدم وساق هذه الأيام. الدول تتحول الى حوانيت لتأبيد بؤس شعوبها تحت راية الله كل شيء مباح.

يقول أنطونيو غرامشي "إن النظرية التي لا تصير واقعا، ولا ينقلها البشر الى الفعل المشخص، إنما هي تخيل تعسفي محض دون أي حقيقة ..لذا لا فائدة لهذا المجتمع من مثقف يراكم معرفة نظرية أو تنظيرية منفصلا عن الحياة وعن الناس" تعتبر رواية صياد الغروب شكلا من التمرد على كل أشكال التنظير لتعرفنا بطينة صاحبتها التي حولت الكتابة الروائية شكلا من غمس الأصابع في الجرح لتفتحه ويتخرج ما تسلل اليه وتفحص مضاعفات الجرح على الجسد الاجتماعي أليس ذاك هو دور الطبيب أليس العلاج شكل من غمس الأصابع بعنف أو بلطف يتحرك قلم الكاتبة داخل الجرح أحيانا ينظر إليه من بعيد أو نغمس فيه إلى حد تتحول فيه الكتابة الى شكل من كتابة الفاجعة. ستة وثلاثون لوحة بعناوين تكشف عمق الجرح أو تورمه أحيانا أو الأمل في النجاة من موت صاحبه :تراتيل الوداع، الغروب يلتهم السما، أغنية في الصقيع ،مزبلة الكتب، كلنا مقابر لغوية، حوار الأجنة يقتحم الفراغ، عصيان في عيون الغروب، الخريف يتأكل، هروب الجنين، أنت شبح فقط .فلا حرج عليك، البحث عن العضو المبتور .هي لوحات وقصص لسكان مدينة تونس العامرة بالأوجاع و الانتظارات ما بعد الثورة تتكفل الكاتبة بوضع أصابعها على الداء وترسم إمكانية أن نكون معا في شكل يليق بالفرح و بأحلام الوردة وانتظارات أيوب .أما السبيل الى ذاك المستقبل لا يمكن خلق واختراقه بشكل سريع وسهل بل هو رهين تنشيط طاقات الابداع :الكتابة أو الرسم أو الهدم أو التخريب أو الفكر أو التجريب أو كسر كل التوابيت الملقاة على قارعة المدينة أو في عقول الشعب. هناك إيقاعات ثورية داخل النص والكتابة شكل من التظاهر والعصيان والتمرد لأنها آمنت بأن الإبداع هو إحتجاج وتمرد. تنتمي الرواية الى تصور يعتبر أن الإبداع شكل من سياسة أو نمط من الإعتراف بمن فقدوا حقهم في القول ومن المهمشين من أصحاب الشهائد العليا والآتين من المناطق الداخلية وعلى عاتقهم طابور من الأحلام .هاهنا تعلمنا أم الزين أن الإبداع إنصاف والرواية إعتراف وأن دور المثقف هو مقاومة الحاضر حسب ميشال فوكو وأن على البشر جميعا الدخول في حلقات إبداع جماعية جاك رنسيار علمنا أنه يجب أن نتحرر من الفرجة وأن ننغمس في المشاركة في تغيير وصناعة المشهد وأن لا نكتفي بالفرجة في عروض الواعظ والسياسي وذلك من خلال تنشيط طاقة الابداع ولا شك أن الكاتبة قد خطت هذه الخطة من أجل الكتابة الروائية حيث خرجت بالفلسفة من معقولية المفهومية الى حيوية المحسوس وانغمست بقلمها في هذا المحسوس الهائل تبحث بالفن ومن خلاله عن إمكانية مقاومة الحاضر وعلى ضرورة أن يتطلع الفن الى ضرورة خلق أشكال مختلفة من الإبداع من أجل مقاومة التصحر الفكري والثقافي الذي أصاب الانسان المعاصر.

صورة تتحدّث

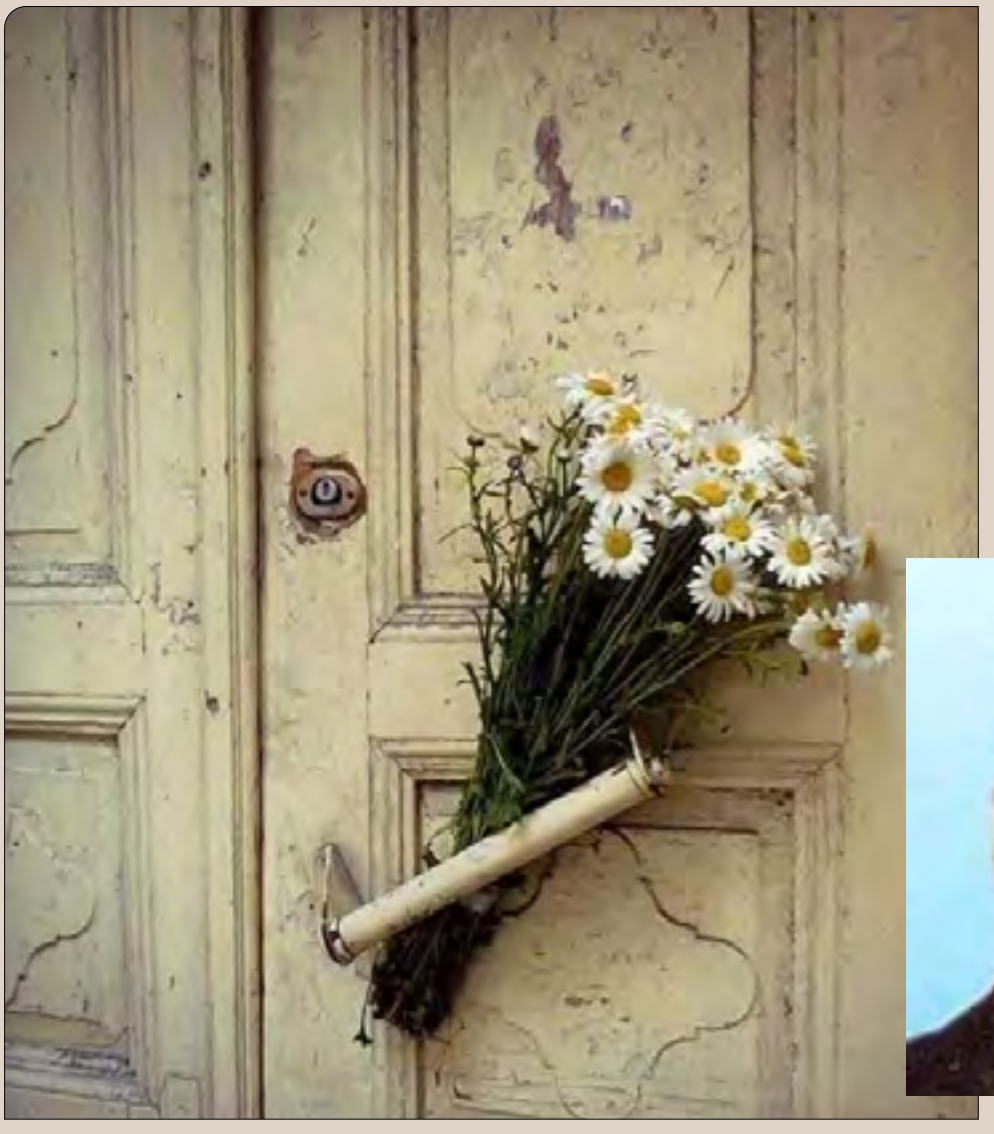

قصة دار الحبايب

تعد " يادار الحبايب" واحدة من الروائع التي خلد فيها المرحوم الهادي القلال قصة حب من طرف واحد ... حب قوي لفتاة التقاها صدفة في حلق الوادي ,وقد روى ذلك بنفسه في لقاء سابق قبل التحاقه بدار الخلد .جاهد الى اللقاء بها اكثر من مرة ..غير أن القدر عاكسه على حد تعبيره ,خاصة بعد مغادرة هذه الحبيبة تونس صحبة عائلتها على اعتبار انها ذات أصول أوروبية, فلم يتمكن من معرفة بلدها الأصلي وهو خلف حسرة في نفسه رواها للملحن الذي احتضن صوته رضا القلعي فكتب ولحن له " يادار الحبايب" بل لم يقف الامر عند هذا الامر , فتم تصوير هذه الاغنية في القصر الذي يحتضن اليوم مقر "بيت الحكمة" بضاحية قرطاج حنبعل غير بعيد عن البحر .

يادار الحبايب
كلمات: رضا القلعي - ألحان: رضا القلعي - غناء: الهادي القلال

يا دار الحبايب قلي رحلوا فين
واحشني الي غايب عني سنين
*
انا حبيت باش نلقاهم ظنيت كيف العادة
ما بقالي ذكراهم ما بين العينين
واحشني الي غايب عني سنين
يا دار الحبايب
*
يا دار الحبيبة خلاتشي جواب
قالتشي ها الغيبة لوين يا لحباب
يا ناس و الله غريبة ما قالتشي فين
وا حشني الي غايب عني سنين
يا دار الحبايب

عن زبير ساسي

محمد آيت ميهوب:

ترجمة «معجم الرواية» خطوة جديدة نحو توحيد المصطلحات السردية في العالم العربي

صالح سويسي

عن مشروع كلمة في العاصمة الإماراتية أبوظبي، صدر منذ أيام للمترجم التونسي محمد آيت ميهوب ترجمته لكتاب الناقد والأكاديمي الفرنسي إيف ستالوني «معجم الرواية».

وقال ميهوب «جاء هذا العمل ثمرة أربع سنوات من العمل والتمحيص حرصنا خلالها على نقل المصطلحات السردية الغربية الخاصّة بالرواية، إلى العربية نقلا قويما دقيقا، ومنتهى الأمل أن يجد الباحث والطالب وكل عاشق عربي للرواية في هذا المعجم أداة عمل تيسّر عليه سبل البحث ومسالك الفهم، ونرجو أن يكون عملنا خطوة جديدة نحو توحيد المصطلحات السردية في العالم العربي.

وأضاف أنّ هذا العمل هو مواصلة لتجربة سابقة كانت لنا في إطار وحدة الدراسات السرديّة في كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، إذ أنجزنا بمعيّة ثلّة من الباحثين وبإشراف أستاذنا محمد القاضي «معجم السرديات».

وجاء في مقدمة الكتاب التي كتبها المترجم «ممّا حفّزنا على ترجمة هذا الكتابِ أنّ صاحبه، إيف ستالوني، أكاديميٌّ وباحثٌ فرنسيٌّ مختصٌّ في الأجناس الأدبيّة والسرديّات وله في هذين الحقلين العلميّين كتبٌ ودراساتٌ تجِلّ عن الحصر، نذكر منها أطروحتَه «من الأشكال إلى المعنى. من بريفو إلى بيراك» (1996)، وكتابَه المرجعَ «الأجناس الأدبيّة» (2001)، ودراستَه «عيون الرواية في الأدب الفرنسي» (1995)؛ زد على ذلك أنّه مارس الروايةَ إبداعًا فله عددٌ مهمٌّ من الروايات نذكر منها «رجل المنارات - حياة ميشيل باشا الغنيّة والضاربة في الرومانسيّة» (2017) و«العقيد وفينوس» (2021).

محمد آيت ميهوب

معجم ذو طبيعة موسوعيّة

وواصل آيت ميهوب «الناظر في المعجم الذي بين أيدينا يجد صدًى جليًّا لهذه الثقافةِ الأدبيّة الواسعة وهذه الخبرةِ العميقة بالرواية وقضاياها المتشعّبة، فهو مرجع أساسيّ لا غنًى عنه لمن يروم من الباحثين المتخصّصين أو القرّاءِ العاديّين، فهمَ الرواية المعاصرة وتملّكَ مفاهيمها وتدقيقَ اصطلاحاتها الكثيرة والتفريقَ بين أجناسها الفرعيّة العديدة. وهذا المعجم هو من المعاجم النادرة التي تخصّصت في الجنس الروائيّ تحديدًا دون غيره من الأجناس الأدبيّة. وقد حاول المؤلّف أن تكون مادّةُ المعجمِ شاملةً للظاهرةِ الروائيّةِ في مختلف أوجهها، فوزّع مداخلَه على ثلاثة محاور كبرى هي: التقنيات السرديّة، والمقاربات الأجناسيّة، والتحليل الاجتماعيّ والثقافيّ للرواية. بيد أنّ هذه المحاور لم ترد منفصلةً بعضها عن بعض، بل جاءت متداخلةً تموج بها صفحاتُ المعجم وفاقًا للترتيب الألفبائيّ الذي اختاره المؤلّفُ لتنظيمِ مداخل المعجم. وليس من النادر أن تلتقي هذه المحاورُ جميعًا في مدخلٍ واحدٍ».

ويؤكد المترجم أنّ «هذا المعجم ذو طبيعة موسوعيّة جعلته يتجاوز حدودَ وظيفتهِ المعجميّةِ، وينزع إلى أن يكون موسوعةً نقديّةً مدارُها على الروايةِ، تضمّ مقالاتٍ متعدّدةَ المشارب يمكن أن تُقرأ كلُّ مقالةٍ منها على حِدة. فهذا المعجمُ موسوعيٌّ لكثرةِ مداخله وتنوّعِ زوايا النظر فيها إلى الرواية، واتّساعِ باب التحليل فيها. وهو موسوعيٌّ كذلك لإحالتهِ على حقولٍ معرفيّةٍ وثقافيّةٍ وعلميّةٍ وحضاريّةٍ كثيرةٍ تمتدّ من الأسطورةِ إلى الإشهارِ، مرورًا بالأدبِ والفلسفةِ وعلمِ النفسِ وعلمِ الاجتماعِ والتاريخِ والأنتروبولوجيا والرسمِ والسينما، وهو موسوعيٌّ أيضًا لإحالتهِ على مئات الروايات الفرنسيّة والغربيّة التي استقى منها المؤلّفُ أمثلتَه ونماذجَه، ومن خلالها رحل بالقارئِ في شعاب تاريخ الرواية الغربيّة. وعلى هذا النحو، يُقرأ هذا المعجمُ قراءتين: قراءةً أفقيّةً مباشرةً ننتقل فيها من مدخل إلى آخر، وقراءةً عموديّةً غيرَ مباشرةٍ نستجلي فيها مراحلَ الرواية الغربيّة وأبرزَ أطوارها من النشأةِ، إلى النضجِ، فالهيمنةِ، والأزمةِ».

الحاجة إلى ترجمة معجم الرواية

وقال الأستاذ محمد آيت ميهوب «لقد سدّ إصدارُ هذا المعجم نقصًا كبيرًا في الدراسات السرديّة المختصّة في الرواية داخل الجامعاتِ الفرنسيّةِ والفرنكفونيّةِ نفسِها، وإنّ ترجمتَه اليومَ إلى اللغة العربيّة صارت أمرًا ملحًّا جدًّا، فبقدر ما تطوّرت الروايةُ المعاصرةُ وأضحت منذ ستينيّاتِ القرنِ العشرينَ أمَّ الأجناس الأدبيّة والجنسَ الأدبيَّ الذي استطاع الهيمنةَ على سائرِ الأجناسِ الأدبيّة واحتواءَها داخلَه حتى غدا الزمنُ « زمنَ الروايةِ» على الإطلاقِ، بقدر ما ازدادت القضايا الأدبيّةُ والفنيّةُ والثقافيّةُ المتعلّقةُ بالرواية تعقّدًا والتباسًا سواءٌ أكان ذلك من جهةِ القرّاءِ العاديّين أم من جهةِ الباحثين المختصّين أنفسِهم. وزاد الطينَ بلّةً كثرةُ المدارسِ النقديّةِ واختلافاتُها النظريّةُ والتطبيقيّةُ في دراسة الرواية، فكثرت المصطلحاتُ واختلفت من بلدٍ إلى آخَرَ، وتضاربت داخلَ البلدِ نفسِه في أحيان كثيرة، فكيف نفرّق على سبيلِ المثالِ لا الحصرِ بين الراوي والشخصيّة والمؤلّف؟ وما الذي يميّز الراويَ العليمَ من الراوي المصاحبِ ومن المؤلّفِ الضمنيّ؟ وأيُّ فرقٍ بين روايةِ الشخصيّةِ والروايةِ السيرذاتيّةِ والروايةِ السيريّةِ؟ وما هي المعاييرُ الدقيقةُ الواجبُ اعتمادُها لتحديدِ الزمنِ القصصيِّ في النصِّ الروائيِّ والتمييزِ بين السوابقِ واللواحقِ، وتعيينِ أوجه الرؤيةِ السرديّةِ في الروايةِ؟

هذه الأسئلةُ كلُّها، وغيرُها كثيرٌ، تجعل القرّاءَ والباحثين في حيرة من أمرهم، إذ من اليسير الوقوعُ في الخلطِ بين المفاهيم واستعمالُ المصطلحِ في غير معناهُ الأصليِّ. وتزداد هذه المعضلةُ استفحالاً يومًا بعدَ يومٍ بفعلِ الانتشارِ الواسعِ للنقدِ الروائيِّ وتلوّنِه بأكثرَ من لونٍ ودخولِه ميادينَ واختصاصاتٍ مختلفةً، منها الأكاديميُّ، والأدبيُّ، والثقافيُّ، والصحفيُّ، فاستُعملت كثيرٌ من المصطلحاتِ والمفاهيمِ السرديّةِ استعمالاتٍ ضبابيّةً ملتبسةً، بل قل خاطئةً ومتناقضةً مع أصلِ وضعِها الأكاديميِّ الأوّلِ. وكان من شأنِ هذا كلّهِ أن جعل الحاجةَ ماسّةً إلى ظهورِ مثلِ هذا المعجمِ المتخصّصِ الدقيقِ».

وأضافَ المترجم «إنّ هذه الحاجةَ تغدو ألحَّ وأوجبَ إذا انتقل بنا الحديثُ إلى القارئِ العربيِّ والباحثِ العربيِّ خاصّةً، فممّا لا شكّ فيه أنّ النقدَ الروائيَّ العربيَّ المعاصرَ يستقي الغالبيّةَ الغالبةَ من المفاهيم والمصطلحات السرديّة من الدراسات الغربيّة، لاسيما الفرنسيّةِ والإنغليزيّةِ منها، وإنّ الوصول إلى هذه المفاهيمِ والمصطلحاتِ يَعتمد أساسًا على مجهوداتٍ فرديّةٍ لبعض النقّادِ والباحثين العربِ الذين يتكفّلون بترجمة المصطلحات، ومن ثَمّ يستعملونها أدواتٍ يتسلّحون بها في قراءةِ الرواياتِ العربيّةِ».

وقال ميهوب «إذا ما تأمّلنا المادّةَ المفاهيميّةَ والاصطلاحيّةَ التي تقوم خلفيّةً للدراساتِ السرديّةِ العربيّةِ المتعلّقةِ بالروايةِ، ألفيناها خليطًا عجيبًا لا تجانسَ فيه، وهو لا يتوافق في الأغلب مع أصولهِ العلميّةِ الأولى. وعلى هذا النحو يجد القارئُ والباحثُ العربيُّ اختلافًا رهيبًا في المصطلحات والمفاهيم من بلدٍ عربيٍّ إلى آخَرَ، بل داخلَ البلدِ الواحدِ وفي الجامعةِ الواحدةِ أيضًا، فقد يستعمل باحثٌ مّا مجموعةً من المصطلحات ويستعمل زميلٌ له في الجامعةِ نفسِها مصطلحاتٍ أخرى مخالفةً، وفي نيّة كليهما التعبيرُ عن المفاهيمِ نفسِها، والأدهى والأمرُّ أنّنا يمكن أن نجد هذا الخلطَ لدى الباحثِ الواحدِ، فليس من العجيب أن يغيّر الباحثُ العربيُّ معجمَ مصطلحاتهِ النقديّةِ الروائيّةِ من بحث إلى آخر. فأورث ذلك كلُّه الحيرةَ في نفس الباحث العربيّ وجعله ضائعًا في متاهةِ المصطلحاتِ الكثيرةِ المقترَحةِ للمفهومِ الواحدِ، فلا يدري إلى أيِّها يطمئنّ، ولا يستطيع أن يفرز الصحيحَ منها من المعتلِّ».

تجدر الإشارة إلى أنّ الدكتور محمد آيت ميهو، كاتب تونسي يُدرّس اللغة العربيّة والأدب والترجمة بكليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بجامعة زايد أبوظبي، ويكتب الرواية والقصّة القصيرة والدراسة النقديّة ويمارس الترجمة الأدبيّة، وله إلى ذلك إسهام في الحياة الأدبية والثقافيّة في تونس وفي الوطن العربي، فقد شارك في ملتقيات عديدة بتونس والإمارات والجزائر ومصر والكويت وسوريا وفرنسا، أنتج برامج أدبيّة بإذاعة «تونس التقافيّة» تعنى بالقصة والترجمة.

من أهمّ مؤلفاته « الورد والرماد» (مجموعة قصص) -» حروف الرمل» (رواية) - «الرواية السيرذاتيّة في الأدب العربي المعاصر»(دراسة) -»السيّد ل...»(رواية مترجمة لعزّة الفيلالي)- «مجد الرمال»(رواية مترجمة لمصطفى تليلي)- «نهاية اللعبة» (مسرحيّة مترجمة لصمويل بيكيت)، «الأقصوصة» (دراسة مترجمة لتياري أوزوالد)، «من كليلة ودمنة إلى لافونتين: جولة بين الحكايات والحكم» (اللّوفر أبوظبي). وهو عضو مؤسّس لوحدة الدراسات السرديّة بجامعة منوبة في تونس، وقد ساهم مع مجموعة من الباحثين في تأليف «معجم السرديّات». توّجت ترجمته «الإنسان الرومنطيقي» (دراسة فلسفيّة لجورج غوسدورف) بجائزة الشيخ زايد للكتاب، فرع الترجمة (دورة 2020).

رواية ظل أعرج لزهرة الظاهري

نقد النقد

سوسن طيب العجمي

أن نلغي ستارا واقعيا أو نزيحه بالكشف والتعرية ليس بالأمر الهين في جنس الرواية بكل تنويعاتها، الأمر لا يتقيد بالسير الذاتية، بل هي مسيرة تظلل الكاتب فيرسم أحيانا صورا دقيقة من حياته فيظن القارئ أنه نوع من التخييل بينما الأمر يختلف ويضيع من خلال العتبات الأولى التي تُعنى بالتجنيس فالأفضل كتابة رواية على الغلاف دون إضافة أو نقصان.

قرأت مقال الناقد الأدبي شفيع بالزين المنشور في مجلة الحياة الثقافية تحت عنوان " كتابة سيرة الهامش والكتابة على هامش السيرة. قراءة في ظل أعرج لزهرة الظاهري.

ماهو الهامش وما المقصود بالهامش؟ وهل يمكن أن نعتبر الهامش أسلوبا مقيتا تافها وجب إقصاؤه من حياتنا كتاب ومفكرين ؟

فلنعد لكتب علم الانسان واهتمامها باليومي الروتيني العقائد، ولنعد لفعل "سرد" من أين استبطن ومن يمثله، قبل خصوصية التجنيس .

دلالة العنوان واتصاله بهامشية أرادها له شفيع بالزين

" ظل أعرج فإن الظل وحده كاف للدلالة على الهامشية فما بالنا إذا كان هذا "الظل أعرج" وهوما يعني أن الكاتبة لا تروي سيرتها أو ذاتها الأصلية بل ظلالها {...} "

نتبين أن ظل أعرج " هو اختزال للذاكرة عموما ولا يتعلق الأمر بذاكرة فردية تخص " الظاهري "، فهو يخضع بشكل أساسي لعملية التذكّر وهذا معمول به خارج الأدب لو عدنا للسير النبوية وعمليات التشفيه والاسترداد والتدقيق وتفصيل الأحداث عند القضاة بالتدوين والاسترجاع، فمن تكون الظاهري حتى تستفرد بظل الذاكرة الأعرج؟ الذي يُؤمن النقل نسبيا باعتبار أن الذواكر متنوعة عقلية ذهنية لها اتصال عميق بالحواس، البصر والشم واللمس والتذوق كم من رائحة نتذكرها في لحظة ما وتبقى عرجاء دون توضيح ذهني للمكان والزمان والأشخاص.

سيكولوجية الذاكرة

يصطدم الكل مع ذاكرة عرجاء مشتتة أفضت إلى حقول بحثية لفهم جزء من الحقيقة وبقي أغلبها غيبيا أتعب الباحثين وأجهدهم.

كان الأجدر أن يوظف الناقد " شفيع بالزين " كل ما جاء من لفظ هامش في مقاله إلى عنصر أهم

يتعلق بالذاكرة وهو سيكولوجية الذاكرة من البسيط إلى العميق غاية المعرفة.

باعتبار أن الهامش المقصود من طرف بالزين لا يُلتقط وغير معني بالأحداث التي وقعت للكاتبة سنذكر منها البعض

*مأساة عائلية / طفولة بائسة / زهرة نبتت من شوك وماء آسن يفتقد إلى السعادة والفرح جامد بتعليمات أسرية متباينة بين أب مرغوب من الأم ومرفوض من عائلتها البرجوازية مما أنبت السؤال والحقد الطبقي.

* عالم طفولي يرفض أن يكون في محيط الفقر يجسد صورة تخييلية لوضع أجمل وبيت ألق فتُخدش الصورة ويظهر الواقع على شاكلة عقدة أبدية في مقر تعليمي يفترض أن يمسح ترسبات الأمراض النفسية ويفتح عوالم طفولية مزهرة.

*الحب الممنوع والوثيقة الرسمية وسجن الذات العاشقة في معتقل أبدي باسم الزوج الصالح الذي يوفر مستلزمات العيش وبالتالي تعاقب المرأة وتصبح نعتا للانحلال والميوعة.

*الكتاب الأول وقدرة الأب في إغلاقه وهنا إغلاق منافذ المعرفة نظرا لسوء الفهم والارتباك الأسري.

* الهروب من جحيم الفقر إلى أحضان النعيم بفتوى الزواج.

تأليه الذاكرة يدعو إلى اختيار الألفاظ "الملافظ سعد"

يقول بالزين " وإنما تسور السيرة كلها ببداية ونهاية تؤكدان هامشية السيرة وقدريتها"

الذاكرة أفخاخ حقيقية من محض الصدفة أي نعم لا أحد اختار مكان ولادته أو نسبه أو الأحداث التي وقعت له من ترهيب أو ترغيب.

في اليونان القديم كانت الذاكرة آلهة تعبد ولها تسع بنات ملهمات والمتذكر كان عرافا.

هل أن ميثاق السير الذاتية وقع المصادقة عليه أم أنهم اختلفوا فيه ووقعت مشاحنات فيما بين علماء الحداثة لنبذ تجميده وبالتالي الانتصار للخيال السردي وهو عنصر رئيس في نحت أي جنس حكائي؟

من هنا تبدأ الحكاية المواضيع المرتبطة بالذاكرة لا أحد عبر التاريخ تمكّن من الحسم فيها لأن ما يصدق من أحداث ماضية لا يمكن الجزم بصدقه الكاذب فيه أكبر والصادق يحتاج إلى شهود لو لم تكن

" سوزان طه" لما كانت الأيام عند " حسين" هي الشاهد والعصا.

يقول طه حسين في كتاب الأيام " بدونك أشعر أني أعمى حقا أما وأنا معك، فإني أتوصل إلى الشعور بكل شيء، واني أمتزج بكل الأشياء التي تحيط بي"

بينت سياقات عديدة أن الأحداث الماضية لا يمكن استرجاعها بسهولة عندها لا يسترجع الكاتب إلا القادح منها فما رآه " بالزين " هوامش هو في الحقيقة عهد بين زهرة وذهنها وحياتها الماضية .

أما لفظ هامش وقد ورد في كتاب طه حسين " على هامش السيرة النبوية" فهو هنا يهمش ما يمكن أن يحدث ضجة هو عن غنى عنها مع شيوخ الأزهر في تلك الحقبة الزمنية فالدين وسيرة النبي ليست مفتوحة لطه حسين ولغيره من الأدباء يحتكرها الشيوخ والمتفقهون دينيا. .

تخيّر طه حسين الألفاظ هنا وقد صرّح أنه لم يأت بجديد وهي قراءات سابقة لغيره أعاد كتابتها.

الممنوع في السابق هل هو مرغوب اليوم؟

هل القالب السير الذاتية القديم يتواءم مع العصر الراهن في فعل "صدم" هل قارئ اليوم يدهشه التحرش أو الموقف الديني أو بشاعة الصورة وهو يعيش في ظل قبح عام أرادت زهرة الظاهري بذكاء شديد أن تلغيه و تروّض الصورة

قراءة في كتاب

القديمة وهي تلتقط زمنا جميلا يحرك القارئ بل يستهويه ويغوص في معالم الريف والعادات والتقاليد هل يعلم " بالزين " أن هذا ذكاء سردي وهو انطلاق لما يرغب قارئ اليوم في إرساله إليه من خطاب سردي شفاف يذكّر بماض تشبث بالمعرفة مع نقل لحياة الريف النقية الخالية من الأضواء المفصلة بأشياء كانت موجودة في حياة سابقة طالما نحلم اليوم بالعودة إلى تفاصيلها البريئة.

المقدمة الغيرية وعلاقتها بالزمن النفسي

يستهلّ نصر سامي تقديمه لرواية ظلّ أعرج بـــ " كتبت هذه الرواية في ظلّ الحزن بعراجينه السود، وفقده العارم المؤذي. وهي تستبدل الحاضر بمواقيت قديمة راسخة وضاغطة وموشومة في الجسد والروح، وتستحضر الأقفاص التي فيها لسنوات (العائلة، المدرسة, المجتمع) وتستقرئ رحلة الطائر الذي فقد بمرور السنوات جناحيه، ولكنه لم يفقد حلم السفر أبدا.

تتذكر زهرة الظاهري أحداث الطفولة وهذا الزمن الماضي فور استرجاعه يصبح زمنا نفسيا لا صلة له بالراهن ولا دقائق الواقع باعتبار الزمن لا يضارع الحاضر بل مضى وانتهى وأغلق، إلى حدود أن قررت الساردة فتح خزينة الذاكرة في زمن نفسي محض يتشوق ثم يتذكر وصولا إلى الألم والسعادة والفرح تظهر المشاعر الوجدانية المتقدة والمختلفة سلبا أو إيجابا مع عامل مهم وهو لحظة التذكر وما فيها من إشباع روحي يتعلق بالزمن النفسي.

يصبح الزمن مثيلا لموضوع مجرد تحكمه الذاكرة وما تدركه من شؤون تتعلق بالذات في تماوج عجيب بين الاسترجاع والشعور.

تؤيد الظاهري هذا القول فور استحضارها لمقولة:

(Franz kafka 1883- 1924)

" الكتابة انفتاح جرح مّا " ثم تعنون البداية بـــ " نبش في مرايا الروح " وقد صرحت الساردة بحالات الحزن التي تنتابها وهي تستعرض النقاط الكبيرة التي تتعلق بحياتها الماضية إذن الظاهري تخبرنا باصطدامها مع حالة ذهنية موصولة بالزمن أي فصل الخريف

" مع حلول فصل الخريف يطوّقني الحزن ويجعلني قريبة أكثر مني

استطاع نصر سامي في جل تقديمه أن يشتغل عامة على البيوغرافيا دون توضيح مسبق لماهية هذا اللفظ أو لمسه مباشرة وتدوينه بل كان جل تقديمه يعتني بهذا النوع الأدبي مع حساب زمني اختفى تماما عن دوره الوضعي الاعتيادي بل شكل زمنا نفسيا نموذجيا احتكم إلى مشاعر وجدانية تتعلق باللحظة التي يقع بعدها مباشرة الاسترداد تتحول اللحظات والثواني والدقائق والساعات إلى شوق صباحي أو مساء حزين أو خريف ضال أو صيف سعيد بنتائج تعليمية مرضية.

مصطلح رواية عند نصر سامي قائم الذات لا خلاف عليه في البناء السردي: راوية في زمن راهن ينسجم مع لحظات الكتابة تقص الساردة حياتها الماضية بخاصية الاسترجاع أو الاسترداد تتداخل الأحداث تُبنى الشخصيات تباعا من الأب إلى الأم إلى الجدة والأخت وعشيقة الأخ والصديقة وتصبح الذاكرة فضاء تستوعب كل الأمكنة .

أما مصطلح كتاب أو سيرة ذاتية أو رواية لا يضر شيئا بل من المعروف والمعمول به أن نسمي الرواية حكاية أو قصة أو سرد حكائي أو سرد روائي وغيره وكأن اسم نصر سامي زج في موضع المتهم بالمعرفة.

نهاية القول

ما يمكن أن نلوم عليه الظاهري في هذه المسألة هو تجنيس الرواية ب " سيرة بمحض الصدفة " هي رواية تعتمد على سيرة ذاتية وعلى القارئ اكتشاف نوع الرواية الأمر في غاية الوضوح.

مقال شفيع بالزين لم أره نقصا من قيمة الرواية أو عملا نقديا يسقط الجوهر بل هو ضمنيا يثري رواية الظاهري فهو محطة نقدية مهمة في طرح خصائص فنية مضمونية تُعلي من شأن الرواية ولا تسقطها كما ظن البعض.

لأن العارف سيتفطن إلى وجهة جديدة أن بالزين لمس ما أرادت الظاهري توظيفه لعلمها المسبق بذوق قراء اليوم في تلقي الحكاية وعلى أساسه عادت الظاهري إلى الزمن الجميل فلا شيء يجلب قارئ اليوم غير التخييل العلمي أو كل ما يلمس الروح من غيبيات والمقصود بقارئ اليوم الجمهور الواسع وليس النقاد والأكاديميين..

تجاوزنا في هذا الزمن ما يتعلق بالممنوع مثل الدين والجنس والسياسة لأن العصر تغير ولم يعد هناك قيمة لما سبق ذكره لتفاقم القبح في العصر الراهن.

قارئ اليوم وهو من يفترض جلبه خارج أطر الأكاديميين لا يهمه من شأن القراءة غير الصفاء الذهني والدهشة العلمية والغيبية.

صورة تتحدّث

كتاب الحاج خليفة

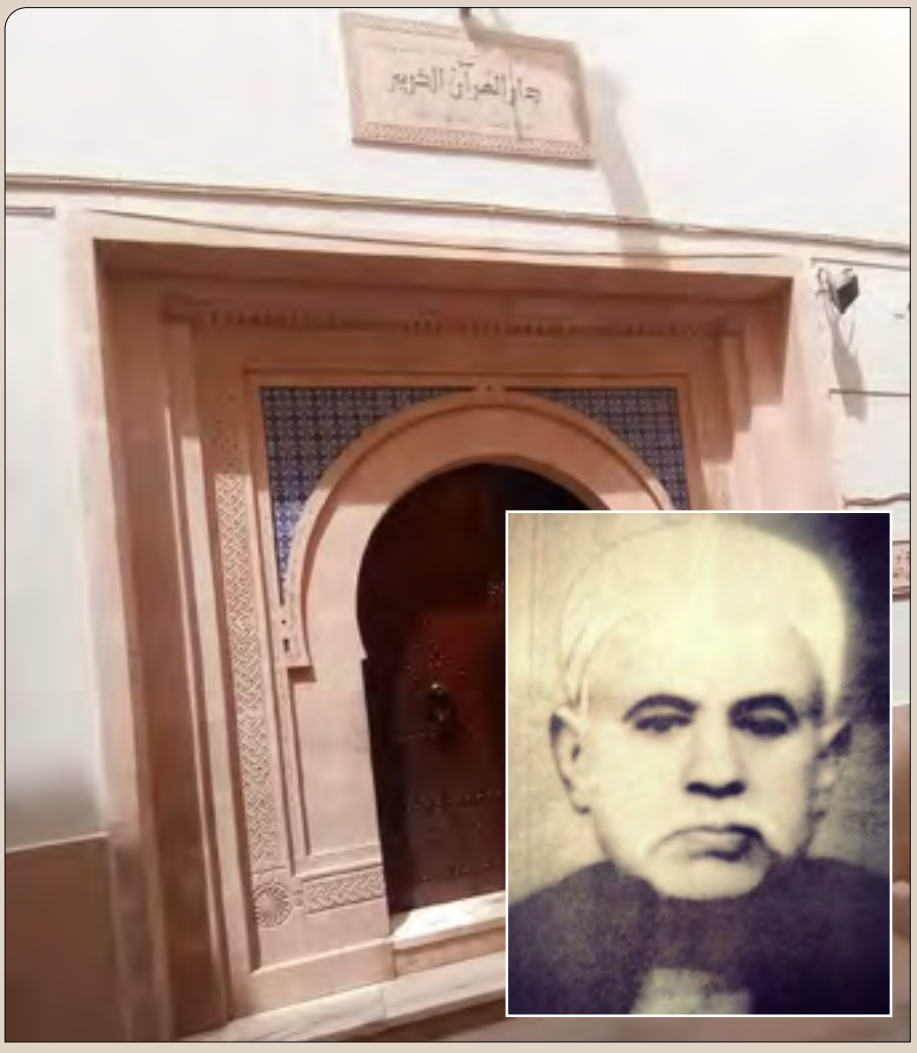

الحاج خليفة الطياري هو قارئ وحافظ للقرآن الكريم من أشهر المؤدبين بصفاقس في القرن الماضي... عاش محل تقدير وتبجيل... قضى أكثر من نصف قرن في تحفيظ الأطفال القرآن... كان يتميز بأسلوب خاص في التعليم وهو الشدة والمعاملة الحسنة...

ولد الحاج خليفة بن الحاج أحمد الفرجاني الطياري سنة 1880 بصفاقس وبها نشأ وهو ينحدر من سلالة رجل الدين والتقوى الولي الصالح سيدي خليفة الطياري...

وجهه جده للأم المؤدب حسن بن عبد الله الزغيدي لمزاولة تعليمه بجامع الزيتونة المعمور... بعد التحصيل عاد إلى صفاقس ليزاول بها مهنة التدريس في كتاب حمل إسمه (كتاب الحاج خليفة)...

كان يعتد بتفكيره وتجاربه فلم يحرم تلاميذه من تحصيل العلوم الحديثة فانتدب لهذا الغرض الأستاذ علي الرقيق لتعليمهم اللغة الفرنسية...

وفي سنة 1954 ألم بالشيخ الحاج خليفة مرض عضال ألزمه منزله بطريق منزل شاكر (زنقة سيدي خليفة الطياري) طيلة سنوات حتى وافته المنية يوم 18 جانفي 1960...

يعتبر كتاب الحاج خليفة واحدا من أهم المعالم بالمدينة العتيقة بصفاقس... وهو الآن مقر جمعية المحافظة على القرآن الكريم والأخلاق الفاظلة بالمدينة...

كان هذا البناء بالأصل جزءا من المنزل الخاص لإبراهيم الخراط (-1738 1836) أحد شعراء وعلماء صفاقس وقد حبسه بهدف إنشاء زاوية لتحفيظ القرآن الكريم...

شهد البناء أضرارا كبيرة شجعت الحاج خليفة بن أحمد الفرجاني الطياري على ترميمه خلال فترة الحماية الفرنسية... ليصبح كتاب الحاج خليفة لتحفيظ القرآن والعلوم الحديثة...

سنة 1998 شهد الكتاب أشغال ترميم ثانية من قبل وزارة الشؤون الدينية التونسية فيصبح بذلك دارا للقرآن الكريم فتحت أبوابها سنة 2000...

عن عبدالرؤوف المصمودي

«حياة أخرى لعمر مضى» لريم القمري:

رؤية فلسفية لمسارات مختلفة

عمر السعيدي

أردنا من خلال النظر في هذه الأقصوصة التي تحمل نفس عنوان المجموعة القصصية أن ندعم وجهة نظرنا العامّة التي قدمناها سابقا حول مميزات الكتابة القصصية عند «ريم القمري» أولا وندرس مثالا تطبيقيا معبّرا ..

خصائص المقدمة

تمثّل المقدّمة في القصة القصيرة عامة مدخلا جادا ورؤية عميقة تختزل أهمّ معاني القصة التي نحن بصدد قراءتها. وبقدر ما تكون خالية من الزوائد، ذكيّة، مختزلة، موحية، متضمنة لأهمّ ما يجب أن تحتوي من معان بقدر ما تكون متميزة والإمساك بعناصرها متحققا. فهي شبيهة بالعمود الفقري الذي يشدّ أطراف الجسم المختلفة ويعطيه شكله النهائي .فهل نجحت ريم القمري في جعل المقدمة خادمة لبقية عناصر القصة (الجوهر والخاتمة) أم لا ؟.

الناظر في مقدمة هذه القصة يدرك أن الكاتبة جمعت فيها كل عناصر القوة لتعالج معانيها وتبني عناصرها .

(أُطِلُّ على عمري من علوّ شاهق كأنّي أشاهدُ فيلما سيّئ الإخراج أو عرضا مسرحيّا هزليّا. نعم هكذا أرى حياتي وقد تجاوزت السّتين. تجاعيد غطّت مساحات مختلفة من وجهي). فنفهم هنا أن السارد هي امرأة وأن هناك تطابقا بينه وبين البطلة وأن ضمير المتكلم المفرد هو ضمير السرد، مما يحيل أولا على الذاتية ويساهم في إقناع المتلقي على أن الأحداث المروية هي أحداث حقيقية وذاتية تسعى للتأثير عليه وتشريكه في تبني هذه المشاعر. أما ثانيا فنفهم أن البطلة تطل على ماضيها من حاضر نفسي متأزم إلى حدّ المرارة. وأنّ تعلق الشخصية بتلك الأحداث التي عاشتها منذ أربعين عاما كان نسبيا جميلا. فيكون الحاضر والمستقبل لا معنى لهما. فالحاضر مأزوم والمستقبل لم يعد رمزا للحلم وهل بعد الستين حلم ؟. وإن حققت بعض الرضا (إحالة على التقاعد، مرتب محترم، تربية الأبناء، وإعدادهم للحياة، زواج عادي لكنّه ناجح. وبانتهاء مشوارها المهني وتفرق الأولاد تعود الزوجة إلى عالمها الخاص عالم الأدب الشعر. لكن وإن تحقق الرضا عن النفس عامّة إلا أنها كانت في داخلها حزينة إذ لم يكن زواجها ممتلئا بالحياة، ولا مكللا بالسعادة. هو رضا نسبي وحياة عادية.

نفهم إذن من العبارات التي تضمّنتها المقدّمة أن الشّخصية تعيش خوف الوقوع من شاهق وأنها تحمل نظرة سوداوية عن مسار حياتها الماضية. الحياة في نظرها شبه مسرحية هزلية لا نستطيع تغيير أحداثها. والإنسان تصوغه الأقدار بناء على

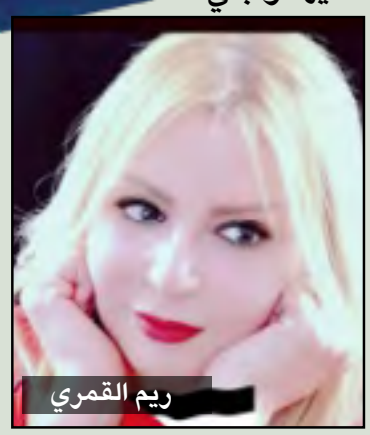
ريم القمري

الظروف والعوامل المحيطة به. وأن حياة البطلة في الحقيقة كانت الماضي الذي لم يعد مقنعا والاختيار الذي لم يكن موفّقا شعوريا، برغم ما احتوى أي الماضي من لحظات مضيئة تعلقت بالشباب والحب والحرية وبداية تشكّل المسار المهني والشخصي للمرأة كزوجة وأستاذة. لكن رغم هذه السوداوية نجد الساردة تستدرك بلفظة (لكنْ) ضمن جملة تحيل إلى بداية التحول في القصّة وتطوّر الأحداث مستقبلا (وصف وسرد استذكاري لأحداث تتعلق بالماضي والحياة الجامعية والصداقة وعلاقات الحب وتجارب الجنس والإيمان بالثورات وبناء الذات والتعلق بالأحلام والتحرر من الأعراف التي تكبل المرأة.) وقد مثلت تجربة مهمة في حياة الأنثى المتعلّمة. فكانت هنالك حياتان .حياة ثائرة حالمة يمثلها الشباب .وحياة طبيعية يمثلها الانخراط في الوظيفة وبناء أسرة. وهما مساران مختلفان لا يتطابقان. ولا بد أن نقبل بهما. ويمثل حرف الاستدراك «لكن» بداية التحول في الأحداث والخروج من المناخ النفسي المتّسم بالسلبية وعدم الرضا. ويقع سرد بعض الأحداث عن طريق الذاكرة، أحداثا مثّلت ضوءا منيرا بالنسبة للبطلة في هذا الظلام الحالك من خلال (حبها الأول في الجامعة لطالب فقير شاركها الفكر والحلم والتجارب العاطفية فشعرت معه بشيء من السعادة والتوازن إلى حين. لكن ما كان أحدهما ممتلئا بالآخر رغم ذلك التقارب الظاهر الذي عاشاه. ويكون بينهما فراق دون أسف، لتأخذ هي مسارا طبيعيا عاديا. تتزوج. وتبني عائلة وتشرف عليها. ويخوض هو تجارب جنسية متنوّعة مع نساء كثيرات. لكن يظل كل منهما مشدودا إلى الآخر المثالي مختزنا في داخله حدث الفقد والفراغ النفسي والعاطفي مقبلا على حياته الجديدة لكن به توق إلى الحبيب الأول .

ويحدث لقاء بعد فراق ونهاية كهولة. لقاء آخر العمر بعد أن تشكلت حياة كل منهما وفق ضرورة ما وسبب ما. لقاء صدفة في فضاء أدبي يبعث مشاعر الودّ من جديد فيتم التواصل الجسدي واستعادة التجربة الجنسية في نفس الفضاء (الشقة الأولى). التي ستكون الأخيرة والنهائية إذ هما متزوجان. فهل كان لابد منها للشفاء النفسي ونسيان الماضي لأن كلا منهما أخذ مسارا آخر. وتنتهي الأحداث بوعي البطلة بإتيانها إثما. وهي زوجة في عش الغرام الأول بهدف التّداوي من الحرمان ومداواة الجسد المعطوب.

كيف أنهت الكاتبة القصة ؟

بعد عملية بناء الأحداث المتعلقة بحياتها وحبيبها لما كانا طالبيْن وبعد أن جمع بينهما القدر مرة أخرى بعد أربعين سنة في أمسية ثقافية وتواصلا روحيا وجسديا مرة أخرى بممارسة الجنس الحرام تنتهي القصّة وكأن اللذة دواء للتخلص من سوء الاختيار مع إدراك للخطيئة التي بررها الجوع إلى الجسد الذي استمر طويلا .فتكون المغادرة السريعة للشقة القديمة التي ابتاعها حبيبها الأول لأنها تختزن ماضيهما الجميل (أراد ان يلمس وجهها أن يقرب أنفه من عنقها أن يستنشق عبير عرقها. لكنها فجأة هكذا دون أن تنبس بحرف واحد نهضت. بل قفزت من السرير. التقطت ملابسها. ربطت شالها جيّدا حول عنقها.وقبل أن تغادر التفتت نحوه ووجهت له ابتسامة عريضة وغادرت). وتكون بقية الفقرة لا لزوم لها إذ بهذه القفلة الموحية نجعل القارئ يخمّن ويتخيل نهايات أخرى .

وبهكذا حدثا انتهت هذه القصة بأفكار شبه فلسفية جمعت فيها الساردة رؤيتها كاملة حول قراءة مسلسل حياتها أو مساره بنجاحاته وإخفاقاته بأحلامه وانكساراته.

خاتمة

من خلال دراستنا لهذه الأقصوصة من المجموعة القصصية «حياة أخرى لعمر مضى « نفهم أن الكاتبة تولي اهتماما بالمقدمة كعنصر أساسي في نصوصها بل وتحملها أهم الأفكار والرؤى التي ترتقي أحيانا إلى وجهات نظر فلسفية لتعالجها في جوهر القصة الذي يقوم بمهمة التفسير والتحليل والتأويل والتفكيك لما جاء في المقدمة. حيث تكون الخاتمة في تقاطع مع المواضيع التي سيتطرق إليها الجوهر.

أساطير

لا يُرى الله في الدنيا وكذلك زيوس على هيئته الحقيقية

الناصر التومي - كاتب

رغم أن العهد القديم ذكر في عديد من أسفاره ظهور الله لأنبيائه وظهوره حتى لبني إسرائيل ومخاطبته لبعض الأنبياء وحتى لغير الأنبياء مثل والدي شمشون ليبشرهما بإنجابهما إياه، فكان يتم ذلك في صور متعددة، مثل نار تشتعل، أو عمود من دخان، أو في صورة ملاك من ملائكته، وهذا مخالف لما جاء به القرآن الكريم من أن الله لا يتصور في أي شكل من الأشكال، ولم يذكر أنه خاطب إلا موسى، أما غيره فلم يذكر أسماءهم وإنما جاء في قرآنه الكريم: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253)(البقرة)أي دون تحديد، ولم يذكر أنه ظهر لهم أو كلم نبيا غير موسى.

لا يظهر وجه الله للخلق في الدنيا في العهد القديم:

ـ جاء في العهد القديم أن موسى خاطب ربه: فقال أرني مجدك، فقال أجيز كل جودتي قدامك وأنادي باسم الرب قدامك، وأتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحمن وقال لا تقدر أن ترى وجهي، لأن الإنسان لا يراني يعيش، وقال الرب هوذا عندي مكان، فتقف على الصخرة، ويكون متى أجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا.(سفر الخروج الإصحاح الرابع والثلاثين)

ويفهم من خلال هذا المقطع أن الله ظهر مجده لسيدنا موسى لكنه لم ير وجهه تعالى، لكن في مقاطع أخرى في العهد القديم يظهر في أشكال متعددة دون رؤية وجهه سبحانه.

لا شك أن ظهور الله إلى بعض أنبياء بني إسرائيل في أشكال مختلفة، هو من خلق أحبار وعلماء اليهود، لأن الله لا يمكن رؤيته بأي حال من الأحوال، ولو تحقق ذلك لجاء في قرآننا الكريم، ولحدثنا به نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد نبهنا رسولنا باستحالة رؤيته إلا في الآخرة وفي الجنة.

جاء في القرآن الكريم: يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا(النساء الآية 153).

وقد قال تعالى أيضا في ذاته:لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (الأنعام الآية 103).

ـ وقال أيضا في شأن سيدنا موسى ـ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ(الأعراف الآية 143).

وفي الحديث: حديث أَبِى ذَرٍّ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه - صلى الله عليه وسلم- هل رأيت ربك ؟ قال :» نور أَنّى أراه» والسؤال هنا عن رؤيته من عدمه في ليلة الإسراء والمعراج.

وفي حديثه عن المسيح الدجال قال رسول الله:»تعلمون أنه لن يرى أحدكم ربه حتى يموت»أي إن المسيح الدجال يدّعي الربوبية ويظهر للناس، والحديث لتمييز الناس بين الرب وبين المسيح الدجال الذي يظهر عيانا في الدنيا، بينما الله لا يظهر إلاّ في الآخرة وفي الجنة.

وفي حديث أبي موسى في صحيح مسلم ـن النبي صلى الله عليه وسلم قال:إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه حجاب النور او كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بضصره من خلقه.

ظهور الألهة للبشر في الأساطير الإغريقية(1)

كان «زيوس» يظهر للبشر لكن ليس على هيئته الحقيقية، وخاصة عند تقربه من عشيقاته فتارة يتحول إلى ثور ل»أوروبا» وهي امرأة من أشهر معشوقاته التي سميت «أوروبا»باسمها، وهي فينيقية قام «زيوس» بإغوائها بتحوله إلى ثور أبيض جميل اندسّ في قطيع والدها عندما كانت تتمشى على شاطىء البحر وعندما شاهدت الثور بالغ الجمال قامت بمداعبته والتربيت عليه وجلست على ظهره، فأسرع بها «زيوس» وركض نحو البحر وسبح إلى جزيرة كريت وكشف عن هويته وأخبرها أنه يحبها وأصبحت «أوروبا» أول ملكة لجزيرة «كريت» ويتشكل في عديد الهيئات عند ظهوره إما لعشيقاته من الإنسيات أو لعامة الناس.

أعجب «زيوس» ب»ليدا» ابنة «فيسيتوس» ملك « إيتوليا»، وقد اشتهرت بجمالها الخلاب في كامل أنحاء بلاد اليونان، فشغف بها «زيوس» وأنجب منها « هيلين» التي تسببت في خراب طروادة، وتقول الأسطورة أن «ليدا» كانت تستحم في ساقية فارتمى بين ذراعيها «زيوس» في هيئة بجع بديع.

يوم ظهر زيوس على هيئته الحقيقية(2).

بتدبير جهنمي من «هيرا» زوجة «زيوس» لغاية الانتقام اقترحت من « سيميلي» ضرتها الإنسية وهي أميرة من طيبة أن تطلب من «زيوس» زوجهما أن يأتي إليها على هيئته الحقيقية بينما كانت حبلى بابنها « ديونيسيوس»، لعلمها انه لا يرفض لها طلبا، فجاءها على شكل برق لأنه البرق، فتحولت إلى رماد، فانتشل «زيوس» ابنه من بقايا الرماد ورباه فكان إله الخمر.

نستنتج من خلال ظهور «زيوس» على هيئته الحقيقية وهي البرق الذي أدى إلى إحراق خليلته والدة «ديونيسيوس» أن المخلوقات غير قادرة على تفادي هذا الخطر، ومآلها الموت، وهو نتاج ما قد تسرب من الرسالات السماوية من استحالة رؤية الله إلا في الآخرة وفي الجنة حيث يسمح الخالق بذلك ويهيء مخلوقاته لهذه الرؤية.

1 – كتاب أساطير اليونان. فصل قدموس ص 207.

2 – كتاب أساطير اليونان، فصل ديونيسيوس صفحة 132.

نافذة لأراك
(Fenster um dich zu sehen)

كمال العيادي (الكينغ)
Kamal Ayadi - KING

(12)

مُقابِلَ بَابْ (بَرُّوطَة)، اشْتهتْ نفسِي فطيرة. بائع الفطائرِ، كانَ هنّاكَ، ينظُرُ حزينًا إلى قصعةِ زَيْتِهِ والحَانُوت فارغًا تمامًا.. دخلتُ وطلبتُ فطيرَتينِ، رغمَ كلّ مُحاولاتِ ذلكَ العفْريتْ المُرعبِ الوَاقفِ عندَ البابِ، بتسخيرٍ من عزّامٍ شرّيرٍ، ماتَ منذُ عُهُودٍ ولمْ تبطُلْ تعاوِيذَه، لقطعِ الأرْزَاقِ في القيْرَوَانْ...

Vor Baroutas Tür sehnte ich mich nach frittierter Döner Der Verkäufer war da und schaute traurig auf seine Schüssel mit Öl, während der Laden völlig leer war. Ich ging hinein und bat um zwei frittierter Döner, trotz aller Versuche dieses schrecklichen Kobolds, der an der Tür stand und von einem bösen Azzam angeschnallt wurde, der starb Vor langer Zeit und seine Zaubersprüche, mit denen er den Menschen die Lebensgrundlage entzog, hatten nicht aufgehört. In Kairouan.

حوار مع عالم الاجتماع بيار بورديو :

بؤس وسائل الإعلام

حاورته: مجلّة « تيليراما Télérama*

ترجمة : عبد الوهاب البراهمي
متفقد عام للتربية سابقا (فلسفة)

. يفسّر لنا بيار بورديو عالم الاجتماع الفرنسي المعاصر وأستاذ علم الاجتماع أسباب هذا التحوّل في دور وسائل الإعلام عموما، في هذا الحوار الذي لا يزال يحتفظ براهنيته إلى اليوم :

***

[...]

– ت. ر : في الأصل، أنتم تنظرون، ومن خلف مسألة المهاجرين الجزائريين، إلى مسألة القيم الجمهوريّة؟

– ب. ب: إنّ السياسة البوليسية للحكومة الفرنسية تهدّد الديمقراطية، التي هي محميّة إلى حدّ الآن بالتمدّن الجمهوري، وترسي تقاليد عنصرية تجاه كل من ليس له وجه أو ميراث أو أجداد فرنسيين فعلا. فالإجراءات المتخذة تجاه الأجانب تهدّد التقاليد الكونية والدُّولية لفرنسا. إنّها توقظ، لدى بعض الأصناف الاجتماعية الاستعدادات الكامنة للعنصرية. وليس من الضروري أن نقول لرجال البوليس « راقبوا الناس على أساس الظاهر»: يكفي أن لا نقول شيئا حتى يقوموا بذلك.

– تيليراما: هل أحسستم، في عملكم لصالح الجزائريين، ومن وراء، المبادئ الجمهورية، بمساعدة وسائل الإعلام لكم ؟

– بيار بورديو: تكمن الصعوبة في أنّنا كنا في هذه الجمعية للباحثين (Cisia) عددا قليلا من المتطوّعين، دون بنية تحتية ولم تكن لنا رغبة في الظهور في وسائل الإعلام. إلى حدّ أنّ أحد مديري الإذاعات، قد صرّح مؤخّرا قائلا :» أوه، هذه الجمعية لا تفعل شيئا : نحن لا نراها أبدا». كلّ ذلك لأنّه وقع تخصيص أمسية حول الجزائر وكان لنا ما نفعله وقتها بدل الثرثرة.

– ت.ر: أن نوجد، هو أن نمرّ عبر الراديو أو التلفاز؟

– ب.ب: حاليا، ما من إنسان قادر على بعث نشاط دون مساندة وسائل الإعلام. هكذا الحال بكلّ بساطة. لقد هيمنت الصحافة في النهاية على كل الحياة السياسية، والعلمية والفكرية. لابدّ من إنشاء مؤسّسات حيث يمكننا العمل معا، حيث يتبادل الباحثون والصحفيون النقد. بيد أن الصحفيون هم من أكثر الأصناف حساسية : يمكننا أن نتكلّم عن الأساقفة وعن الأعراف، بل حتّى عن الأساتذة، ولكن يستحيل أن نتكلّم عن الصحفيين بأشياء هي الموضوعية ذاتها.

– ت.ر: لقد حان الوقت لقولها!

– ب.ب: توجد مفارقة بالأساس: الصحافة مهنة جدّ قوّية يشتغل بها أفراد هم من الهشاشة بمكان. ينضاف إلى ذلك تعارض كبير بين السلطة الجماعية، الضخمة، وهشاشة منزلة الصحفيين، الذين هم في منزلة أدنى بالنسبة إلى المفكّرين وبالمثل تجاه السياسيين. يمكن للصحفيين أن يدمّروا على نحو جماعي. ولكنهم فرادى هم باستمرار في خطر. إنّها مهنة حيث الحياة، ولأسباب

« لقد أصبحت التلفزة التي يجب أن تكون أداة لديمقراطية مباشرة، آلة للقمع».
(ب. يورديو)

«الصحافة مهنة جدّ قوّية يشتغل بها أفراد هم من الهشاشة بمكان.»
(ب. بورديو)

«يمكن للصحفيين أن يدمّروا على نحو جماعي. ولكنهم فرادى هم باستمرار في خطر».
(ب. بورديو)

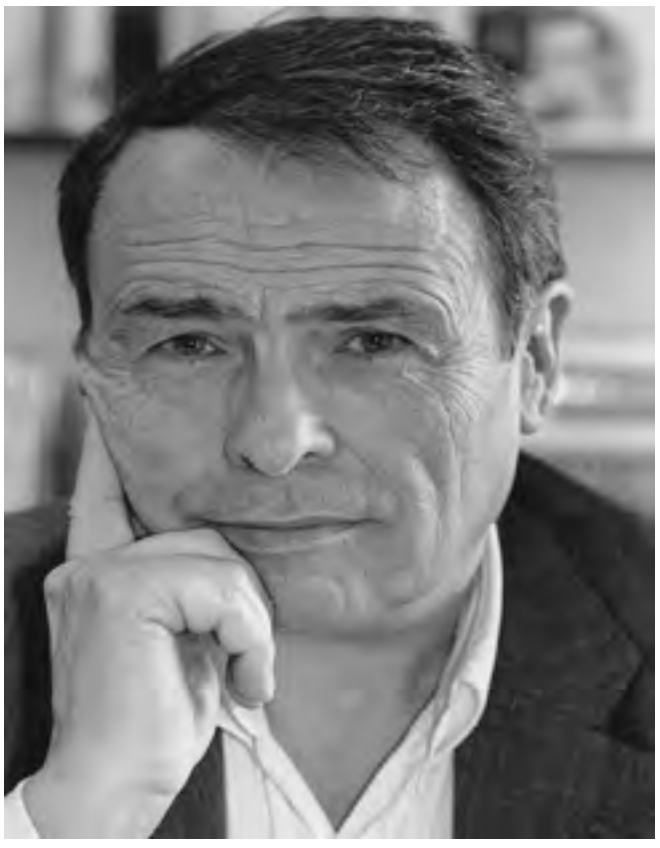

سوسيولوجية، قاسية (ليس من قبيل الصدفة أن يوجد فيها تعاطي كبير للكحول) والرؤساء الصغار مرعبون. فهم لا يدمّرون فحسب المسارات المهنية لبعض الصحفيين، بل الضمائر أيضا (والأمر قائم أيضا في مواضع أخرى مع الأسف). يتألّم الصحفيون كثيرا. وفي نفس الوقت يصبحون خطرين: حينما يتألّم قطاع ما، ينتهي دوما إلى نقل معاناته إلى الخارج، في شكل عنف وكراهية.

ت.ر: هل هو مجال قابل أن يُصلح؟

ب.ب: الظروف غير ملائمة. إنّ حقل الصحافة هو حيّز لمنافسة قسرية، تمارس فيها التلفزة هيمنة شديدة. ويمكننا أن نقدّم ألف قرينة، منذ نقل صحفيين في التلفزة إلى الإشراف على صحف مكتوبة، إلى حدّ المكانة المتنامية للمادّة التلفزية – ومرونتها، حتى لا نقول خضوعها – في الصحف. إنّ التلفزة هي التي ترسم قواعد اللعبة : المواضيع التي يجب الحديث عنها أو لا: الأشخاص المهمّين أو لا. بيد إنّ التلفزة المستلّبة لما يتبقى من الصحافة، تعيش هي الأخرى استلابا، من حيث أنها تجد نفسها خاضعة، بوصفها فضاء للإنتاج نادرا، للإكراه المباشر للسوق. نتسلّى بذلك ولكن لا يوجد غير «القلابس» Guignols لقول ذلك على الملأ. (وإذا ما كتب علم الاجتماع ،على وجه العموم، عُشْر ما يسمعه حينما يتحدّث إلى الصحفيين– عن «الترتيبات» مثلا، أو عن فبركة الحصص، فسيتّهم من الصحفيين أنفسهم لتحامله ونقص موضوعيته حتّى لا نقول لوقاحته غير المحتملة...) من يفقد نقطتين في نسبة الاستماع والمشاهدة، فعليه أن يرحل. ينقل هذا العنف المسلط على التلفزة عدواه إلى كامل حقل وسائل الإعلام. وتنقل عدواها حتّى إلى أوساط المثقفين والعلماء والفنانين الذين تربّوا على احتقار المال وعلى لامبالاة نسبية تجاه التكريس الجماعي– هل تتخيّلون مالارمي ينتظر اعترافا من المارّة وتصفيقا في الاجتماعات ؟ غير أن هذه العوالم الصغيرة حيث يمكن أن نعيش مجهولين وفقراء مادمنا نحتفظ بتقدير البعض وان نفعل أشياء جديرة بأن تفعل، هي عوالم مهدّدة حاليّا.

– ت.ر: هل تعتقد أنّه يمكن، في ظروف المنافسة الحالية لوسائل الإعلام أن يُستمع لدعواكم؟

–ب. ب: أعلم أني أبدو كأستاذ نيمبوس Nimbus الذي جاء ليقدّم وعظا أخلاقيا في الوقت الذي يجب فيه أن ننقذ الأثاث و حيث يجب على صاحب جريدة «ليبيراسيون» أن يتساءل كل صباح عمّ إذا كان هناك عدد كاف من الإعلانات حتّى يقدر على نشر العدد المقبل من الجريدة. ولكن هذه الأزمة تحديدا والعنف الذي تمارسه هو ما يجعل بعض الصحفيين يقولون لأنفسهم بانّ علماء الاجتماع ليسوا مجانين كما يبدو. يكون الشبان والنساء هم الأكثر تأثّرا لدى الصحفيين: أود لو يفهموا بشكل أفضل ولو قليلا لماذا يحدث لهم هذا، وأنّه ليس بالضرورة خطأ الرئيس الصغير – الذي، ليس بالطبع ماكرا جدّا، ولكنّه اختير لأجل ذلك – وأنّ البناء هو الذي يضطهدهم. فقد يساعدهم هذا الوعي على تحمّل العنف والتنظّم. وقد يساعد على تجنّب التهويل والتفريد. وتوفّر الأدوات للفهم جماعيا.

ت.ر: لقد وصفت « حقل « الفنّ والعلم بكونها عوالم تجد شيئا فشيئا قواعدها. لماذا لم يتمكّن «حقل» الصحافة من العثور على قواعده الخاصّة؟

– ب.ب: نجد في الميدان العلمي بالفعل ميكانيزمات اجتماعية ترغم العلماء على التصرّف أخلاقيا، أن يكونوا « متخلقين» أو لا. فالبيولوجي الذي يقبل أجرا من المخبر لكتابة نشرية تافهة سيخسر كل شيء ...توجد عدالة ضمنية. فمن يخترق بعض الممنوعات يحترق. ويقصي

نفسه. ويفقد مصداقيته. بينما، أين يمكن أن نجد نظام عقوبات ومكافئات في ميدان الصحافة ؟ كيف سيتجلّى التقدير لصحفي قام بدوره على أحسن وجه؟ إنّ بذرة النقد الوحيدة التي أراها هي رسوم «بلانتو» PLANTU أو حصّة القلابس GUIGNOLS فهم محلّلون خارقون للعادة .غير أنّه لابدّ من أداة أكثر قوّة. ربّما مرصد لنقد الصحافة، كل أسبوع مع تحليل، وأناس قادرين على تغيير التحليل إلى سلاح رمزي، إلى رسم، وإلى شيء ما مضحك قليلا : لابدّ أن تعرض بعض الأخطاء المهنية على القضاء لتسلط عليها عقوبة خاصّة، أفضلها أن يكون سخيفا.

ت.ر: سيعترض عليك بأنّ تريد نظاما مراقبة، ولجنة مركزية للإعلام...

ب.ب: أعلم ولكن الأمر على خلاف ذلك تماما. إن الاستقلالية التي أدعو إليها هي التي تنمّي الاختلاف. وانّ التبعية هي التي تخلق النمطيّة والتوحيد. وإذا كانت الثلاث مجلات الفرنسية («الاكسبراس» و«لوبوان» و«النوفال ابسارفاتور») تميل إلى أن تكون قابلة للتبادل أو التعاوض، فلأنّها خاضعة تقريبا لنفس الإكراهات، ولنفس سبر الآراء، ولنفس أصحاب الإعلانات، وانّ صحفييها يمرّون من واحدة إلى أخرى، يسرقون لأنفسهم مواضيع أو غلاف مجلّة. بينما لو ربحوا استقلالية أكثر تجاه أصحاب الإعلانات و تجاه نسبة المشاهدة الذي هو رقم المبيعات، وتجاه التلفزة التي تفرض مواضيع هامّة بين «بالادير» و«شيراك»- فسرعان ما سيتميّزون. لقد اقترحت مثلا، لوضع حدّ للآثار السلبية جدّا للتنافس، أن تبتكر الجرائد هيئات مشتركة مماثلة لتلك التي تنشأ في الحالات القصوى، اختطاف الأطفال مثلا، حينما نتفق على محو كلّ معلومة. ففي هذه الحالات القصوى تتخلّى وسائل الإعلام عن مصالحها التنافسية للحفاظ على ضرب من الإيتيقا المشتركة. وفي شأن موضوعات أخرى لا نتناولها إلاّ لأنّ الآخرين قد تناولوها، مثل « مسألة الحجاب»، فيمكن أن نتخيّل ضربا من المواتيريوم MORATOIRE. أما في شأن الكتب فالتبعية ملفتة للانتباه. إذ يجد كثير من الصحفيين أنفسهم مضطرين على الحديث عن كتب يكرهونها، فقط لأنّ الآخرين قد تحدّثوا عنها. وهو ما يساهم كثيرا في النجاح اللافت لهذه الكتب مثل آخر منجم أو تفاهات أخرى من نفس النوع....

– ت.ر: يبدو أنكم تختارون، قبالة وسائل الإعلام هذه، التي تشمئزون منها، سلوكا يمكن نقده، سلوك الازدراء، لماذا؟

– ب.ب: بل موقف انسحاب بالأحرى. لكن لا يخصّني أنا فحسب. لا أعرف عالما كبيرا ولا فنانا كبيرا أو كاتبا كبيرا لا يعاني من علاقته بوسائل الإعلام. إنّه لمشكل كبير، لأنّه من حقّ المواطنين أن يستمعوا للأفضل. بيد أن آليات الدعوة والإقصاء تجعل من المتفرجين تقريبا محرومين آليا ممّا هو أفضل على الساحة.

– ت.ر: إذن، تريدون تغيير لا الجرائد فحسب، بل التلفزة أيضا ؟

–ب.ب: بالتأكيد، ليست الأداة هي موضع التساؤل. فهي تسمح بنقيض مطلق لما نفعله. فقد تكون أداة ديمقراطية مباشرة. وقد تتحوّل إلى أداة قمع رمزي. لابدّ، لتغيير التلفزة، من عمل ضخم، يكون مهمّة ديمقراطية حقيقيّة- لا عملا سياسويّا.

– ت. ر : – انتم تبالغون مع ذلك: لماذا نشاهد في التلفزة بيار جيل دي جان الذي يبدو أقلّ تحفّظا منكم، ولا نشاهد بيار بورديو؟

– ب. ب : إن مشكلة دي جان في التلفزة هو انّه الوحيد الذي يستطيع أن يتكلّم عن شيء لا يتكلّم.

– ت. ر : لا أفهم...

– ب. ب : أي نعم. يدعونه يتكلّم عن أشياء تافهة قليلا، ولكنها لطيفة كأن يقترح ريّ الصحراء ...ولكن لن تسمع دي جان يتحدّث عن الفيزياء. يتحدث إلى الجهلة بإتقان، ويستخدم مجازات. ويجهد في أن يفهم كل الناس ما يقوله، ولكنّه في النهاية لا يتحدّث أبدا عن الفيزياء حقّا: لأنّ نسبة الاستماع في ثلاث دقائق هي إذن... وعلى ذلك، فإنّه وباسم خطاب لا يستقيم، يقول أيّ شيء عن حقول ليس له فيها ما يقول.

– ت.ر: هل أنتم بوصفكم عالم اجتماع، منزعجون بموجب صعوبة مضافة: كون الجمهور يعتبركم « أقل علمية « من الفيزيائيين أو البيولوجيين؟

– ب. ب : يجب أن نقارن بين أشياء قابلة للمقارنة. فبالنسبة إلى الفيزياء الذرية تكون المقارنة ليست في صالح علم الاجتماع. لأنّها لم تنشأ في نفس الدرجة، وكونها أقلّ صورية الخ. ولكن لو قارنا علم الاجتماع بالتاريخ. فسنكون أمام علم أقلّ تقدّما من علم الاجتماع، و يقدّم أشياء أقلّ حسما من منظور تدبير الوجود، سواء أكان فرديا أو جماعيا. حسنا! ما من أحد يطالب المؤرخ بشيء، وما من أحد يطرح عليه مسألة علوميته. ولكن لعلماء الاجتماع، نعم. فنحن لا نتناول رهانات حارقة فحسب – بينما المسائل التي يتناولها المؤرخ هي منتهية ومقبورة. – بل أيضا نحن في تنافس مع أناس يزعمون، وفي نفس الموضوع الذي نشتغل عليه، قول أشياء نهائية أيضا، باسم مبادئ أخرى للصّلاحية.

نقابل مبدأ الصلاحية لديّ والذي هو نفسه بالنسبة إلى الفيزيائي، مبدأ آخر للصلاحية، مبدأ رجل السياسة: حجّة السلطة أو الاستفتاء العددي. كأنّما نحكم على صلاحية نظرية بالاقتراع العام.

–ت.ر: في الأصل، لعلم الاجتماع نفس موضوع السياسة، ولكن نفس معايير الصلاحية مع العلم.

– ب. ب: هو ذا. ونريد أن نطبق عليه (علم الاجتماع) قواعد الصلاحية التي للسياسة بزعم أنّ موضوعه سياسي. فإذا كنت مختصة في مدينة « بيزانس» BYZANCE الاغريقية، فسيكون لي موقف مشابه تقريبا لموقف ليفي ستروس، فيستمع إليّ بوقار- ولامبالاة. وبما أنّني اشتغل على الحاضر، وقد يحدث لي أن أتكلّم عن بالادير وبارنار تابي، أو عن الصحفيين، الموضوع المحظور بامتياز، فقد تناهض هذه السلطة التي لديّ بالرغم من أنّ لي ما أقوله، من أشياء ذات أساس متين و أكثر تعقيدا من المثقّف ذي الأساس الإعلامي، الذي يجامله أغلب الصحفيين. وهم في نفس الوقت يكرهونه قليلا، والذي يقبل على التلفزة بصيغ ثلاث جاهزة، أي تسطيحية وخاصّة بدعم الرأي السائد. فنقبل في هذه الحالة، أن نكون في خدمته حتى نسمح له بوضع سلطته، التي يفترض أن ترفّع في نسبة المشاهدة بنقاط. في حين انّه إذا ما طالبت بنفس الشيء لنفسي وللآخرين، فسيستنكرون وقاحتي...

– ت. ر : لقد نشرت العام الماضي كتاب حوارات .» بؤس العالم»، بيعت منه ثمانون ألف نسخة.اقتبست منه مسرحيات وقريبا حصّة تلفزية. ثمّ يطلب منك إجراء مقابلات جديدة. كيف تفسّر هذا النجاح؟ لماذا لا يستطيع الصحفيون، وهو ما يفترض عادة أنّه من صميم عملهم، أن يحسّوا، و بنفس القدر من الوجاهة التي لعلماء الاجتماع بآلام الجسم الاجتماعي؟

– ب. ب : يوجد قليل من الصحفيين المُجيدين الذين يقومون بإصدار كتب محاورات مثل هاريس وسيدوي. ولكن هي مع ذلك مهنة...

– ت. ر: هي مهنة بالنسبة إليكم لا بالنسبة إليهم؟

– ب. ب : ليس هو نفس الشيء. فحوارت « بؤس العالم « هي أكثر قربا من التحليل النفسي منه إلى صحافة الاستقصاء. ويتعلّق الأمر بخلق وضعية تكون فيها الشخصية المستجوبة قادرة على أن تقول، وتقول لنفسها، أشياء تكبتها وتجد نفسها بعد ذلك سعيدة جدّا بقولها.

– ت. ر : هل طبقّتم هذا الإجراء عليكم مثل فرويد؟

– ب. ب: بالطبع. أجهد نفسي دون انقطاع في استخدام ادوات علم الاجتماع لمعرفة المحدّدات الاجتماعية وحدود تفكيري. فكتاب « الإنسان الأكاديمي» HOMO ACADEMICUS هو ضرب من استكشاف للاوعيي الجامعي. ولكنّه مع الأسف تظلّ هناك بالتأكيد زوايا مظلمة، لن انتهي من استكشافها.

– ت. ر : نصيب الذاتية في عملكم كبير جدّا ؟

– ب. ب : يحدث لي بالطبع استخدام رصيد تجربة شخصية، حساسية تخصّني، ولكنّي اجتهد في منحها صلاحية عامّة. أخيرا، قمت مثلا بملخّص عن النبالة. وليست لي تجربة معيشة في هذا الباب. ولكن اجعل أحد النبلاء يقرأ هذا النصّ فسيتضايق. كيف يكون بإمكاني الوصول إلى هذا؟ لأنّه، على قاعدة التجارب المماثلة التي عشتها – أن أكون طالب المدرسة العليا بالنسبة إلى الطلبة الجامعيين، الخ-، أجد إحساسا بالعلاقة بين النبيل والسوقيّ، ثمّ إنّه يمكنني الاستناد إلى هذه التجربة، وإلى معرفتي بأشياء مماثلة، كالذّكورية، والشرف القبائلي، الخ، حتّى أكوّن نموذجا عامّا يسمح بفهم مغاير كل الأدبيات التاريخية عن النبالة، والتي فيما أعتقد تهمّ الجميع...

– ت. ر : ... ولكن، لا يمكن للجميع قراءتها، فكثيرا من كتبكم كتبت بأسلوب منفّر : كأنّما تفعلون ذلك عن قصد...

–ب. ب : حينما تكون الحقيقة معقّدة، والحال هذه غالبا، فلا يمكن قولها إلاّ بطريقة معقّدة، إلاّ إذا تحدّثنا عن شيء آخر تماما، مثل بيار جيل دي جان... فليس عملنا أن نقف قبالة الرأي السائد فحسب وضدّ غشاواتنا الاجتماعية الخاصّة، بل هو استخدام لغة تتعارض مع تبسيط الحقيقة العلمية التي هي دوما مهدّمة. فحتّى الكلمات هي معدّة مسبقا حتى نتكلّم عن العالم كما هو .»

* حديث دوّنه فرانسوا قرانون. (مجلة : تيليراما TÉLÉRAMA عدد -2353 15 فيفري 1995 – ص-9 -10 11-12)

توتّر / فُصام «الإنسان الحديث» بين الصلابة والسيولة أو في نقد «الميوعة»

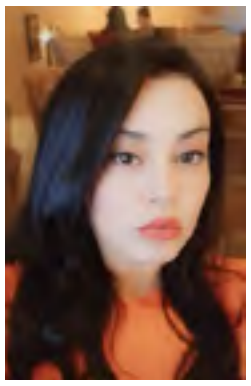

احمد الكافي يوسفي
سناء عليبات
باحثان في الفلسفة بين الحداثة والحداثة المغايرة

1) من التأمّلات الميتافيزيقية إلى تأمّل الميوعة والقنبلة والتفاهة والكارثة

«لم تزل الفلسفة منذ قرن، تحتضر حتّى انه ليس بإمكانها أن تموت لأنّها لم تنجز بعد مهمتها.»(1) هذا ما جاء في استهلال «نقد العقل الكلبي» للفيلسوف بيتر سلوترديك. هذه الفلسفة «المستميتة» لا تقوم مهمتها على «نظرية ايروسية، حب الحقيقة وحقيقة الحب»(2) بل تعرية الزيف والزيغ واقحام اللّبس والمغايرة في صلب ما يقراه الفيلسوف ويشخصه ويدرسه. اذا تحدثنا يعبارات الاستاذ ناجي العونلي في تقديمه لكتاب نقد العقل الكلبي مُشدّدا على هذا المنقلب الفكري الحاسم يمكن القول بان الفلسفة «تشهد منقلبا فكريا حاسما يفرض عليها التحول من مجرد «نظرية ايروسية» تقوم على حب الحقيقة، الى زعزعة الحقيقة نفسها»(3)

هاهنا «شارع ذو اتجاه» نقدي مغاير يتصادى فيه القول الفلسفي السلوترديكي بقول فيلسوف النظرية النقدية الفرانكفورتية تيودور ادرنو الذي شدّد بدوره على بقاء الفلسفة واستماتتها اذ يقول «تبقى الفلسفة التي بدت على انها وقع تخطيها، باقية». وعليه يمكن القول كما قال الدكتور ناجي العونلي:» خارج منظور النهايات والخواتم الذي افتتنت بها دعاوي «المابعد» المتهافتة (من مثل القول بنهاية التاريخ ومجاوزة الميتافيزيقا وموت الانسان الخ)، بدلا من التعجيل بتأبين الفلسفة»، نشدّد هنا من خلال هذين القولين السلوترديكي والادرني «على استماتة الفلسفة».(4)

ففي سياق مغادرةِ براديغم ومباشرةِ آخر، يمكن للتفلسف المغاير ان «يتامل القنبلة» (سلوترديك، نقد العقل الكلبي)(5) وينظر في «الكارثة» (هوركهايمر وادرنو، جدلية التنوير) (6) او يكشف عن «نظام التفاهة» (آلان دونو، نظام التفاهة) كما يمكن أن يقتحم «الميوعة» (زيجمونت بومان، الحداثة السائلة)(7). في كل هذه الأحوالِ الفلسفيةِ الفكرية وغيرها، فانّ الأمر يتنزل في إطار منقلب فكري يقوم بالجوهر على مغادرة براديغم التعالي والنظري الى براديغم الاجتماعي والتاريخي.

لم يعد الأمر يجري مجرى «التأملاّت الميتافيزيقية» على الطريقة الديكارتية بل «تأمّل في القنبلة « (سلوترديك) وتفكير في الكوارث التي تُهدّد البشرية ونظر في الميوعة والانتاجية والاغتراب والمردودية. وفي هذا السياق يتنزل التفكير «الباوماني» (نسبة الى زيجمونت بومان) في توتّر الإنسان الحديث في إطار توتّر الحداثة بين الصلابة والسيولة. ويمكن ان نقف على عدّة وجوه لهذا التوتر من خلال التناول «الباوماني» لهذه السيولة والميوعة التي تتجلّى في مظاهر متعددة لحياة الإنسان الحديث.

2) توتّرات الميوعة /السيولة

في عالم الميوعة والسيولة، في عالم لا يؤمن بشيء غير التغيير، ويعظم المرونة وسرعة الزوال والتخلي، حيث «الحياة الاستهلاكية حياة من التعلم والنسيان السريعين»(8)، وحيث أصبح الإنسان واحدا من عناصر اللعبة الاستهلاكية، وهو ما يعني ان الحداثة السائلة تفرض منطق السرعة على حركة المستهلك، وهو ما يتوافق مع مبادئ النظام الاستهلاكي الرأسمالي التي يمكن أن نجدها في عبارة: «اشترِ، استعملْ، إرمِ».

هاهنا نقف على جملة من التوترات التي تخترق الحداثة من خلال تمزق يعتمل في صلبها يبرز من خلال السيلانية والصلابة بعامة:

- توتر مبدأ الإشباع الذي كانت تقوم عليه الأخلاق الإنتاجية مع ماكس فيبر حلّت مكانه وهمية الشعور بالإشباع من خلال طغيان ثقافة الاستهلاك التي أسقطت الإنسان في متاهة الاغتراب واستحال سجين معابد الاستهلاك.

- توتّر تحديد الأولويّات، ذلك أنّ الإنسان الحديث يعاني من مشكلة الخيار المتعدد وتحديد الاولوّيات في الحداثة السائلة بعدما كان يواجه مشكلة الخيارات النادرة في مرحلة الحداثة الصلبة. فالسيولة تطرح خيارات لا متناهية جعلت الفرد يعيش حالة من عدم اليقين اذ «يقوم المجتمع الاستهلاكي الحديث بتوليد الحاجات بشكل مستمر، وتحوّل كل شيء قديم إلى شيء مستهجن يستحق أن يوضع في سلّة النفايات، بما في ذلك المشاعر والأجساد والصلات»(9)

- توتّر الهوية : لقد استطاع باومان أن يشخص تشكُّل ملامح هوية الفرد في مرحلة السيولة، حيث يوصف بالأساس بكونه مستهلكا، وأصبحت صفة الإنتاجية ثانوية على عكس ما كانت عليه في الحداثة الصلبة، كما أن الفرد لا يمكن أن يحظى بحق الاعتراف داخل الجماعة إلا عبر متطلبات السوق. نعني بهذا أن الاستهلاك هو المعيار الذي يحدد مكانة الفرد داخل المجتمع، ولبناء فرديته على الإنسان أن يوفر موارده المتاحة لتتلاءم مع تصنيف المجتمع له، وعلى هذا النحو أصبح الاستهلاك ضرورة أساسية، هذا المجتمع السائل يربط بين انتزاع الهوية والولاء والامتثال لقواعد مجتمع المستهلكين الذي تتحكم فيه سياسات السوق العالمية، فما يجعل من الفرد فردا هو أن يكون مستهلكا.

- توتّر العلاقة بين الفرد والذات، والفرد والآخرين تغيرت في مرحلة السيولة. فلقد جُرِّدَ التنظيم الاجتماعيّ من مهامه التقليدية، ولم يعد قادرا على توفير المعايير والقواعد التي تؤطر الفرد، وتآكلت كل الأطر التقليدية والجمعية، لتشكيل الهوية التي ظلت تكبح وتقيّد المحاولات الحرّة لتشكيل الهوية الشخصية خلال مرحلة الحداثة الصلبة. هذا ما دفع إلى انحسار السلطة التنظيمية، وما جعل الأفراد في الظاهر، أحرارا في اختيار مسارات حياتهم الخاصة، فلقد تخلّى أفراد الحداثة السائلة عن كل المرجعيات المقيِّدة والملزمة.

- توتّر السلطة السياسيّة: لقد بين باومان بجلاء تحول علاقة السلطة بالسياسة حيث انتقلت الدولة إلى فضاء عالمي في مقابل السياسة التي ظلت محلية، كما تخلت الدولة عن دورها الاجتماعي في ضمان حلولٍ لعجز الأفراد، وانهدمت الأسس الاجتماعية التي قامت عليها فكرة الضمان الاجتماعي، وسيرورة التغيير

هذه جعلت الإنسان المعاصر لا يحتمل أشكال الثبات أو الديمومة: «في النظام الجديد المرونة هي الثبات الوحيد والزوال هو الدوام الوحيد والسيولة هي الصلابة الوحيدة وباختصار شديد اللايقين هو اليقين الوحيد (10)

– مجتمع الميوعة/ مجتمع السوق وسلعنة الحياة: تحوّل المجتمع في مرحلة الميوعة إلى سوق كبيرة. وهذا ما يتفق فيه باومان مع آلان تورين، حيث صار المجتمع خاضعا «إلى منطق السوق وإلى الطلب المتعلق بالسوق... الاقتصار على عقلانية الأداتية والاستهلاك الجماهيري»(11). ففي هذه المجتمعات تتقلص المسافات بين مراكز السوق وسلّة النفايات، نعني أن ثقافة الاستهلاك القصير الأمد والسريع تهيمن على هذه المرحلة: «ذلك لأن السرعة المذهلة في التوزيع وإعادة التدوير وانقضاء عصر المنتج قبل الأوان وإغراق السوق بالبضائع بأسعار دون المستوى، والاستبدال والإحلال هي ما تدر الربح هذه الأيام، وليس طول بقاء المنتج ومتانته المستديمة» (12)

فضلا عن ذلك أصبحت السعادة تتحقق بالتخلص من الأشياء عوض امتلاكها، كما أنها أيضا سمة تحدد صحة المجتمع وتحكم مدى تطوره اقتصاده، حيث عصف الاستهلاك بكل جوانب الحياة فـــ»السوق تخترق جوانب الحياة التي ظلّت خارج التبادل النقدي حتى وقت قريب»(13). إنه نظام ألقى بظلاله على الحياة، ما دفع آلان تورين إلى قول: «لقد عاش الكثيرون في فرانكفورت انبثاق مجتمع الاستهلاك باعتباره انحطاطا»(14)، بل إن المسألة أخطر من ذلك، فطغيان الطابع الاستهلاكي لهذه المجتمعات في مرحلة السيولة ينذر بتلاشي المجتمع، يعني أنه يتحول ليصبح سوقًا كبيرة، كل شيء فيها قابل للبيع والاستبدال «ومهما كان الاسم الذي نلصقه بنشاطنا، فإنه نوع من التسوق، نشاط يتشكّل على شاكلة التسوق. فالشيفرة التي وُضعت فيها «سياسة حياتنا» تصدر عن براغماتية التسوق.»

يسعى المجتمع الاستهلاكي إلى جعل المستهلكين سلعًا قابلة للتصدير والترحيل، إذا ما تبين أنّها غير نافعة أو تمثل خطرا على المجتمع، وذلك «أن الغرض المهم...للاستهلاك في مجتمع المستهلكين ليس إشباع الحاجات والرغبات والأمنيات، بل تسليع المستهلك وإعادة تسليعه، إنه رفع حال السلع القابلة للبيع»، فلقد عصفت ثقافة الاستهلاك بسلوكيات إنسان الحداثة السائلة، حيث مسّت الميوعة صميم العلاقات الاجتماعية والروابط العاطفية، «فثمة حالة غير مسبوقة من الميوعة والهشاشة واللحظية الكامنة...تضرب أشكال الروابط الاجتماعية كافة التي كانت قبل عقود قليلة تتشكّل في إطار دائم وموثوق تنسج فيه شبكة التفاعلات الإنسانية في أمان»(15). في زمن الميوعة أصبحت هذه الشبكة تمثل عائقا أمام حرية الإنسان المهووس بالتغيير والمحكوم بالحركة والانتشار، وهذا ما جعله يعيش حالة من العزلة والتفكك الاجتماعي: «ذبول التكافل الاجتماعي في مكان العمل، واضمحلال الدافع إلى التراحم والتشارك في بيت الأسرة»(16)، وهكذا ذاب مفهوم الأسرة، وحلَّت الحشود محلَّ الجماعات، حيث تفتقر هذه الحشود لأي نوع من الروابط أو العلاقات، فهي ترى في «الالتزام تجاه شخص آخر أو أشخاص آخرين أشبه بفخ لابد من اجتنابه بأي ثمن». ذلك ما جعل إنسان الحداثة السائلة بلا أطر ولا مرجعيات أو روابط اجتماعية.

وفي خاتمة مقالنا يمكن القول استئناسا بهذه المفاهيم التي نحتها» زيخموت باومان» وهي «الحداثة السائلة» و»الحداثة الصلبة» في قراءته النقدية لموضوعيّة تاريخية او عيانية اجتماعية وتاريخية انّه لم يعد الأمر يتعلق ب»حداثة» و»ما بعد حداثة» بل بمفاهيم «حداثة صلبة» و»حداثة سائلة» مروقا عن منطق الوثوق والتمجيد والتجاوز للحداثة ورسما لمنطق نقدي يبرز الأزمة والتوتر والالتباس والتناقض...والمغايرة.

المصادر والمراجع:

1) بيتر سلوتردايك، نقد العقل الكلبي، الجزء الاول، ترجمة ناجي العونلي، ص19
المصدر نفسه، ص20 2)
3) المصدر نفسه ص7
4) المصدر نفسه ص6
5) رسالة ماجستير في طور الانجاز، للباحثة في الفلسفة بين الحداثة والحداثة المغايرة يسري عثماني
6) رسالة ماجستير للباحث في الفلسفة بين الحداثة والحداثة المغايرة احمد الكافي يوسفي بعنوان، مآزق التحديث في «جدلية الفكر التنويري» لهوركهايمر وادرنو
7) رسالة ماجستير للباحثة في الفلسفة بين الحداثة والحداثة المغايرة سناء عليبات بعنوان في نسخ منظور ما بعد الحداثة في «الحداثة السائلة» لزيجموت باومان
8) زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ترجمة: سعد البازعي وبثينة الإبراهيم (أبو ظبي:هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ط1 2016م)، ص. 197
9) زيجمونت باومان، الحب السائل: عن هشاشة الروابط الإنسانية، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط 01، بيروت، ص. 15
10) الحداثة السائلة، ص. 23
11) آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة عبد السلام الطويل، مراجعة محمد سبيلا، الشرق، المغرب، 2010، ص. 364
12) الحداثة السائلة، ص. 56
13) زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، تقديم هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 01.ص 127
14) آلان تورين، نقد الحداثة، مرجع مذكور، ص. 36
15) زيجمونت باومان، الحب السائل عن هشاشة الروابط الإنسانية، مصدر مذكور،
16) زيجمونتباومان، الأخلاق في زمن الحداثة السائلة، ص. 89

سوداويّة الفكر بين العرض العربي والغرض الغربي

مهدي غلاّب - كاتب

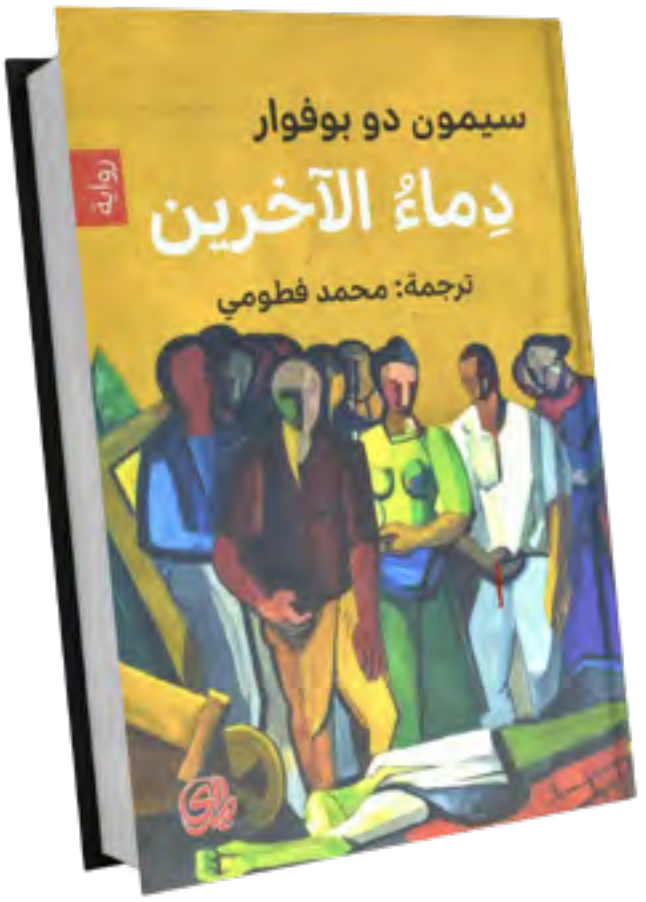

لئن كانت مسارات تحديث أنساق التفكير الفلسفي المواكبة للنهضة الغربيّة بشتى أشكالها قد وقعت في مآزق العبث والضياع ودخلت نظرياتها المعاصرة في متاهات التأويل والفراغ العدمي والقراءة الجوفاء، بعد الخروج من عمق الغياهب القروسطية دون التوصل لنتيجة تذكر سوى نفي وتكذيب المصادر الإيمانية المرجعية وإستبعاد الثقافات الموازية والوافدة وتحقير وتفقير الذات والتلذذ بالفراغ والحزن ومجانبة جواهر الأشياء، ليتم بعد ذلك اِعتبار هذه الإنجازات الصورية أحد أهم مداخل تأسيس المفاهيم الحديثة. تم التوصل لهذا المفهوم طبقا لمعطىً سفسطائي يدور حول نفي الحقيقة في حد ذاتها لمجرد النفي والإقصاء ورفض الواقع المليء بالتناقضات كإستنتاجات غرضية وغايات جوهرية، في حين أن الحقائق قُدّمت كأطراف بلا نخاع ومجرد أوهام باروكية سريالية ظلت محسوبة على مكونات الفكر الحديث. وكما أثّرت هذه النظرة في الأدب فإنها أثّرت الحقل التشكيلي وسنتناول لاحقا مجمل زوايا الكآبة ومدى ارتباط ذلك بالتعبيرات الفنية من جهة وبنفسيّة الفنان من جهة أخرى. وأما ما نشر عن العدم والحزن والكآبة في الأدبيّات الغربية فهو كثير، يتمحور حول الوحدة والجنون القاتل والعبث الذي لا طائل من وراءه والأرق والعرق والغرق في متاهات المس والجن والعفاريت أو اِحتقار العالم وترذيله والموت من أجل النفس دون الوطن أو الإله. ورد ذلك في مؤلفات غربية عديدة، منها «الوجود والعدم» لصاحبه جان بول سارتر الذي نُشر في 1943، و»دماء الآخرين» لسيمون ديبوفوار الذي نشر في 1945، إضافة إلى أفكار نيتشه التي تعرضت لموت الله ومفهوم الزوال الحتمي وفرويد التي تعرضت لموت الإنسان ومعهما مجمل أعمال هيدجير الفنمنولوجية وقبل ذلك ما تناوله هيجل وما صرح به في مؤلفه «فنمنمولوجيا الرّوح» من معطيات تحيل إلى مركزية الفكر، بإستبعاد و»بربرة» وتهجين كل عنصر ثقافي ومعرفي خارج الثقافة الأوروبية.

بالمقابل فإنّ مصادر قراءات الحضارة العربية الإسلامية والفارسية. قد تفطنت مبكرا لتحديد مفاهيم ومسببات مناحي العدم والعبث في سياق الفكر والتعبير، عبر اعتماد دراسات علمية معتبرة منذ القرون الأولى للنهضة وصلت لإستنتاجات صنّفت الكآبة كعلة عرضية لاتمثل غاية مصيريّة في حد ذاتها وتعلق الإهتمام بالمسببات ووضع خصائص البراهين وتبيان الحجج العقلية بإعتماد المنطق والجدل والطب والرياضيات والفيزياء والتشريح والفلسفة لتناول الظواهر السوداوية المرضيّة في الفكر والفلسفة والأدب والفنون بعد الدراسة والبحث وتقصي خبايا حقائق الأشياء والولوج لدقائق الأمور وتحديد المهام الحيوية والوظيفية للجسم والعقل وإستلهام وتطوير المناهج الإغريقية العتيقة التي تعرضت لدراسة مفاهيم رئيسة منها الإيساغوجيا كأداة تحليل ومتابعة جامعة لكليات الحقائق العقلية المجردة الخمسة (النوع، الجنس، الفصل، الخاصة، العامة) وهو تناول قياسي منطقي عقلي يدرس جواهر الحقائق دون الضلوع في مسألة مهام الحواس التي تبدو سطحيّة.

من هذا المنطلق ظهر»كتاب الإستقساط» و»كتاب المزاج» وأربع عشرة مقالة في حيلة البرء أعمال جالينوس تلميذ الأفلاطوني ألبينوس ومُؤلف محفوظ في مكتبة الإسكندريّة بعنوان» عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لإبن أبي أصيْبعة يعود إلى القرن الثاني الميلادي، وكذلك أعمال فرفوريوس الصّوري تلميذ أفلوطين منذ القرن الثالث للميلاد وأعمال «رسائل في علم المنطق والجدل» للفارسي الأبهري وهو مُعلم القزويني. تناولت مجمل الأعمال اِرتباط أعراض العدمية وحالات الكآبة بالحالة الصحيّة للفرد وبمقدار انعدام التوازن بين المرّة السوداء والمرّة الصفراء والدم والبلغم ومراقبة مزاج الإنسان عبر القارورة أو التفسيرة وهي نسبة تحليل أخلاط البول والقدرة على تحديد معيار الرفض والإعراض عن المحاسن والتعلق بالمساوئ والملل والقسر والقهر كمواصفات مرضية فيزيولوجية، فتم بذلك الفصل بين الأصل والفرع والكم والكيف والوضع. حصل كل ذلك في وقت برز فيه جليا تدحرج القراءات الغربية الحداثية للعدمية مستلهمة من ظلمات القرون الغابرة حتى في خضم فترة نهضوية مضيئة ومحتضنة للتنوير والديالتيك والظاهراتية والمادية والتجريب. اِمتد ذلك التيار وتوسع في أرضية ضاعفت فيها الثورات والحروب منسوب الكره والرفض مثلما ضاعف تقلص نفوذ ثم اِنهيار الإمبراطورية الرومانية سابقا أعداد الغزوات والغارات المسلحة ومداهمات البيوت في القرون الأولى لظهور المسيحية وإرسال العديد من رؤوس الشر والعصابات الدموية إلى القدس أو إلى أقصى الشمال الغربي الإيبيري بديكمبوستيل لإبعاد التوترات والتقتيل بعيدا عن مملكة فرنسا، أولا للتخلص من القتلة وقطاع الطرق، ثانيا، للتبشير بالمسيحية والتشهير بالعظمة الأوروبية، وثالثا، للبحث عن رفاة المسيح ومحاولة جلبه بقوة السلاح أو عبر اِستعمال الرشا والحيلة والخديعة والغدر. وهي عمليات مدروسة لمحاولة تهدئة الأوضاع المشتعلة في المنطقة الأوروبية وتحويل مناطق التخريب والمداهمة والقتال الدموي إلى الشرق الأوسط وإفريقيا. في مقابل ذلك ورغم تتالي الحملات لم تتمكن هذه العصابات من تغيير القبلة الصليبية من القدس إلى مملكة فرنسا فلم يتمكنوا إلا من حيازة المذنب الشوكي الذي تم به تعذيب المسيح قبل صلبه.

طيلة هذه الفترات المتباعدة وحتى سنة 1628 تاريخ إكتشاف الدورة الدموية في البلاد الأوروبية، كانت كل الأعراض السوداوية «الميلانكولية» من الكآبة والعدم محسوبة على حالات وإحالات شيطانية اِرتبطت بالسحر والشعوذة وهي مجموعة أعراض مشؤومة تحمل علامات رمزية حيوانية مثل الكلب والخفاش والبوم، يعتبرونها نوع من الإفرازات في شكل أبخرة لكائنات ميتة أوهي مجرد حضور جسدي لشخصيات تتخيل أنها مهددة بالقتل بالسم أو بضربة سيف. هذا المزاج قادر على تقديم أعراض فنطازية لانهائية غريبة ومتنوعة، بعض المرضى يعتقدون أنهم أصبحوا من طين (وهم كذلك !)والبعض الآخر يتصور أنه بمثابة خشبة يحملها الريح ومنهم من يضع نفسه موضع الديك ويقلد صياحه المتكرر وهناك أغلبية تتصور أنها تحمل السماء فوق ظهرها وتخاف أن تسقط عليها وتسحق ليس فقط أجسامها بل العالم والوجود!

يقول بيير إيفلين طبيب الملكة آن ملكة النمسا، منتصف القرن السابع عشر في كتاب « السوداوية وتحولات الكآبة» للفرنسية هيلان بريجنت:

«من المعقول الاعتقاد بأن أولئك الذين ينشرون الملكيات بجرأة لا يعرفون معنى الشهادات والوثائق. يمكن للأجساد مزاج حزن محروق، أو حبس ورم بذرة فاسدة حتى لا يكون لها منفذ. الأطباء في هذه الحالة لديهم صلاحيات أكبر من الكهنة، لأنهم يعلمون أنه إذا تعفن هذا المزاج الكئيب في الغضروف، تتصاعد منه أبخرة وروائح ذات نوعية خبيثة كافية لإحداث كل هذه التأثيرات التي تبدو غريبة جدًا وغير عادية، لأن الحرارة التي تعمل على ترويضها لا تحرك الأخلاط فقط لتظهر الأبخرة، ولكنها تمزج الأبخرة والرياح بمختلف أنواعها. وينتج عن هذا المزيج مرة أخرى تأثيرات مختلفة تمامًا بحسب الجزء الذي تهاجمه».

محمد الفاضل ابن عاشور:
السياسي (ج1)

عبد الرزاق الحمامي

نشأ محمد الفاضل ابن عاشور (1909 - 1970) في بيت علم وتتلمذ لوالده الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (1879 - 1973) فبدأ بحفظ القرآن تحت اشرافه وتعلّم القراءة في بعض كتب المتون كالأجرومية والألفية ووجّه في العاشرة الى تعلّم اللغة الفرنسية على أيدي معلّمين خصوصيين في منزله، فاقتصرت طفولته على بيته وأسرته ولم يدخل المدرسة العمومية، ولم يعرف من الاطفال الا أبناء الاقارب.

وفي الثالثة عشرة من عمره بدأ يدرس القراءات والنحو والفقه والتوحيد وفي العام التالي التحق بجامع الزيتونة وبقي به الى أن تخرّج منه، ومنذ ذلك الوقت لم تنقطع صلته به. تولّى التدريس به في سن مبكّرة وبقي يتدرّج طبقة بعد طبقة الى أن أصبح أستاذا وقد جاوز الاربعين بقليل.

وتفتّحت أمامه آفاق عديدة، واتصل بالحركات الثقافية في العالم الاسلامي عامة، وفي شمال افريقيا خاصّة، ولم يتردد في النهل من حياض الثقافة الغربية، فقد رحل الى فرنسا وهو في سن السابعة عشرة وكان لهذه الرحلة أثر كبير في نفسه، ثم توالت رحلاته الى أوروبا وبعض بلاد الشرق الادنى. واشترك في عدد غير قليل من الندوات والمؤتمرات، ودعي للتدريس في كثير من المعاهد والجامعات وأسهم في عدّة هيئات كالرابطة الاسلامية بمكة، والجامعة الاسلامية بالمدينة، وجمعية بالجامعات الاسلامية بفاس واختير عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1961، وعضوا بمجمع البحوث الاسلامية في العام التالي.

لقد عرف بالارتجال واعتماد الأسلوب التعليمي والخطابي في كثير من محاضراته، وكان له دور في دفع حركة الإصلاح، وتعددت شواغله واهتماماته، وكان له دور في دفع حركة الإصلاح وتعددت شواغله واهتماماته، فهو عالم الدين ورجل السياسة ولقاضي والمفتي الأكبر وعميد الكلّية الزيتونية، ونال شرف أول رئيس للاتحاد العام التونسي للشغل، وأول رئيس للجامعة العامة للنقابات الفلاحية وهو أيضا رئيس جمعية الدفاع عن شباب المغرب العربي ورئيس الجمعية الخلدونية ورئيس النادي الرياضي الإفريقي إلى غير ذلك من المراتب العلمية والشرفيّة.

وعلى العموم ومن خلال اثاره تدور اهتماماته حول تاريخ الفكر الاسلامي من ناحية ومحاولة الإصلاح والتجديد من ناحية اخرى الى جانب مساهماته المعجمية ضمن معجم اللغة العربية وتمثيله لتونس بعد محمد الخضر حسين وحسن حسني عد الوهاب وإذ سلّمنا بموسوعية مدوّنة محمد الفاضل ابن عاشور وتقوم أساسا على المحاضرات والدروس المسامرات وبعض المقالات في الصحف السيّارة أو الاحاديث الاذاعية فإن غزارة المادة تفرض على الدارس اختيار ما يراه جديرا بالكشف عن أفكار الرجل ومواقفه وإضاءة بعض الزوايا التي لم تنل حظّها من الدرس، وقد رأينا معالجة علاقته بالسياسة عموما، ثم علاقته بنشأة الاتحاد العام التونسي للشغل .

موقف الشيخ من الاستعمار الفرنسي بتونس

لا تخلو عناوين محاضراته السياسية ومضامينها من دلالة ونستعرض في هذا السياق أهمّها: أطوار القضيّة الاستعمارية في سلطنة الهند العظمى في حلقتين،

فلسطين الوطن القومي للعرب، القضية الهندية في طور الكفاح القضية الهندية في طور الانتصار، أحداث الهند الصينية، الاسلام والاستعمار بأندونيسيا، ظهور الحركة القومية الاندونيسية، الاستعمار بالفيليبين، السياسة الروسية والتأثير البريطاني في ايران، الامبراطورية الايرانية وقضية اذربيجان، المذهب الصهيوني ومساسه بالسياسة العالمية، الانتداب البريطاني منشأ المشكلة الصهيونية، أوروبا ضد الخلافة العثمانية، الثورة الفلسطينية الكبرى، وجميع هذه المحاضرات والمقالات كتبها بين سنتي 1947 و1948. تواصل اهتمامه بالسياسة في العالم الاسلامي وتناولت محاضراته المواضيع التالية: الخلافة العثمانية في طور الاحتضار، الخلافة العثمانية أمام الضربة القاضية، الاستعمار في الهند، القضية الفلسطينية بعد الكتاب الابيض، لجان البحث الدولية في فلسطين وبرامجها. وفي عام 1949 اهتم بموضوع: «صراع الاسلام والاستعمار» وبآثار الاستعمار في تقهقر المجتمع الاسلامي، دور المجتمعات الاسلامية في الكفاح الاستعماري كيف تركزت قضية الاسلام في مشكلة فلسطين، استقلال طرابلس والحركات القومية.

وبداية من سنة 1950 صرف اهتمامه الى علاقة الاسلام بإقامة الدولة الاسلامية او بعلاقة دولة الاسلام بالوحدة العربية.

من خلال ما سلف نلاحظ انشغال ابن عاشور بأوضاع المسلمين، ومكانة القوميات في المجتمع الاسلامي، مبرزا عوامل التوحّد بين المسلمين، في خطاب يقترن فيه مفهوم العروبة بالاسلام. فكيف كان موقفه من الاستعمار الفرنسي بتونس وهو رمز من رموز النخبة الزيتونية ولمحاضراته بالخلدونية تأثير في الطلبة وفي عموم المثقفين؟

لم يخف موقفه من الاستعمار فهو أشدّ أنواع الظلم والاستبداد، لسعيه الدائم الى افساد النفسيات وتهديد الكيان الاجتماعي، وقلب الوضعية الحضارية للشعوب على النمط الذي يريده بإسم الحرية1 بل يؤكد ان «الاستعمار أشد كفرا بالنواميس الطبيعية والمصلحة الانسانية، وليس ما يقدّمه، حرصا منه على انتعاشهم والترفيه عليهم، ولا حرصا على توحيد وتحسين الادارة والسياسة للشعوب لأنهم في نظره كالحيوان، ولكن الذي أقدمه على ذلك هو حيلة الابتلاع لأجل الربح»2 .

لقد كانت نظرته شمولية حيث رأى أن القوميات في العالم الاسلامي، تتمثّل في أربع وحدات تتشكّل بها الجامعة الإسلامية الكبرى، وهي الوحدة العربية والوحدة الإيرانية والوحدة الطورانية والوحدة الهندية ومن اجتماعها يتكوّن العالم الاسلامي دون النظر الى خصوصية كل قطر ونوعية الاستعمار الذي يخضع له فهذا هو المنهج السليم في نظره لمقاومة

1 – محاضرات معهد البحوث الاسلامية، مملكة سنغافورة 29 /3 /1947

2 – ن م و ص

أعلام في الذاكرة

المستعمر واسترجاع السيادة الوطنية باعتبارها الخطوة الأولى. لكن ذلك لم يمنعه أحيانا من التصدّي مباشرة لظاهرة الاستعمار في محاضرة بالخلدونية سنة 1949 وعنوانها «الدولة الإسلامية المنتظرة»، حين أشار إلى انه من واجب المسلمين أن ينظروا إلى المستعمرين على أنهم أعداء لبعضهم، وان تكتلاتهم مصطنعة تخفي وراءها حقدا مستحكما في الأنفس وما شعارات الحرية والعدالة والمساواة التي ترفع إلا واجهة مزيفة لحقائق الامور مستشهدا بأيات من سورة آل عمران (115 و28) لتأكيد عداوة الغرب المسيحي واليهودي للمسلمين، وأنهم حريصون على التصدي لكل بوادر الوحدة في العالم الاسلامي خاصة بعد تقويض الخلافة العثمانية وفرض دولة لائيكية مكانها، فلا سبيل في نظر الشيخ لتسفيه مشاريع الاستعمار الا بتوحيد جهود الامة والتنسيق بين أنشطتها الثقافية والاقتصادية وخاصة توحيد العمل السياسي من مختلف الحركات التحريرية الاسلامية1.

والى جانب دوره النقابي ونشير اليه في مقال لاحق فإن نشاطه السياسي ضد الاستعمار الفرنسي تكثّف بين سنوات 1946 و 1947، فقد شارك في اعداد اللائحة السياسية والى جانب دوره النقابي ونشير اليه لاحقا فإن نشاطه السياسي ضد الاستعمار الفرنسي تكثّف بين سنوات 1946 و1947، فقد شارك في اعداد اللائحة السياسية التي رفعت الى الحكومة الفرنسية عن طريق الاقامة العامة وتتضمن المطالبة باستقلال البلاد ولهذه اللائحة أهمية خاصة نظرا الى مشاركة عدة اطراف سياسية في اعدادها وهي الحزب الدستوري الجديد والقديم والحركة الزيتونية والاحرار السياسيون والمجلس الكبير.

وقدّمت هذه الهيئة لائحتها الى المقيم العام، فاعتبر الاجتماع سياسيا غير مرخّص فيه ورفضت اللائحة، فقرر القادة السياسيون عقد مؤتمر عام تعرض فيه اللائحة للمطالبة بالاستقلال.

وفي ليلة السابع والعشرين سنة 1946، كان الشيخ الفاضل أحد المشاركين البارزين في هذا المؤتمر صحبة عدد من المناضلين مثل الشيخ الشاذلي النيفر والعروسي الحداد وصالح فرحات وصالح بن يوسف. واتفق المؤتمرون على توحيد شقّي الحزب القديم والجديد والحركة الزيتونية السياسية في منظمة واحدة. وتولّى الشيخ تحرير عريضة تطالب باستقلال البلاد وانضمامها الى جامعة الدول العربية ومنظمة الامم المتحدة2.

لكن قوة من الشرطة داهمت مقر الاجتماع بجهة ترنجة وألقت القبض على نحو 50 مؤتمرا، قادتهم الى مقر وزارة الدفاع ثم زجّ بهم في السجن بتهمة التآمر على أمن الدولة، وأقام الشيخ بالسجن 10 أيام كان فيها مرشد القوم وامامهم يوم عيد الفطر وصلى بالمسجونين صلاة العيد وألقى فيهم خطبة تعرّض فيها لنضال الامة الاسلامية عبر التاريخ للدفاع عن الاسلام والوطن، ودعاهم الى مواصلة الكفاح بأن نصر الله قريب3. ونظرا الى ما عرفته البلاد من احتجاجات واضرابات تم الافراج عن المعتقلين ولكن هذه الاحداث لم تؤثر في الشيخ ولم تثنه عن مواصلة النضال ضد المستعمر وقد وظّف لذلك طاقته الخطابية، في اجتماعات عامة، رصدتها المخابرات الفرنسية، مثل محاضرته بمناسبة يوم العلم، غرة مارس بقاعة الفتح بباب سويقة، وكان الحضور كثيفا وانتهت برفع شعارات قومية وترديد النشيد الوطني «حماة الحمى». ومن الغد وفي نفس المكان اعيدت المظاهرة وخرجت مسيرة وطنية، نودي فيها باستقلال البلاد. وفي ماي 1946 وبمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، قاد الشيخ محمد الفاضل بن عاشور وفدا للباي احتجاجا على مشاركة الفرنسيين بتونس في الانتخابات التشريعية.

وكان في كل اجتماعاته مع الشبان يؤكد عروبة البلاد واسلامها وفي 7جويلية عقد اجتماعا مع صالح فرحات وأحمد بن ميلاد والمنجي سليم وصالح بن يوسف انتهى الى الدعوة الى ضرورة التمسك بالسيادة والاستقلال والسعي الى تحقيقهما خلال اسابيع لا خلال اشهر. وتواترت اجتماعاته بالجمهور ما بين المرسى وقرمبالية والكاف وسوسة والمنستير لالقاء محاضرات سياسية ودينية في ان واحد.ولم يفته دور المرأة في النضال من اجل الاستقلال، فقد أشرف في 9 أوت 1946 على اجتماع نسائي بالمرسى حضرته حوالي 250 امرأة وأجرى معهن حوارا من وراء حجاب، تولت توجيهه ضمن النسوة أخته. وحضر مرة اخرى في شهر سبتمبر اجتماعا نسائيا بجامع الصفصاف بالمرسى، ألقت فيه عائشة بن عمار، احدى خرّيجات جامعة باريس محاضرة حول نشاط الطلبة في فرنسا، ثم خطب الشيخ مبرزا دور التربية الجهادية في الاسلام. ولم يتردد في اجتماع لجمعية قدماء الصادقية من الاعلان سنة 1947 ان الاستقلال صار واقع محتوما، ان تونس دخلت في مناخ سياسي جديد وان الشبان المثقفين هم رهان المستقبل بالنسبة الى هذا الاستقلال. وكرّر الحاحه على ضرورة الاستقلال في محاضراته بالقلعة الكبرى وبقاعة حديقة البلفيدير وفي بنزرت، مركزا على قيمة الجهاد في الاسلام ودوره في تحرير الشعوب.

ان مواقف الشيخ السياسية وتوظيف ملكة الخطابة والمحاضرة لم تقتصر على الدعوة الى الجهاد ضدّ الاستعمار سبيلا الى تحقيق الاستقلال وانما تجاوزت ذلك الى القضية الفلسطينية وقد اخذت حيّزا هاما من تفكيره ونشاطه ونتج عنها معاداته ومحاصرة انتشار دعوته.

فمنذ سنة 1946 سعى الشيخ الى احياء عيد العروبة مرة كل سنة وتواصل الى سنة 1948 وساهمت الاتحادات العمالية والمنظمات الرياضية والكشفية والادبية والجمعيات الخيرية بصورة فعالة في تنشيط الاحتفالات بهذا العيد، وازداد الحماس لهذا النشاط مع محنة استيلاء اليهود على أرض فلسطين واندلاع الحرب فيها.

في هذه الظروف بادر الشيخ بتقديم سلسلة من المحاضرات للتعريف بالقضية الفلسطينية على منبر معهد البحوث الاسلامية، طبعت منها ست حلقات4 وهي:

تحقيق في نسب اليهود (19/11/1947) – المذهب الصهيوني ومساسه بالسياسة (3/12/1947) – الانتداب البريطاني منشأ المشكلة الصهيونية (17/12/1947) – الثورة الفلسطينية الكبرى (29/12/1947) – القضية الفلسطينية بعد الكتاب الابيض (18/2/1948).

كان هدف الشيخ الفاضل من هذه المحاضرات، التعريف بحقيقة الصراع العربي الصهيوني وأن الاراضي الفلسطينية لم تكن يوما ما لليهود وانما هي اراض عربية منذ عرفها التاريخ بلا انقطاع. ويعلّق على اختياره عنوانا عاما لمحاضراته بالقول: «فلسطين الوطن القومي للعرب»، انه لعنوان غريب جريء، هذا الذي اتخذناه عنوانا لسلسلة المحاضرات الجديدة والتي ستلقى حول قضية فلسطين التي لا تزيد على ممر الأيام الا تعقيدا والتواء وانه لعنوان حقيقة، ينزل منزلة الجواب عن مقال هو قول اليهود: «فلسطين الوطن القومي لليهود»، فنحن الان امام نازلة قضائية، اذ اصبحت فلسطين في نزاع بين العرب واليهود»5. وبعد سرد مفصّل لتاريخ اليهود وباعتماد ما ورد في كتابهم المقدّس التوراة، يؤكد ان اليهود يعرفون أن اوروبا هي عدوّهم الحقيقي، رغم ما يظهره الاوروبيون من عطف مزيف عليهم، وأنهم يريدون التخلّص منهم بأي ثمن، وانتهز اليهود ظلم النازية لهم، لينقلوا المظلمة الى شعب فلسطين، في سياق ما دأب عليه منطق الاستعمار الاوروبي وظلمه للشعوب المستضعفة.

فالواضح عند الشيخ أن الدول الغربية هي المسؤولة عن هذه المظلمة وقد تولدت عنها المشاكل التي أصبح حلها سلميا وإنسانيا معقّدا.

وقد قام الشيخ إلى جانب هذه المحاضرات بمبادرات عملية، لمساعدة فلسطين شاركه فيها العديد من المناضلين، مثل المنجي سليم وصالح بن يوسف والشاذلي بلقاضي ومحمد صالح النيفر والطيب التليلي، إذ قاموا بدعاية للتعبئة العامة شملت كامل البلاد قصد التطوع للمشاركة في حرب تحرير فلسطين. فأسسوا لجنة الدفاع عن فلسطين العربية، وفرع المؤتمر الاسلامي بتونس لحماية القدس الشريف، وشرع الشيخ يخطب في المساجد والأوساط الشعبية والطلابية في العاصمة وداخل البلاد داعيا للجهاد ومعرّفا بالخطر اليهودي على الأمة الإسلامية ومدى تحالف اليهود مع القوى الاستعمارية العالمية للكيد للإسلام وللمسلمين.

واندفع الناس لقبول التطوع للجهاد، وفتحت لذلك عدة مكاتب للتسجيل وقبول التبرعات كان أهمها مكتب الجهاد بنهج القشاشين بتونس وقد بلغ عدد المسجلين فيه أربعين ألف متطوع، من بينهم الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور بمعية الشيخ الشاذلي بلقاضي. ولم يخل هذا النشاط من معارضة، وكان بعض أتباع الدستور الجديد على رأس المعارضين، فأحمد بن سلامة، كان ينتقل في المحافل الوطنية ويقول: «ان الفقراء التونسيين أولى بالإعانات التي يجمعها هذان الاستاذان اللذان يحرّضان على أبناء البلاد من اليهود التونسيين»6 كما كان بعض الدستوريين يدعون الى ايقاف هذه الحملة بدعوى أن نتائجها سوف تكون وبالا على الشعب التونسي، إذ أنها سوف تدفع باليهود التونسيين الى التجنّس أو الى الهجرة الى فلسطين.

وقد شهدت هذه المرحلة تطوّرات عديدة، منها منع السلطة الفرنسية المتطوعين من مغادرة تونس، وإن أمكن للبعض منهم التسلل عبر الحدود الليبية، كما أن الحب الشيوعي انحاز لموقف الاتحاد السوفيتي الداعم لتقسيم فلسطين، أما يهود تونس فانبرى بعضهم بالتعبير في الصحافة على كونهم ابناء البلاد ولهم حقوق يجب ان تراعى، في حين اشتغل قسم آخر في السر للجمع التبرعات وإرسالها لاسرائيل مع تخصيص مدرسة «خصّة» الفلاحية بجربة لتجميع اليهود الراغبين في الهجرة الى فلسطين مقابل مبلغ مالي قدره 5000 فرنك7.

وفي ظل هذه الأوضاع حتمت الظروف تراجع شعبية الشيخ بعد بروزه وطنيا، على خلفية الخوف من تطور التوجه الديني داخل الحزب الدستوري، وتعدّى الامر الى هجائه في عدد 9/9/1948 من جريدة الوطن. وجوهر الخلاف ايديولوجي، يتقابل فيه تياران فكريان: تحقيق الجامعة الاسلامية الكبرى من جهة، والاقتباس من الانظمة الغربية والنسيج على منوال نهضتها من جهة اخرى الى جانب انحيازه للمنصف باي وعدم اعترافه بالامين باي.

وقد اقترن إقصاء الشيخ الفاضل من النشاط السياسي بتهميشه وإقصائه عن دوره النقابي، رغم كونه من مؤسسي الاتحاد العام التونسي للشغل سنة 1946 بمعية فرحات حشاد.

---

1 – نفس المصدر والصفحة
2 – الحركة الادبية والفكرية ص221
3 – جوهر الاسلام، السنة 3، العددان 7 و8 مارس، أفريل 1971 ص 96
4 – فلسطين الوطن القومي للعرب، نشر علي الجندوبي، د.ت
5 – ن.م
6 – التيمومي، الهادي، النشاط الصهيوني بتونس بين 1897 و1948، دار محمد علي للنشر، تونس 1982، ص192
7 – وثائق خزينة الدولة، مضبرة: 46، رقم الوثيقة 105 بتاريخ 19/12/1947

حوار مفتوح بين الروائيين جلال برجس ولطفي الشابي

فنون الكتابة والشعر والرواية وفلسفتها

نعيمة الحمامي التوايتي

«الفعل الثقافي ليس فقط في المركز... بل في الجهات يكاد يكون أهم... لا بدّ من تجسير المسافة وعقد حوارات مباشرة مع القرّاء. لأنّ القارئ أصبح شريكا في عملية الكتابة.»

قناعة حملت الأديب الأردني الكبير جلال برجس الفائز بالجائزة العالمية للرواية العربية «البوكر» سنة 2021، إلى برمجة جولة أدبية عربية اختار أن يبدأها بتونس التي حلّ بها من 30 ماي إلى 7 جوان 2024، التقى فيها بقرائه في عدد من اللقاءات الأدبية والندوات...

كانت العاصمة هي أولى محطاته الثقافية وبعدها كان لقاء الجهات. مدينة زغوان أوّلا ثم كان الموعد مع مدينة منزل تميم التي احتضنته في لقاء مفتوح مع الروائي والشاعر التونسي لطفي الشابي بفضاء الثقافي» ريدار» يوم 2 جوان بحضور جمع هام من مثقفي ولاية نابل وخارجها قدموا من مختلف ربوع الوطن القبلي ومن تونس وصفاقس، أكاديميون وباحثون، أدباء ونقاد، طلبة ومهتمون بالشأن الثقافي من رواد «ريدآر» وأصدقائه: منهم د. أماني الزعيبي، د. شفيع بالزين، د.فصل الشطّي الباحثة اسمهان الماجري والأساتذة بية الأنقليز وسلوى القلعي... تحلقوا حول روايتي» مقصلة الحالم» لجلال برجس و»المائت، رجل الغمام البعيد» للطفي الشابي. وكان لي شرف إدارة الحوار.

فهل هو حوار حول مقصلة المائت؟ أم الحالم رجل الغمام البعيد؟ هل هو حوار حول رمزية العتبات الرئيسية والحقلول الدّلالية للمفردات اللغوية التي تجمع بينها في عمقها النفسي والفلسفي؟ أم هو حوار حول خصوصية كل تجربة روائية في مجال كتابة متشابهة متقاربة في تيماتها وفي شخصياتها وفي فضاء معين جمع بينهما؟:

كيف يمكن ان تلتقي الفلسفة بالشعر؟ ما هي علاقة السرد بالفلسفة؟

بعد كلمة الترحيب، تحدّث الضيفان أولا:

عن الظروف التي جمعت الرجلين ذات مهرجان أدبي عربي بمدينة سوسة سنة 2014 كان مناسبة أهدى كل منهما للآخر روايته. (مقصلة الحالم لبرجس والمائت... للطفي الشابي). وكانت مناسبة لتأسيس مشترك بينهما قام على المعنى، معنى الصداقة الحقيقية

فـ»خليلُكَ أنتَ لا من قلتَ خِلّي
وإن كثُر التّجمُلُ والكلام

بمعنى أن العلاقات والصداقات التي تبنى على أساس المعنى تكبر ولا تخبو

شكر جلال برجس وكذلك فعل لطفي الشابي مهندس هذا اللقاء، فضاء «ريدار» والحضور الذي جاء من بعيد ومن قريب لتأثيث هذه الأصبوحة

ثمّ تحدّث كلاهما كقارئ وككاتب، بعيدا عن النقد، عن التقاطعات العديدة الموجودة بين الروايتين في مستوى: العتبات، اللغة، الشخصية...

* يقول جلال برجس :

حين قرأت رواية « المائت «، قلت و كيف أفهم هذه التقاطعات العجيبة بيني وبين لطفي الشّابي. في هذه الرواية خاصة أنّ الرجل لم يكن يعرفني ولا حتى يسمع باسمي وأنا كذلك. وحين تواصل معي لطفي الشّابي أيقنت أنّ الأمر ليس تقاطعات أدبية فقط. هنالك تقاطعات في المصائر أيضا. وهذا أسعدني.

على مستوى العتبات

تساءلت عن الوعي النفسي الذي كان يعيشه لطفي الشّابي في تلك اللحظات وهو يفتش عن ذلك العنوان» المائت...» وعلاقة تلك المفردة بالحياة. وفي» مقصلة الحالم « أجد حالما يتعرض إلي مقصلة فنحن نتحدث عن منطقتين نفسيتين في غاية الخطورة.

في مسالة اللغة

يقول جلال برجس: «اللغة عند لطفي الشابي تكاد تكون لغتي والعكس صحيح. واللغة أخذت دور البطولة في الرّواية»

كلانا أتى من الشعر وهذا التحول من الشعر نحو الرواية فرضته المرحلة التي نعشها. فالقصيدة ما عادت كافية لتعبّر عمّا في دواخلنا تجاه ما يحدث في هذا العالم من إرباكات انعكست على كلينا.

في المائت»، لطفي الشابي يقول أنا لست معنيا بان أقدم لك حكاية، فالحكاية يمكن أن تسمعها في أي مكان... فأنا لست حكّاء. أنا روائي. انأ أريد أن اقتادك في رحلة إلي دواخل الشخصيات التي يمكن أن تجد نفسك في إحداها. ووسيلتي هي اللغة. فهي ليست ترفا آو فائضا عن الحاجة فانا حين أتأمل هذا الطرح اللغوي الذي أخذه البعض علينا في العالم العربي رغم انه من يأخذ هذا الأمر لم يقرؤوا «ميشال بوتور «أحدد مؤسسي الرواية الجديدة وروايته «التحول» مثلا. لم يقروا هذا الاهتمام اللغوي ولم يقرؤوا عن أدب ما بعد الحداثة وما بعد بعد الحداثة، وأن اللغة هي التي أخذت الآن دور البطولة في الرواية. فأين نحن وأين سنصل؟ في الحقيقة هي مسألة مربكة ولا أبررها شخصيا من الطرح السياسي غير النقي في مسالة علاقتها بالأدب والكون. اللغة عند لطفي الشابي لغة سيّالة قادرة على أن تأخذ القارئ إلى دواخل العمل. لا أقبل أن تكون اللغة أداة لان الأدوات متغيرة وعمرها قصير واللغة هي الهوية هي المكون الأكثر أهمية للهوية. لا يمكن لشاعر أن يخلع عباءة الشاعر. ربّما الروائي يستطيع ذلك. الشعر هو النّظر من خلال الذّات إلى العالم. والقصيدة ذاتية، فعندما تكتبها فأنت تنظر إلى العالم. أما الرواية فهي النظرة إلى الذات من خلال العالم فهنا نتحدّث عن حضور الذات في العمل سوى كان قصصيا أو شعريا.

في مسألة الشخصية

الشخصية عند لطفي الشابي هي نفسها الشخصية في مقصلة الحالم» رجل يذهب إلى الجبل هروبا من الواقع الذي نعيشه في الأردن والعالم العربي: سقوط فترة الأحلام تزامنت مع ثورة الاتصالات في العالم، ثورة همشت بنية العائلة وألغت روح الجماعة لصالح الفرد... فنحن منعزلون مع هواتفنا النقالة في حالة من الفوضى... وبطل يصعد إلى الجبل. ويقال أن الأماكن العالية هي الأكثر قربا من الله هل هي محاولة للصعود نحو جهة الله؟ أم لإحداث الصراع بين المخلوقات والاه؟ تبقى مسألة جدلية. كذلك رجل الغمام البعيد يذهب إلى الجبل و يصعد إليه فيتعرّض إلى عملية عصف ذهني ما بين الذات والمكان والزمان نفس الشيء يحدث مع بطل رواية «مقصلة الحالم» هذه الشخصية، ونحن نتحدّث عن الذّات وإعادة الرؤية للكون،نجدها تتكرّر.

تقاطعات بين الروايتين أيضا نجدها على صعيد الحكاية أيضا. الآمر جعلني أتأمل كيف حدثت لحظة الكتابة. نحن كتبنا تقريبا في نفس المرحلة الزمنية ولا يعرف أحدنا الآخر أبدا:»مقصلة الحالم» صدرت سنة 2012 و»المائت» سنة 2013 والتقيا في سوسة سنة 2014 لأوّل مرة. فماهو سبب هذا التقاطع؟

يقول نحن أبناء جيل واحد نمى وترعرع وتشكل في فترة سقوط الاتحاد السوفياتي وكل هذا انعكس على الفرد العربي، فبطبيعة الحال أنا ولطفي نعيش في نفس البيئة السياسية والفكرية والثقافية. نحن فكرنا باللحظة ذاتها بنفس الفكرة والأدوات وحتى التقنية السردية. كانت متقاربة تحدّث كلينا بضمير الأنا

* في رواية «المائت» نقد سياسي لاذع بثوب سردي أدبي بعيدا عن رواية الايدولوجيا.

لطفي الشابي يرى أنه على المتلقي أن يرتقى إلى سوِيَة منتج النص. ففي لحظة الاشتغال على بنية الرواية ولغتها كان لطفي الشّابي يكترث فقط باللحظة التي قدحت في دواخله فأنجز هذه الرواية وبالتالي القارئ الذي يريد الحكاية بكل تشويقاتها لن يجد ضالته. إنّما القارئ المتأني والذي يبحث عن ذاته فيها وهل أنّ لطفي الشابي أوجد مساحة له ليبني روايته فيها، أعتقد أنها ستعجبه. هذه الرواية هي من الروايات التي رويدا رويدا ستجد مكانا لها في المكتبة العربية.

أما الرّوائي لطفي الشّابي:

فقد استهل حديثه عن المشترك بين الروايتين أيضا وأكدّ على جوانب هامة في التقاطعات منها: * أهمية الاستعارة، اللغة، الحقول الدلالية والمفردات يتمظهر من خلالها التقاطع بين الروايتين: أخذ استعارة الذئب.

يقول: «الذئب هي الشخصية الحقيقية التي تحمل معنى الإحباط والألم المقترن بالأمل المجهض دائما نجدها في هذا العواء الذي يتردّد في فصول الرواية الإحدى عشر. هذا الذئب الذي بدأ يستمع إليه «خالد» بطل الرواية أيام المعتقل، ولم يكن يسمعه أحد غيره. ومن هنا يأتي الوعي بالاستعارة.

حقل دلالي يدور في فلك مفردة الذئب ويقترن بها يتكوّن من مفردات أخرى أهمها الجوع، النواح، الوجع والتفجع، الوحشة والتوحش وتجعل الذئب فاعل من أهم الفواعل وأبرزها التي يجب أن يهتم بها النّقاد. أنا يشدّني هذا التركيز على الفاعل بالمفهوم القريماسي.

يقول الشّابي: «الذي شدّني في «مقصلة الحالم» هي اللغة، الحقول الدلالية والمفردات التي يستعملها جلال برجس هي نفس المفردات التي استعملها أنا:

نجد الحديث الغيمات والمرأة الغيمة هذه الصورة نجدها في «مقصلة الحالم».

كذلك كلمة المدى دائما تتكرّر في هذه الرواية. كذلك كلمة الحُبُ الذي يغري ثمّ ينقطع فجأة ويتحوّل إلى كراهية لأنه لا يصدر عن شوق طبيعي كما يقول التوحيدي « متى كانت الحركة بشوق طبيعي فلن تسكن البتة

التقاطع من خلال حضور الجبل في الرواية

في المائت، البطل أدهم الصافي يذهب إلى زغوان لينتحر في المدينة التي ولد فيها ويقول عليَّ أن انتحر في الجبل. خالد بطل « مقصلة الحالم»يلوذ بالجبل بعدما خرج من المعتل وانعزل في بيته بعد أن رفضه الواقع الجديد وهو يرفض الواقع الجديد ويعيش بالذكرى وبالماضي: من الذي دبّر له هذه المكيدة وبالتالي سرق منه 20سنة من حياته في معتقل بتهمة كدية. ولذلك ملاذه دائما كان: إما الجبل/ الكهف أو الانترنت أي الواقع الافتراضي أي سجن آخر. هذا ما نجده أيضا في رواية المائت أن «أدهم الصافي الصحفي الذي يبدو أنه معارض ويكتب في جريدة اليكترونية بدون اسمه. تشي به سهى الحكيم ويقع القبض عليه وهو الصحفي المشهور الذي ذاع صوته إبان حرب الخليج للتقارير التي كان كتبها في جريدة كبيرة هي جريدة الوطن فيقع إيقافه ويعذّب ولكن يمضي على وثيقة انه سيصبح مخبرا عندما يخرج من وزارة الدّاخلية. يقول: ‹أنا الآن مائت. أنا فقدت شرف مهنتي. لا بد أن أموت... لذلك قضّى ثلاث أيام هابط /نازل من الجبل...كأنه يبعث برسائل عبر الانترنت بحثا عن مُنقذ ثم يختار طريقة موته عندما أكل نبتة ياسمين كارولينا التي أهداها له حرس غابي. سيطلق بعد ذلك

على ثورة تونس « ثورة الياسمين» ولكنه ياسمين اصفر مسموم. الشابي كتب في 2013 نموذجا للبطل الباطل والخائن.

الأفق الذي يفتح لخالد في «مقصلة الحالم» من مواقع التواصل الافتراضي، من حبيبة تعود إليه من 20 سنة وتعطيه أملا في الحياة يشدّه، ثمّ نكتشف تدريجيا أن هذه المرأة هي قاتلته، حين وشت به ووضعت له مستندات في غرفته حتى يلقى عليه القبض، ويأخذ 20 سنة سجن وهو لا يعلم شيئا عن هذه التهمة.

كادت له، لأنّه صدّها عن الحبّ. فكيف يمكن أن تتحوّل الكراهية إلى فعل شنيع؟

وختم بقوله:

ما معنى أن تكون كاتبا مثلا؟ هو أن تكتب نصّا دون أن تبالي بمداه الزمني القصير. فكافكا عندما كتب أعماله وهدده الموت، طلب من صديقه ماكس حرقها، ولم يفعل. فنحن مدينون لماكس. بمعنى كافكا بالقدر الذي هو عليه الآن، لم يكن مؤمنا بأنه كتب نصا يمكن أن يخرجه للناس. هذا مثال حقيقي للكتابة. صرتُ على يقين بأني أكتب لنفسي أكثر. وجلال برجس يقول ذلك أيضا في بعض حواراته وفي سيرته «نشيج الديدوك». أنا مستمتع جدا بالكتابة واعتقد أنها ملاذ حقيقي وأنها تداوي ذاتي. وفي الختام زفّ للحضور خبر عمل مشترك مع جلال برجس في أدب الترسّل.

غدا تنطلق دورة «نصرة فلسطين» للمهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون ببرنامج ثري وهادف

محمد رضا البقلوطي

ساعات قلائل تفصلنا عن انطلاق فعاليات الدورة 24 للمهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون، وللتعريف بخصائص وتفاصيل الدورة الجديدة عقد اتحاد إذاعات الدول العربية ندوة صحفية لتسليط الضوء على خصوصيات المهرجان الذي ينظمه الاتحاد من 26 الى 29 من الشهر الحالي بالشراكة مع وزارة الشؤون الثقافية والتلفزة التونسية والإذاعة التونسية وعربسات. وتسجل هذه الدورة لأول مرة مشاركة 20 دولة عربية في مسابقات المهرجان التلفزيونية والإذاعية،

حيث تقام سهرة افتتاح الدورة يوم الاربعاء 26 جوان الجاري بمسرح قرطاج الأثري ابتداء من الثامنة والنصف ليلا إذ تنطلق بتكريم ضيوف الشرف ونخبة من الفنانين والإعلاميين العرب ثم حفل الفنان السوبر ستار راغب علامة وستخصص مداخيل الحفل كتبرعات لأبناء الشعب الفلسطيني الصامد باعتبار أن "نصرة فلسطين " هو شعار الدورة 24 للمهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون تأكيدا لعمق التزام اتحاد إذاعات الدول العربية برسالته القومية في نصرة القضية الأم، القضية الفلسطينية .إذ تحمل هذه الدورة في طياتها رسالة قوية : فلسطين قضية قومية انسانية ونبراسًا للكرامة والعدالة، و رمز للصمود والإيمان بقيم الحرية والحق.يسعى المهرجان لدعم الإعلام الفلسطيني وتعزيز صوت فلسطين في الساحة الإعلامية الدولية، كما يعزز روح التعاون بين الإذاعات والتلفزيونات العربية لنشر الوعي الدولي بالقضية.وبذلك فإن المهرجان هو فرصة لتجديد العهد مع فلسطين ودعمها في المحافل الاقليمية والدولية

لذلك يجسد البوستر وشعار الدورة الرسالة القومية النبيلة التي يضطلع بها الاتحاد منذ نشأته في تضامنه مع القضية الفلسطينية حيث تم إدماج ألوان العلم الفلسطيني والكوفية الفلسطينية في شعار المهرجان الذي تبقى رسالته التي بعث من أجلها هي لم شمل المبدعين العرب وتكريمهم ودعم الإنتاج العربي في المجال السمعي البصري وتبادل الخبرات والتجارب إقليميا ودوليا بما يرسخ مكانة الدول العربية ويدعم قضاياها المشتركة ويبرز هويتها وثقافتها..

تكريم نخبة من المبدعين العرب من نجوم الشاشة والإعلاميين:

فبالإضافة إلى حفلي الافتتاح والاختتام باعتبارهما علامتين بارزتين في تاريخ المهرجان حيث يتم سنويا تكريم نخبة من المبدعين العرب من نجوم الشاشة والإعلاميين وفيهما يتم تتويج المتألقين من المشاركين في المسابقات الإذاعية والتلفزيونية .كما أنهما موعد التمتع

بعروض فنية ابداعية عربية حيث مرّ على المهرجان منذ انطلاقه عشرات الفنانين العرب الذين أثّثوا سهرات الافتتاح والاختتام بعروض فنية وموسيقية بمواصفات فنية وتنظيمية عالية مما جذب المزيد من الجماهير وزاد من إشعاع المهرجان، ليصبح ملتقى للإعلاميين وحدثًا ثقافيًا ينتظره المهنيون والجمهور بشغف كل عام. ومثلت الدورة السابقة للمهرجان العام الماضي نقلة نوعية بالنسبة الى حفلي الافتتاح والاختتام حيث انتظم الحفل في مسرح قرطاج الأثري ليأخذ المهرجان بذلك طابعًا جماهيريًا مميزًا وبعدًا جديدًا.

يتميز المهرجان كذلك بأنشطة وفعاليات منها المسابقات حيث يتنافس المشاركون في مختلف الفئات مثل الدراما، البرامج الوثائقية، البرامج الحوارية، والبرامج الترفيهية، مع منح جوائز للأعمال المتميزة. وتحظى جوائز المهرجان بمصداقية واسعة نظراً للمنافسة الشديدة والمستوى العالي للأعمال المقدمة واعتماد نظام شفّاف للتحكيم عن بعد بواسطة منصة رقمية أحدثت خصيصا للغرض

كما تُعقد ندوات ومحاضرات حول موضوعات حديثة في الإعلام وتقنياته، تجمع خبراء ومختصين عرب وأجانب .

معرض لأحدث التقنيات والأدوات في مجال الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني:

خلال هذه الدورة تُعقد ندوات ومحاضرات حول موضوعات حديثة في الإعلام وتقنياته، تجمع خبراء ومختصين عرب وأجانب. وتمثل الندوات فرصة لأهل المهنة وللجمهور كذلك لمناقشة قضايا الساعة والتفاعل بشأنها ومن المواضيع المدرجة ندوة إعلام الحرب على الإعلام، فلسطين مثالا ؛ ندوة هندسية، إشراك الجمهور باستخدام الذكاء الإصطناعي، استغلال التقنيات المتقدمة لاكتشاف المحتوى وتخصيصه ؛ كذلك ندوة حول النجومية في الفضاء الرقمي والتأثير في الرأي العام ...كما

تحتضن فضاءات مدينة الثقافة بتونس إلى جانب مختلف فعاليات المهرجان وحفل الاختتام ،معرض الأسبوللتكنولوجيا لعرض أحدث التقنيات والأدوات في مجال الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني. منذ عام 2005، أصبح المعرض جزءًا أساسيًا من المهرجان، ويرافقه سوق للبرامج تعرض فيه شركات الإنتاج أحدث إنتاجاتها وتعقد لقاءات مع ممثلي الهيئات الإذاعية والتلفزيونية لتسويق انتاجاتها ويضم المعرض 98 جناحاً بمشاركة 90 عارضاً يقدمون أحدث الابتكارات التكنولوجية في المجال السمعي والبصري ويبلغ عدد الأعمال المشاركة في المسابقات الإذاعية 142 عملا وهي أكبر مشاركة في هذه المسابقات منذ انطلاق المهرجان، 125 منها في المسابقة الرئيسية و17 في المسابقة الموازية

في حين يبلغ عدد الأعمال المشاركة في المسابقات التلفزيونية 147 عملا، 108 منها في المسابقة الرئيسية و39 في المسابقة الموازية .وتشارك بهذه الأعمال 20 هيئة تلفزيونية أعضاء في الاتحاد ضمن المسابقة الرئيسية و6 قنوات فضائية خاصة و18 شركة إنتاج ضمن المسابقة الموازية

المهرجان منارة إعلامية وفنية وتكنولوجية الأعرق والأبرز في الوطن العربي:

ويبقى المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون منارة إعلامية وفنية وتكنولوجية الأعرق والأبرز في الوطن العربي إذ بلغ بحلول عام 2024 سنتهُ الثالثة والأربعين. وهو يشكّل إحدى أهمّ الفعاليات التي دأب اتحاد إذاعات الدول العربية على تنظيمها منذ تأسيسه عام 1981 إلى اليوم. ولا ينفك بحرص على إيلائه اهتمامًا متزايدًا من دورة إلى أخرى بما يجعله علامة مضيئة تميّز أنشطته السنوية المتعدّدة والمتنوّعة، وحدثًا ذا شأن كبير، يجلب إليه الأنظار وأذكر أن في انطلاقة المهرجان تم التركيز على مسابقة تم التركيز على مسابقة البرامج التلفزيونية، ثم شملت مسابقات البرامج الإذاعية منذ بداية التسعينات، حيث تحصلت الإذاعة التونسية على أول جائزة في البرامج الإذاعية في المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون سنة 1993 من خلال الجائزة الأولى التي تحصل عليها برنامج منتدى الشباب بالإذاعة التونسية.

وبهذه الاستمرارية يواصل المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون الإسهام في تطوير الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني العربي والنهوض به، على نحوٍ يساير التحوّلات التي يمرّ بها المشهد الإعلاميّ السمعي والبصري عموما، ويتلائم مع المبادئ التي يعمل اتحاد إذاعات الدول العربية على تنفيذها و فتح قنوات التواصل وتيسير سبلها، وتوطيد أواصر التعاون وتبادل الخبرات والتجارب بين المشاركين في مختلف فعاليات المهرجان كذلك إذكاء روح التنافس النزيه بين أصحاب البرامج التلفزيونية والإذاعية، وتكريس النقد البنّاء والموضوعي، بما يساعد على الوصول إلى إنتاج عربيّ تتوفّر فيه مواصفات الجودة والابتكار والإضافة مع حثّ المنتجين في المجالين المرئي والمسموع على الاستجابة أكثر فأكثر للمتطلبات الحقيقية لجمهور المتقبّلين العرب ومزيد التناغم مع آمالهم و انتظار اتهم والتأكيد على ضرورة تنمية الوعي الثقافي والعلمي، والسموّ بالذائقة الجمالية والفنّية في الأعمال التي ينجزونها. كذلك تحفيز المبدعين على الإنتاج التلفزيوني والإذاعي الجيّد، الذي يسعى إلى التعريف بالحضارة العربية، ويترجم الواقع العربي المعاصر في شتّى مظاهره.

ومن بين ضيوف شرف الدورة الممثل المصري فتحي عبد الوهاب والممثلة المصرية داليا البحيري والممثل والمخرج السوري سيف سبيعي والممثلة السورية نادين تحسين بيك والممثلة اللبنانية ندى أبو فرحات والممثلة الأردنية ريم سعادة والمطربة والممثلة السودانية إيمان يوسف.

في حين من المكرمين في المهرجان وزير الإعلام اللبناني زياد المكاري والإعلامية الفلسطينية هديل حسين عليان والمستشار الإعلامي لرئيس هيئة الإذاعة والتلفزيون والنائب الأول لرئيس اتحاد إذاعات الدول العربية سابقا سعد بن محمد ابراهيم الجريس والمهندس حسن بن محمد الماس من قطر والإعلامية ميسون عبد الله أحمد من جيبوتي والممثلة والمنتجة التونسية سنية بنع بلقاسم...

هذا وسيتم اختتام المهرجان يوم السبت 29 جوان الجاري بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي بالعرض الموسيقي "روح العرب" من تقديم الأوركسترا السمفوني العربي بمشاركة فنانين من جنسيات مختلفة من 11 دولة منهم الفنان التونسي محمد الجبالي،فعلى مدى 90 دقيقة يحمل العرض الجمهور في رحلة تعبق بعطر التراث الموسيقي العربي...

الفيلم عمل فدائي .. محاولة لاسترجاع الذاكرة المسروقة

عدنان حسين أحمد (ناقد سينمائي عراقي_ لندن)

لا يرقى أي فيلم مهما كانت درجة الخطورة أو المجازفة فيه كبيرة إلى مستوى "العمل الفدائي" الذي نعرفه عن المقاومة الفلسطينية بغض النظر عن تشعباتها المعروفة. ويبدو أنّ المخرج الفلسطيني كمال الجعفري قد ذهب في هذا الاختيار إلى أبعد من المضامين أو التصورات التي تدور في خَلَده فجاءت الصياغة غير الموفقة لعنوانه بالشكل الذي انتهى إليه.

لا تعتمد قصة الفيلم على زمن خطي مستقيم، فالقصة أصلاً إذا أردنا جمعها ولمّ أجزائها المبعثرة فهي تتمحور على غزو الجيش الإسرائيلي لمدينة بيروت في صيف عام 1982م حيث دهمت هذه القوات المعتدية مركز الأبحاث الفلسطيني ببيروت ونهبت أرشيفه ومحتوياته بالكامل، وكان هذا الأرشيف الكبير يضم وثائق تاريخية عن فلسطين من بينها مجموعة كبيرة جدًا من الصور الثابتة والمتحركة إضافة إلى كتب ومراجع وأفلام وصحف فلسطينية وعربية وعالمية.

يسعى فيلم "عمل فدائي" إلى خلق رواية مُضادة لهذه الخسارة بواسطة تقديم شكل من أشكال "التخريب السينمائي" الذي يسعى إلى استعادة ذكريات وأرشيف التاريخ الفلسطيني المنهوب. ترى، هل يستطيع الجعفري أن يستعيد هويته الوطنية، ويسترجع الذاكرة المسروقة من خلال التقنيات الوثائقية والتجريبية الحديثة؟

يستعين الجعفري بكل ما تيسر له من تقنيات ومواد أرشيفية مرئية ومسموعة ومكتوبة لكي يعزز الاتجاه الذي قرر أن يمضي فيه بما في ذلك أغنيات الأطفال وألعابهم اليومية المألوفة وحري بنا الإشارة إلى واحدة منها تقول في مستهلها:"طاق، طاق، طاقية / شبّاكين بعليّة / رن، رن يا جرس / حوّل واركب ع الفرس". يعتمد المخرج على أشياء كثيرة في صياغة أحداث الفيلم من بينها التفجير الذي حصل ببيروت، وورقة من الرملة، وورقة أخرى من غزة، وعلى كاميرا المسلوبين، كما ينهل من "متحف الأيام" ليجمع ما يراه مناسبًا لبناء قصته الجديدة التي يزعم أنها تشبه "العمل الفدائي" أو توازيه في الأقل.

كثيرة هي مقتبسات هذا الفيلم لكننا سنتوقف عند كل ما يعين القارئ على مواصلة القراءة ومتابعة أحداث هذا الفيلم الذي لا يخلو من نَفَس جديد في بعض الأشياء. لم يورد المخرج أسماء الشخصيات التي وردت في هذا الفيلم عن قصد أو من دون قصد فراوي حادثة الانفجار يصف كل شيء بالتفصيل الممل رغم أنه يعيش بين الوعي والغياب عن الوعي ومع ذلك فهو لم يمت وإنما ظلّ على قيد الحياة.

شرطة أو عساكر يفتشون فلسطينيين في أماكن مختلفة كما تشير "ورقة من الرملة" يقول فيها الراوي الذي كان صبيًا آنذاك:"أوقفونا صفّين على طرفيّ الشارع الذي يصل الرملة بالقدس، وطلبوا منّا أن نرفع أيدينا متصالبة في الهواء. . وعندما لاحظ أحد الجنود أنّ أمي تحرص على وضعي

أمامها كي أتقي شمس تموز سحبني من يدي بعنف شديد، وطلبَ مني أن أقف على ساق واحدة، وأن أصالب ذراعي فوق رأسي في منتصف الشارع الترب. . كنتُ في التاسعة من عمري يومذاك". يأخذ الانفجار حصة الأسد في هذا الفيلم حيث يتابع المخرج تداعياته المفجعة ويلاحق فرق الإنقاذ التي تنتشل الجثث والجرحى من تحت الأنقاض والبعض من الناجين يستعملون مواسير المياه للنزول من الطبقات العليا من البناية التي فُجرت بواسطة الريموت كونترول. لقطات ومشاهد كثيرة لا يمكن الوقوف عندها جميعًا نذكر منها مشهد المصور هاني جوهرية وهو يخاطب زوجته بأنه محله ليس هنا فهو لم يخلق حتى يصور عيد ميلاد ولد يطفئ شمعة وإنما خلق لكي يخدم وطنه. وفي ورقة من غزة يقول الراوي:"غزة هذه، التي عشتُ فيها ومع رجالها الطيبين سبع سنوات في النكبة كانت شيئًا جديدًا. كانت تلوح لي أنها. . بداية فقط. لا أدري لماذا كنت أشعر أنها بداية فقط. كنتُ أتخيل أن الشارع الرئيسي، وأنا أسير فيه عائدًا إلى داري. لم يكن إلاّ بداية صغيرة لشارع طويل طويل يصل إلى صفد. كل شيء كان في غزة هذه ينتفض حزنًا على ساق نادية المبتورة من أعلى الفخذ حزنا لا يقف عند حدود البكاء. إنه التحدي بل أكثر من ذلك، إنه شيء يشبه استرداد الساق المبتورة".

يقتبس المخرج من رواية "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني هذا المقطع الذي يقول فيه الراوي:"حينما وصل سعيد س إلى مشارف حيفا قادمًا إليها بسيارته عن طريق القدس أحسّ أنّ شيئًا ما ربط لسانه

المخرج الفلسطيني كمال الجعفري

فالتزم الصمت وشعر بالأسى يتسلقهُ من الداخل، وللحظة واحدة راودته فكرة أن يرجع، ودون أن ينظر إليها كان يعرف أنها آخذة بالبكاء الصامت. وفجأة جاء صوت البحر تمامًا كما كان".

ما يميز هذا الفيلم أنّ المخرج فيه يمارس "التخريب السينمائي" فثمة شخصيات صهيونية اشتهرت على مدى ثلاثة أو أربعة عقود من الزمن وعرفها المشاهد الإسرائيلي والفلسطيني قبل غيرهما لكن المخرج طمس هذه الشخصيات وموّهها باللون الأحمر لكنه أبقى الشخصيات الفلسطينية الهامشية في هذه الأفلام لكنها الأصلية في هذا الوطن المحتل من قبل الصهاينة الذين جاؤوا إليها من مختلف بقاع الأرض، واغتصبوا منازل الفلسطينيين، ومزارعهم، وحيواناتهم وجردّوهم من كل شيء. لقد استرجع كمال الجعفري صور الفلسطينيين الذين كانوا موجودين في الأفلام الروائية الإسرائيلية وجعلهم الأبطال وأصحاب الأدوار الرئيسة، كما أنه أعاد الذاكرة البصرية الفلسطينية بعد أن غربلها أدران الماضي وذكرياته الموجعة التي طمسها الجعفري أيضًا وأحلّ محلها الذاكرة الفلسطينية النقية الصافية التي تذكّرنا بكل ما هو جميل وناصع في زهرة المدائن وكل المدن الفلسطينية الأخرى.

بقي أن نقول بأنّ كمال الجعفري المقيم في برلين حاليًا قد أنجز عددًا من الأفلام نذكر منها "السطح "و "ميناء الذاكرة" و"الشرفات" و"استعادة" و "الفيلم عمل فدائي" الذي فاز بجائزة التحكيم في مهرجان فيشن دو ريلز لهذا العام.

خميس الخياطي رحل جسدا وبقي أثرا...

قصة حياة مليئة بالسينما والصحافة والكتابة والمواقف

خالد نجاح

بتأثر كبير ودعت الساحة الإعلامية والثقافية الصحفي والناقد السينمائي والكاتب خميس الخياطي، الذي توفي في غفلة من الجميع، وفجع نعيه أهله وأصدقاءه ومتابعيه على وسائل التواصل الإجتماعي والإعلام. وخلفت وفاته حزنا وألما في أوساط كثيرة، وعدد من سكان منطقة لافايات التي كان يجوبها يوميا لقضاء شؤونه في محلاتها المنتشرة في الأنهج والأزقة وممارسة رياضة المشي التي تقوده حتى حديقة البلفدير ومسالكها الواقعة بين المساحات الخضر وأشجارها القديمة المغروسة جذورها في عمق الأرض تحكي قصصا من التاريخ .

من القصور إلى باريس، قوة خفية شدّته إلى السينما والصحافة...

قصة خميس الخياطي هي واحدة من هذه القصص التي تحركت صفحاتها بعد وفاته لتكشف شخصية متعددة تشكلت في بيئات مختلفة داخل تونس وخارجها بداية من الصبى في بلدة القصور من ولاية الكاف وصولا إلى مدينة باريس، ولم تكن قد جهرته بأنوارها، لأنه تربى في تونس على فن السينما بكل أضوائه الخافتة والمبهرة. فكانت السينما القاطرة التي حملته إلى التميز في مؤسسات إعلامية فرنسية، كان فيها ناقدا ومحاورا وناقلا للفعل السينمائي.

خميس الخياطي كان مدفوعا نحو السينما بقوة خفية لم يكن يتحكم في إرادتها، وقد وجهته إلى حيث كان، وترك أثرا لا يزال قائما، وكان يروي تفاصيله بكل عزة كلما تجمع حوله الاصدقاء من الأجيال الصحفية المتعاقبة، أو كلما استضافه منبر إعلامي وغيره. قوة جعلته يرفض دخول قطاع التدريس بعد نيل شهادة مدرسة ترشيح المعلمين، فاجتاز امتحان الباكالوريا الفرنسية التي فتحت أمامه أبواب الجامعة، لتنطلق مرحلة جديدة غيرت مجرى حياته.

نشأت علاقة خميس الخياطي بالسينما وتطورت في نوادي السينما التي كان المرحوم الطاهر شريعة أب السينما التونسية قد نشرها في أرجاء البلاد. وكانت علاقة الرجلين توطدت لما استهل الخياطي مسيرته الصحفية في جريدة L'ACTION الناطقة بلسان الحزب الإشتراكي الدستوري، والتي عرفت في فترات من مسيرتها كما نظيرتها بالغة العربية جريدة العمل، أقلاما لامعة ساهمت في تطوير الصحافة الثقافية في تونس.

انقطعت صلة خميس الخياطي بالجريدة، وشد الرحال الى العاصمة الفرنسية حيث واصل المرحلة العليا من دراسة علم الإجتماع والتي كان بدأها في جامعة 9 أفريل بالعاصمة تونس، وحصل على دكتوراه المرحلة الثالثة من جامعة السربون وكان موضوعها مرتبطا بالفن السابع "السينما والمجتمع في أفلام صلاح أبو سيف". شهادة خولت له التدريس في جامعات فرنسية، لكنه كان مشدودا إلى عالم الصحافة فلم يفوت الفرص التي أتيحت له في عدد من وسائل الإعلام الفرنسية ومنها القناة الفرنسية الثالثة FR3 وإذاعة فرنسا الدولة RFI.

يقول خميس الخياطي واصفا عشقه للسلطة الرابعة " أنا لا أمارس النقد السينمائي لأنني غير قادر على ممارسة علم الإجتماع الذي حصلت فيه على الدكتوراه، وإنما لأنني أحب السينما وأحب الصحافة".

ويتذكر خميس الخياطي وهو يستعرض نجاحاته في وسائل الإعلام السمعية البصرية الفرنسية طرفة حصلت له في تونس لما تقدم لاجتياز تجربة صوتية في إذاعة تونس الدولية RTCI سنة 1965 وتم رفضه بتعلة أن صوته لم يكن يصلح للميكروفون. المهم أن الأمر كان مغايرا في فرنسا وقضى عشرين عاما في راديو FRANCE CULTURE وهي إذاعة ثقافية عمومية.

اليوم السابع وانطلاق مرحلة جديدة مع الصحافة ...

كانت لخميس الخياطي تجارب صحفية أخرى في فرنسا لعل أهمها انضمامه الى فريق تحرير مجلة اليوم السابع برئاسة بلال الحسن والتي صدر عددها الأول في باريس سنة 1983 وكانت مجلة راقية ضمّت أقلاما معروفة ولامعة وتصدرت لسنوات عديدة الدوريات العربية لقيمة مضمونها وثراءه وتنوعه، ويصفها خميس الخياطي بأنها "نجمة المجلات العربية إطلاقا".

مجلة "اليوم السابع" شكلت يوما مضيئا في حياة خميس الخياطي فانطلق نحو أفق جديدة للتعاطي الصحفي مع الشأن السينمائي العالمي والعربي وخاصة ما يتعلق بالسينما المصرية وتنقل كثيرا إلى القاهرة وعواصم أخرى حيث أجرى حوارات مع نجوم السينما، جمع بعضها في كتاب حمل عنوان "نجوم بها تهتدون" نشرته دار ميدياكوم سنة 1998 ضمن سلسلة "سينما" التي كان يديرها لطفي الصيد وهو أيضا من الفاعلين السينمائيين وقد أخرج عددا من الأفلام القصيرة وفيلما طويلا تحت عنوان "السبت إلي فات"، قبل أن يدخل غمار ميدان النشر.

ومن بين الأسماء التي حاورها خميس الخياطي وتضمنها الكتاب، عمر الشريف، فريد شوقي، جميل راتب، فردوس عبد الحميد،نور الشريف، منى واصف...ولم تكن حوارات مجاملاتية تتيح للفنان استعراض عضلاته والتباهي بإنجازاته

خميس الخياطي صحبة نجيب محفوظ

خميس الخياطي صحبة الطائر شريعة وتوفيق صالح

خميس الخياطي وسط ثلة من أهل النقد والسينما

وتلقين الدروس وإنما هي تتيح للقارئ استيعاب العملية السينمائية بجميع مكوناتها.

لم تقتصر محطة خميس الخياطي الباريسية على الإنتاج الصحفي والنقد السينمائي بل امتدت إلى مجالات أخرى متصلة بالسينما والإعلام ومنها إدارة مكتب الإتصال في معهد العالم العربي والمشاركة في اختيار أفلام أسبوع النقاد في مهرجان كان السينمائي، وكان عضوا في لجان الدعم السينمائي في فرنسا، ولم تكن مسؤوليات هينة ومتاحة لأي كان، وقد زادته خبرة وتمرسا، ومكنته من توسيع دائرة علاقاته المهنية والإنسانية من جميع أصقاع العالم.

نقل التجربة الباريسية إلى تونس، الممكن والمستحيل...

تبلغ المرحلة الباريسية في حياة خميس الخياطي نهايتها ويعود منتصف تسعينات القرن الماضي إلى تونس محملا برصيد زاخر من التجارب المتصلة بالحقل السينمائي ومجموعة كتب وأرشيف أعماله، دون سيارة FCR وأثاث لأن خميس الخياطي لم يكن يولي اهتماما للرفاهية وجمع المال رغم أنه حق مشروع لكل مغترب، وإنما كان همه منحصرا في عمله الذي كان يتطلب منه كثيرا من المطالعة والبحث والمواكبة للمستجدات.

لما رجع خميس الخياطي إلى موطنه كانت تونس تعيش تضييقات على الحياة السياسية والحريات الصحفية وجميع أشكال التعبير الحر، وهو المعروف بمناصرته لمبادئ حقوق الانسان وحرية الفكر والتعبير والتي ظل يدافع عنها حتى آخر أيامه.

ورغم هذا المناخ المزعج، وجد خميس الخياطي ركنا في التلفزة التونسية التي كانت تسمى قناة تونس 7 لينتج عددا من البرامج السينمائية. وكانت البداية ببرنامج وردت فكرته من صديقه منير فلاح والذي كان اشترك معه في انتاج برنامج سينمائي على نفس القناة الحكومية بعنوان "ما يطلبه المشاهدون" من تقديم كوثر جابر.

رحبت إدارة التلفزة في تلك الفترة بإنتاج برامج عن الفن السابع في اطار إثراء البرمجة الثقافية والتي كانت تزخر في سنوات سابقة بعديد الأركان متعددة الأغراض ومنها برنامج "نادي السينما" الذي كان يعده المرحوم مصطفى نقبو وهو من رواد النقد السينمائي في تونس رفقة المثقف المرحوم المنصف شرف الدين. وتلتهم مجموعة نيرة من النقاد في مختلف الفضاءات الإعلامية ولا يزال قليل منهم يواصل اليوم غمار النقد السينمائي.

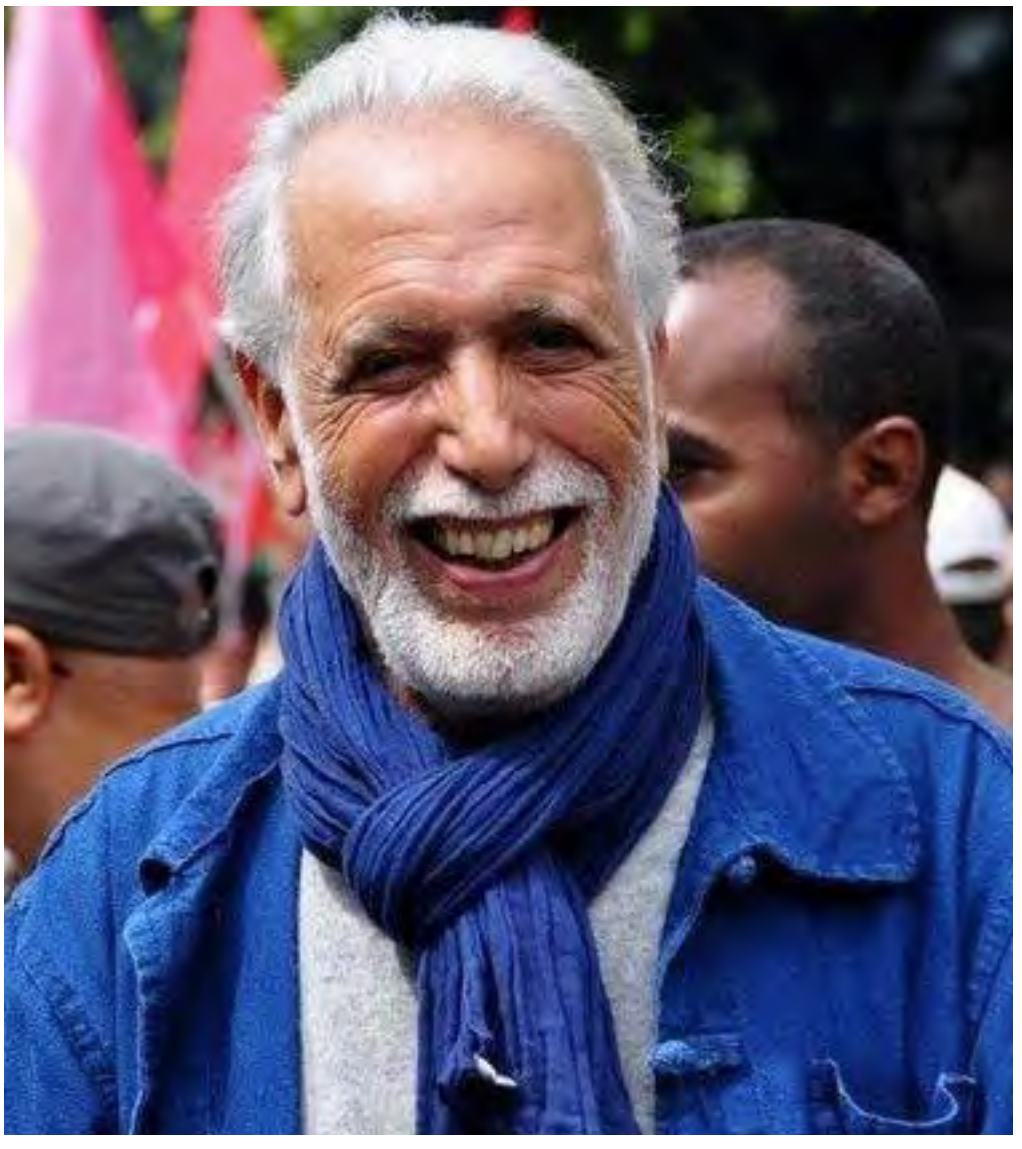

حاول خميس الخياطي أن ينقل تجربته الفرنسية إلى التلفزة التونسية بالقدر الذي تتيحه الإمكانيات ومساحة الحرية المسموح بها، وأنتج من سنة 2001 إلى حين غادر التلفزة في عام 2008 خمسمائة واثنتين وأربعين حلقة من أربعة برامج عن السينما كانت عناوينها تباعا: السينما حكاية، سابع الفنون، أفلام الأسبوع، صورة وصوت. إلى جانب التغطية اليومية لدورات أيام قرطاج السينمائية. وقد أخرج جميع هذه البرامج كمال يوسف الذي يمتلك خلفية ثقافية ثرية وقد التقت أفكاره السينمائية والثقافية عموما مع خميس الخياطي، فالتزما معا طيلة ثماني سنوات رغم المعاناة مع الصنصرة التي كانت سائدة لأسباب سياسية وموانع مفروضة من السلطة وأيضا لقرارات فردية تصدر عن المسؤولين دون مرجع، ومردها الخوف من أي تأويل مفترض لمشهد من فيلم أو لكلام ضيف، وكان شعارهم "إلي خاف نجا".

هروبا من معاناة الرقابة...

كان خميس الخياطي في قناة تونس 7 "السيد سينما"Monsieur cinéma وقد أضاف طيلة تلك السنوات الكثير للبرمجة الثقافية في المشهد التلفزي، واكتست برامجه قيمة من حيث تناول المواضيع وطرح الإشكاليات والتحاور فيها مع أهل الفن السابع من جميع مكونات الصناعة الفيلمية. ونجح في شد السينمائيين بمختلف مشاربهم إلى التلفزة الرسمية والتي كانت قد اهتمت في تلك الفترة بقطاع السينما ودعمت العديد من الأفلام بالمساهمة في الانتاج وايضا عن طريق اقتناء حقوق بث عددا آخر منها عن طريق الوكالة الوطنية للنهوض بالقطاع السمعي البصري والتي تم حلها بعد فصل التلفزة عن الإذاعة.

ورغم هذا الجهد لم تكن امكانيات التلفزة تسمح بشراء حقوق الأفلام التونسية والعربية وغيرها بالقدر الذي يفي بحاجة البرامج السينمائية والتي تتطلب قدرا معينا من الجدية لا يمكن النزول دونه، حيث يصعب على التلفزة شراء حقوق الأفلام الجديدة لمواكبة المستجدات السينمائية الوطنية والعالمية وذلك لارتفاع ثمنها، فيجبر منتج البرنامج على التعامل مع أعمال قديمة نسبيا ومكررة. وربما كان ذلك من بين الأسباب التي جعلت خميس الخياطي يفقد الرغبة في الاستمرار مع القناة التلفزية 7، إضافة إلى مله من الرقابة التي تحذره باستمرار من الوقوع في المحظور السياسي أو الثقافي وتطلب منه التحري في قائمة ضيوفه. وذكر خميس الخياطي في تدوينات عديدة على صفحته الفايسبوكية أن عددا من برامجه تعرض للصنصرة وحذف منه ما لم يكن يرضي السلطة والإدارة. وليس مستبعدا أن تكون مواقف خميس الخياطي وخاصة تلك المرتبطة بحرية الصحافة من جملة الأسباب التي أدت إلى قرار إلغاء تعاقده مع التلفزة.

واضطر خميس الخياطي إلى تغيير الوجهة نحو الصحافة المكتوبة لينشر

خميس الخياطي في أحد البرنامج الاذاعية في فرنسا

خميس الخياطي صحبة منير الفلاح ودريد لحام في دمشق 1981

مقالات في جريدة الطريق الجديد التابعة إلى حركة التجديد وريثة الحزب الشيوعي التونسي ولكن ليس في السينما، وإنما عن المشهد التلفزي الوطني الذي تخلص تدريجيا من احتكار الدولة. واستمرت كتاباته الصحفية الدورية في الطريق الجديد إلى سنة 2014، لتتحول إلى مناسباتية في عدد من الجرائد التونسية باللغتين.

رحلة خميس الخياطي الصحفية في تونس كانت مضنية وشاقة، رغم متعة الكتابة وملاحقة الخبر ونقله وتحليله، فهو لم يكن صحفيا قارا مترسما في أي من وسائل الإعلام التي عمل بها في تونس، وإنما كان يشتغل بالقطعة لا يتلقى مقابلا سوى على البرنامج الذي ينتجه أو المقال الذي يكتبه. لذلك كان يبحث باستمرار عن مجالات إضافية لممارسة المهنة. والحقيقة أنه كان مطلوبا على الساحة وخاصة من بعض وسائل الإعلام الأجنبية، وقد كان مراسلا لجريدة القدس العربي من تونس وكذلك لقناة فرانس 24 مع التخصص في المجال الثقافي.

منجزه على ذمة العموم وأهل المهنة والتاريخ...

الصحافة كانت قدر خميس الخياطي، هو يقول إنه ليس ناقدا سينمائيا وإنما هو صحفي سينمائي. يبدوذلك تواضعا منه، ولكنه فخر الإنتماء لمهنة تقدم للإنسانية خدمات جليلة في جميع المواقع والظروف، زمن السلم وفي أوقات الحروب والكوارث والأوبئة. وكان خميس الخياطي حتى أيامه الأخيرة يساند الصحافة الحرة وكم مرة وقف محتجا على حال الإعلام صحبة جموع الصحفيين أمام مقر نقابتهم في شارع الولايات المتحدة بالعاصمة وكان قريبا من محل سكناه. هذه النقابة التي كان خميس الخياطي من بين مؤسسيها سنة 2007 ولكنه ترك المجال لأجيال جديدة تداولت على رئاستها وعضويتها واكتفى بشرف التأسيس.

ينساب القلم متحدثا عن خميس الخياطي لثراء مسيرته وتنوعها، ويرفض أن يضع علامة النهاية، فقد يكون ذلك تعسفا على رجل سعى جهده إلى أن يضع تجربته في الحياة على ذمة الناس والتاريخ، فمنح كل أرشيفه من صور وبرامج إذاعية وتلفزية ومقالات صحفية وحوارات إلى المكتبة السينمائية في مدينة الثقافة والتي تشتغل على رقمنتها حفاظا على الذاكرة الوطنية، بعد أن أقامت له في جوان وجويلية 2022 معرضا تحت عنوان"خميس الخياطي، شغف الصورة " واحتوى مجموعة كبيرة من صور فوتوغرافية حول السينما الوطنية والعربية والعالمية التقطها بعدسته.

أما مؤلفاته فبقي من قديمها القليل وبعضه انتهت نسخه ولم تعد في السوق. والجديد منها يتداول في المكتبات ومن يبحث عنها سيجدها بالتأكيد. وألف خميس الخياطي من سنة 1976 حتى 2016، كتبا عن فلسطين والسينما، وعن صلاح ابو سيف، وعن السينما المصرية والسينما العربية، وعن النقد السينمائي، وعن ذاكرة أيام قرطاج السينمائية، وعن الخطاب السلفي في الفضائيات العربية، وعن الشأن التلفزي التونسي، وعن الصورة التي عشقها في السينما ومن خلال عدسته التي لا تفارقه في حله وترحاله حتى ظهر الهاتف الجوال الذكي، فأصبح يلتقط به يوميا صورا من الشارع لينشرها على الفايسبوك ناقدا لبعض المظاهر المجتمعية والمخلة بالنظافة والبيئة وجمالية العمران. كان يحب أن يكون وطنه في أفضل حالاته سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وقد أصدرعام 2008 كتابا عن تونس تحت عنوان "من بلدي يوميات مواطن عادي DE MON PAYS, JOURNAL D'UN CITOYEN ORDINAIRE" وجاء في شكل نظرة نقدية للوضع في تونس.

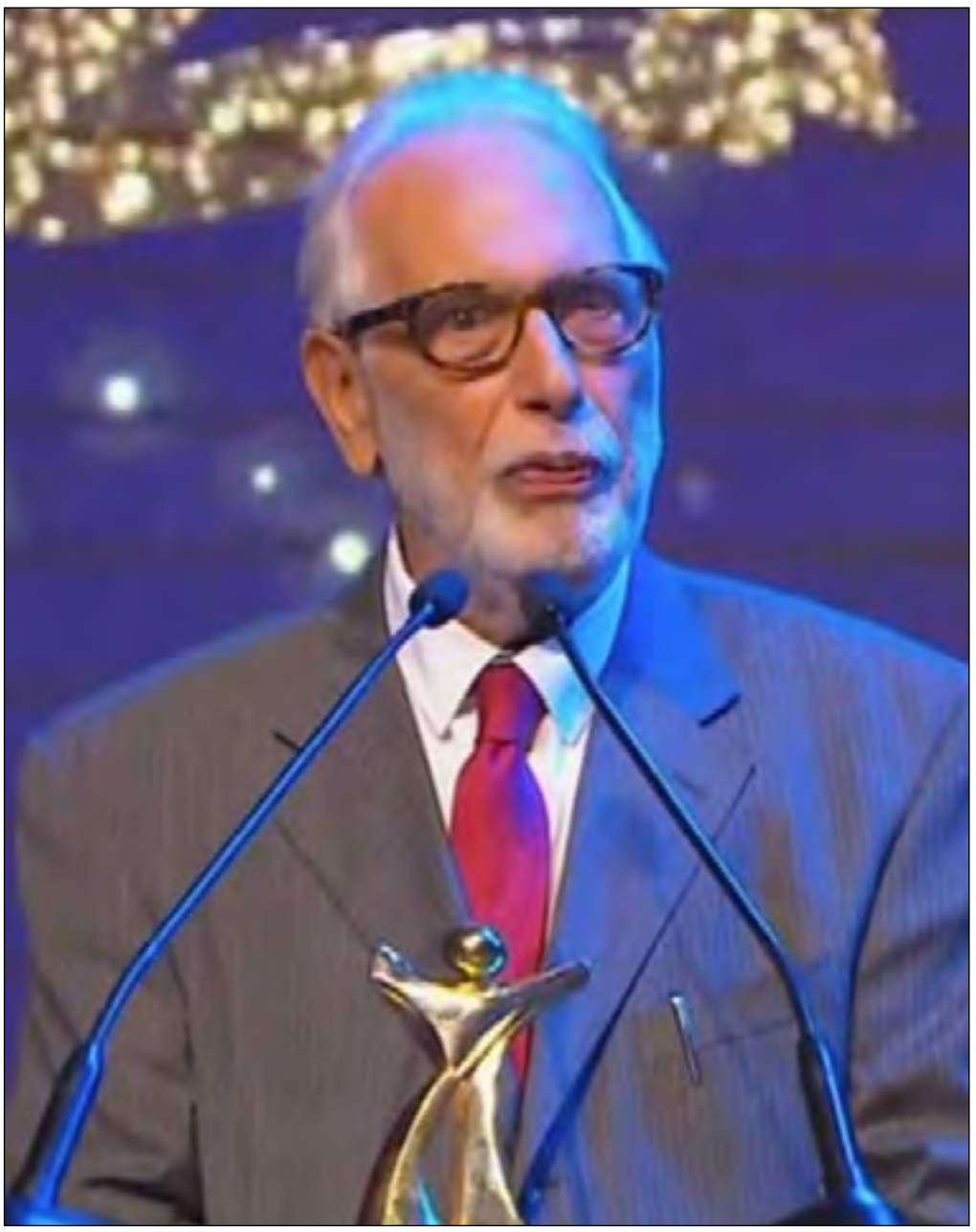

أيام قرطاج السينمائية فكت غربته في وطنه...

هذا الوضع الذي وصفه في كتابه كان سببا في شعوره بالغربة في وطنه. شعور زال عنه يوم تكريمه في الدورة الثانية والثلاثين من أيام قرطاج السينمائية سنة 2021 بوصفه ناقدا سينمائيا وقد قال في حفل التكريم "أشعر اليوم بانتمائي إلى بلدي". ربما كان خميس ينتظر اعترافا من أيام قرطاج السينمائية خصيصا والتي تابع جميع دوراتها أو أغلبها منذ تأسيسها ورأس فريق نشرتها اليومية في الدورة الثلاثين سنة 2019 تعبيرا منه لحبه للمهرجان فبادله تلك المشاعر ولو بعد زمن طويل.

ولكن الدولة سبقت الأيام في تكريم خميس الخياطي حيث منحه الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي سنة 2016 الصنف الثالث من الوسام الوطني للاستحقاق الثقافي. ومهم أن تعترف الدولة بمبدعيها وتعلي مقامهم وتحفظ أثرهم وذكراهم.

طغت صورة خميس الخياطي ناقدا سينمائيا على مسار حياته المهنية رغم أنه حاول أن يغلّب صفة الصحفي السينمائي على الناقد. ومهما اختلفت الصفة المهنية سيظل اسم خميس الخياطي مرتبطا بالسينما التي خصص لها عمره، ولا يزال رصيده من الأعمال المتصلة بالشاشة لم يكتمل بعد وهو كتاب "سياسة المخرجين" الذي يترقب النشر وقد يجد طريقا إلى الوجود في يوم ما ليضاف إلى الأثر الذي تركه خميس الخياطي وهو وفير وغزير ويشمل أيضا جانبا لا يعرفه عنه كثيرون وهو التمثيل السينمائي حيث شارك في بعض الأعمال السينمائية ومنها فيلم السفراء للناصر القطاري الحاصل سنة 1976 على التانيت الذهبي لأيام قرطاج السينمائية. وكان خميس الخياطي كلما يلتقي الناصر القطاري يمازحه بالقول "انا عندي GROS PLAN في فيلم السفراء" ويقصد لقطة من المشهد الذي انتهى عليه الشريط...

انتهي الشريط وتبقى القصة تتداولها أجيال.

السينما الافريقية بين إرادة التحرر وضغوطات الدعم

سعاد زريبي

لم ينتهي الاستعمار الفرنسي لبعض الدول الإفريقية بإنتهاء الصراع المسلح ولم تنتهي المقاومة بإعلان الاستقلال والاعتراف بإستقلال الدول بل نشأ بنهاية الاستقلال شكلا جديدا للإستعمار والذي لعبت فيه السياسة الثقافية دورا هاما في تمديد فترة الاستعمار الفرنسي للدول الافريقية الى تاريخ غير محدد وقد يبدو في بعض البلدان الى حدود اللحظة الراهنة. لعبت السياسة الثقافية الفرنسية ابان نهاية فترة الاستعمار الفرنسي دورا هاما في نشر الثقافة الفرنكوفونية لا بفرض اللغة الفرنسية فحسب بل بنشر الثقافة الفرنسية من خلال سياسة الدعم الفرنسي للبلدان الناشئة والذي مثل الدعم المالي للسينما الافريقية أهم مشاكل الثقافة الافريقية الى حدود اللحظة الراهنة لأنه الأوفر حظا من حيث التمويل الفرنسي يقول رافاييل مييه «الامر لا يتعلق بسياسة تقديم معونة فرنسية لخدمة السينمات الجنوب بقدر ماهو استغلال فرنسا لتلك السينمات لمعاونة السياسة الثقافية الفرنسية». وبذلك يتسع مفهوم الإرث الفرنسي ليشمل المنتجات الثقافية الواردة في المناطق المتحدثة بالفرنسية، الفرنكوفونية، و هكذا تصير السينما الفرنكوفونية الواردة في أي مكان اخر cinéma d'ailleurs سينما فرنسية».

أنشأت الحكومة الفرنسية ما بعد الاستعمار وزارة الثقافة ووزارة التعاون والتنمية والتي أنشئت خصيصا للإشراف على التعاون بين فرنسا والدول الافريقية والتي قامت بإنشاء وحدة الفيلم في باريس عام 1963 برئاسة جان رينيه دوبري بلغ عدد الأفلام المدعومة فرنسيا في تلك الفترة بالتحديد ما بين 1963 و1975 قرابة 185 فيلما لكن كانت السياسة الثقافية الفرنسية واضحة، رغم زعم جان رينيه دوبري أن 125 فيلما من بين هذه الأفلام لم يخضع للرقابة لكنه يعترف أنه رفض مساندة فيلم عثمان سيمبين في إخراجه لفليه الفتاة السوداء الذي مثل لحظة هامة في السينما الافريقية وعلاقتها بالسياسة الثقافية الفرنسية لأنه أعطى صورة سوداوية للمجتمع الفرنسي في علاقته بإفريقيا والفوارق بين المستعمر ومستعمراته من خلال صورة الخادمة ذات الأصول الافريقية التي انتقلت للعيش في فرنسا مع عائلة فرنسية لكنها عاشت تجربة اغتراب داخل المجتمع الفرنسي وبالتحديد داخل البيت الفرنسي وبالحنين الى أصولها الافريقية لتقرر في نهاية الفيلم وضع حد لحياتها. في المقابل كانت السياسات الفرنسية تسعى الى تلميع صورة فرنسا في أوساط السينما الافريقية وفي مجتمعاتها إذ هيأت فرنسا ان ذاك السينما الافريقية لبرنامج استعماري مغاير بإسم نشر الثقافة الفرنسية وأنشأت جمعية نشر الفكر الفرنسي ADPF كما دعمت وزارة الثقافة الفرنسية صندوق دعم الجنوب ونجحت هذه السياسة الثقافية الاستعمارية الجديدة في انتاج قرابة 105 فيلما مدعوما من قبل هذا الصندوق. يقول فريد بوغدير « ان السينما وصلت الى افريقيا مع الاستعمار الكولونيالي وكان دورها الرئيسي تقديم مبرر ثقافي وأيديولوجي للهيمنة السياسية والاستغلال الاقتصادي». «وقد تمكن العالم من أن يدرك عبر هذا المصباح السحري ان فرنسا قد أنجزت فتحها المشهود بأن جعلت نفسها محبوبة في مستعمراتها كحب الأم، لأنها أظهرت نفسها في صورة الدولة العادلة والإنسانية دائما في كل مكان». فلقد ساعدت السينما في تقديم الصورة البطولية للمستعمر «عرضت بطولة الرجال الفرنسيين مع صور نمطية للصحراء والكثبان الرملية والابل وعززت فكرة ان الاخر خطر».

قدم جي إينيبيل في دراسة شاملة حول السينما الافريقية يقول « إنها أفلام صنعها أشخاص ذوو بشرة بيضاء لأمثالهم من ذوي البشرة البيضاء وقد أمكن تمويل إنتاج هذه الأفلام بفضل مستوى المعيشة بالغ الإرتفاع الذي تمتعت به الأقلية البيضاء بفضل الامتيازات التي كفلتها لها القوانين العنصرية المخجلة». لكن الفيلم الوحيد الذي ناقض هذا التصور هو فيلم المخرج الجنوب الافريقي جيمي أويس «لابد أن الألهة مجنونة» 1970 وهو فيلم يصور أحد رجال البوشمان الذين يعيشون في بوتسوانا يرى أن زجاجة الكوكا كولا فارغة هبة من عند الالهة وهو فيلم كوميدي، ساخر و نقدي بشكل كريكاتوري للبيض و السود على حد السواء.

لقد أستعملت السينما من طرف المستعمر سلاحا آخر من أجل تمرير سياساتها الاستعمارية هاهنا ليس الاستعمار مسلحا ولا بالدبابات أو مشروط بإستباحة الدماء لكن بالصور ومن خلال السينما أما الرهان فهو عقول البشر وهوياتهم كتب كيان توماسيللي « كان لابد من تبرير القمع بشكل ما، وقد لعبت السينما دورا تاريخيا مهما في تقديم الفعل العنصري كطريقة طبيعية للحياة».

لكن على الرغم من السياسة الفرنسية العتيدة نشأت سينما مقاتلة و مقاومة حيث اصدر الميثاق الجزائري للسينما الافريقية سنة 1973 تشديدا على ضرورة ارتباط السينما الافريقية بمجتمعاتها وروابطها الروحية العميقة يقول نص الميثاق «تلعب السينما دورا جوهريا لأنها وسيلة من وسائل التعليم و الاعلام و رفع الوعي وهي في نفس الوقت من حوافز الابداع .إن انجاز هذه الأهداف يعني وضع المخرج الافريقي موضع التساؤل هو وصورته عند نفسه و طبيعة وظيفته ومكانته الاجتماعية ووضعه في المجتمع عموما». يهدف الميثاق الى ضرورة أن تحقق السينما فرادتها وتصوير خصوصية شعوبها ومجتمعاتها. من جهة اخرى خصص الفيلسوف والكاتب و الطبيب النفسي فرانز فانون، الذي عرف باسم إبراهيم عمر فانون وهو المولود بجزر المارتنيك ولكن المتوفي بالجزائر والذي شارك في ثورة التحرير الجزائرية والذي اشتهر بنضاله من أجل الحرية ومناهضة التمييز، وعمل في كتاباته الى التأكيد على ضرورة الوعي الجديد بالهوية القومية في كل البلدان الخارجة من تحت حكم الاستعمار الكونوليالي وأشاد

سينما

بضرورة بناء المثقف الوطني أي «المثقف الذي يحول نفسه الى أداة لإيقاظ الشعب، ومن هنا نشأ مفهوم الادب المقاتل ،الادب الثوري والأدب القومي» في هذا الاطار نشأت أفلام مقاتلة وسينما افريقية مقاتلة متحررة نابعة من عمق مأساة مجتمعاتها مصورة في ذات الوقت السحر الافريقي في جماليته وروعته، صور لمأساتها وحقها في الحرية والانتماء الى ذاتها.

ولكن لئن أظهرت السياسات الثقافية الفرنسية نواياها الاستعمارية الغير مباشرة للسينما الافريقية فإن الأعمال السينمائية الفردية الغربية قد ساعدت المجتمعات الافريقية في صناعة صورتها الخاصة فلقد ظهرت في بداية الستينات حركة في أوروبا الغربية اعتمدت منهجا تعبيريا سمي "سينما الحقيقة" وهي حركة انطلقت من أعمال الانتروبولوجي الفرنسي جان روش الذي صور أفلامه في إفريقيا دون طموح فني كبير وبعين باحث في أصول وتقاليد شعبية. رسم جون روش صورة دقيقة، حقيقية وواقعية للشعوب الافريقية قد تبدو في بعض الأحيان خيالية لمجتمعات لم تصورها السينما الفرنسية سوى تحت صورة الهمجي الذي يعتبر الاستعمار محررا لها من كل ارثها السوداوي .. فقد صور هذا المخرج الفرنسي في فيلمه أنا أسود صورة الحياة في الجماعات الإفريقية ساعيا للكشف بمصداقية تسجيلية عن مستوى وعيهم في المدن الكبرى. ونجح، الى حد كبير في أن يجعل المواطنين الزنوج الذين صورهم، يعلقون على أنفسهم من خلال الصور الصامتة بشكل عفوي وإرتجالي، وحقق أفلاما واقعية ممتازة".

بين سينما عولت على الدعم الفرنسي في تمويل وإنتاج عدد كبير من الأفلام الافريقية بشقيها العربي وسينما جنوب الصحراء وبين السينما التسجيلية لحياة الشعوب الافريقية والسينما المناهضة لكل الصور العنصرية في السينما الافريقية والغربية تعيش السينما الافريقية مرحلة ارتياب كبير وحرج ملموس

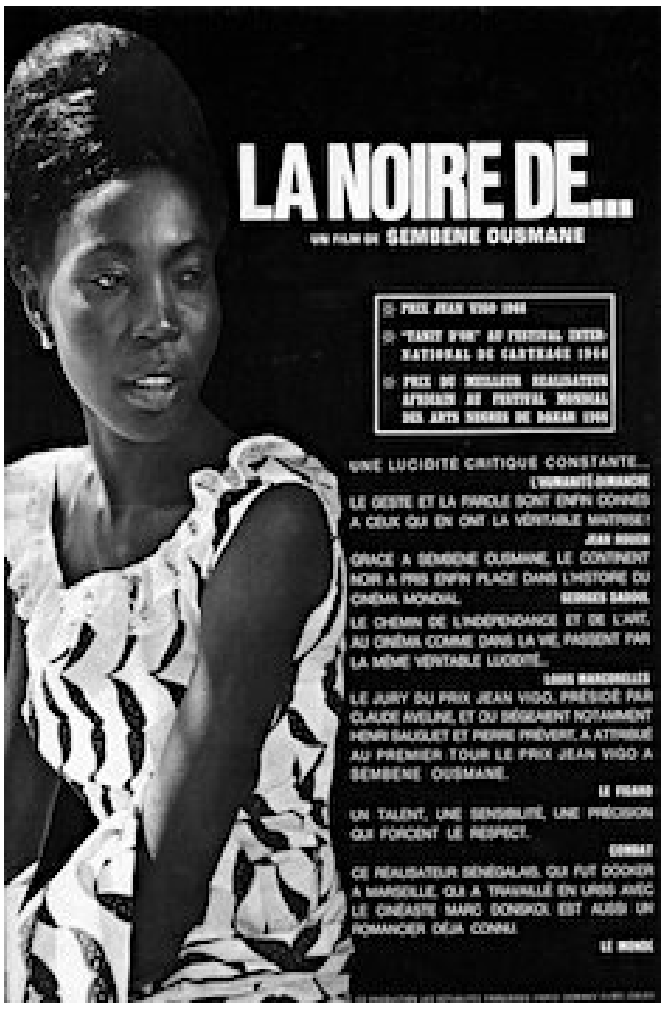

بين تحقيق صورة سينمائية صادقة ووفية للشعوب الافريقية وضغوطات الدعم الخارجي. السؤال الذي يطرح نفسه دائما: هل هناك سينما إفريقية مستقلة؟ متى يمكننا أن نعتمد على الأفلام الافريقية من أجل دراسة السينما الافريقية كسينما مستقلة على شاكلة السينما الأوروبية والسينما الامريكية ؟ بمعنى هل هناك سينما إفريقية حرة بشكل كامل خالية من التوجيهات الفرنسية الاستعمارية المبطنة؟ لا.

على الرغم من العمل الحثيث على خلق مشهد سينمائي افريقي وإطلاق بعض المهرجانات التي تعنى بشكل خاص بالسينما الافريقية كمهرجان ايام السينما الافريقية يالمملكة المغربية ومهرجان الأقصر للفيلم بجمهورية مصر العربية إلا أنها تبدو غير كافية داخل قارة تعد أكثر من خمسين دولة. لا يكمن الإشكال في السينما الافريقية في غياب المهرجانات فحسب بل في غياب الدعم الداخلي وغياب السياسات الثقافية الداعمة للسينما وللمخرجين السينمائيين وإنتاج الأفلام مع غياب دور العرض مما جعل السينما الافريقية إن كانت عربية أو أفلام السينما افريقيا جنوب الصحراء سينما مهمشة عالميا وذات حضور ضئيل داخل المهرجانات العالمية وتبقى نجاحات السينما الافريقية نجاحات فردية لبعض المخرجين العرب والأفارقة في الاثناء لا يتعلق المشكل بالنسبة للسينما الافريقية في غياب أفلام السينمائيين الافارقة والعرب عن المهرجانات العالمية فحسب بل عدم إقبال الجمهور المحلي أيضا على مشاهدة الأفلام الإفريقية. بين غياب السياسات الثقافية الناجعة والداعمة للإنتاج السمعي البصري وعدم إقبال الجمهور وضغط الدعم الفرنسي تبقى السينما الإفريقية موضع إشكال داخل المجتمعات الإفريقية التي يبدو أن تحقيق التحرر البصري داخل أفلامها وصورها السينمائية شكلا من التحرر والاستقلال من الصورة الإستعمارية أي من تلك الصورة التي رسمها الآخر المستعمر وهي صورة الإفريقي الهمجي والعنيف والتي مازالت تسري بشكل واضح أحيانا وخفي أحيانا أخرى في الأفلام الافريقية والأعمال الدرامية الأمر الذي يجعلنا نعتبر أن استقلال الدول من استقلال صورها البصرية وخير دليل على ذلك السينما الإفريقية.

صورة تتحدّث

الكبش "الصردي أو السردي" ملك الأضاحي

هو من سلالة تونسية مميّزة من الأغنام، والذي يمثل على الصوره هو :الكبش التونسي الأصلي الذي كان أجدادنا يضحون عليه في عيد الأضحى قديما ويعتبر سيّد الأكباش.

في أغلب الأحيان يكون رأس الأضحية أسود أو مائل للاحمر

وهذه الفصيلة من الأكباش تتميّز بجودة لحومها وجمال وجوهها

كل عام وأنتم جميعا بخير كل عام وتونس بخير

سينمائيات تونسية

إعداد : منير الفلاح

الفيلم التونسي "ليني افريكو" في ثلاث مهرجانات دولية

كشف المخرج التونسي "مروان لبيب" أن فيلمه "ليني أفريكو" تمكن من اثبات وجوده ضمن الاختيارات الرسمية لثلاثة من أبرز المهرجانات السينمائية العالمية، وهي:

مهرجان السينما الإفريقية في فيرونا (إيطاليا)

مهرجان عمان السينمائي الدولي (الأردن)

مهرجان مدغسكورت للقاءات الفيلم القصير (مدغشقر)

يعد هذا الإنجاز دليلا على جودة العمل والإبداع الذي تمثل في "ليني أفريكو"، وهو من انتاج شركة "Dirt, sounds & pictures" بالتعاون مع "Metafora Production" و"SVP Productions".

كما حظي الفيلم بدعم من وزارة الشؤون الثقافية والمركز الوطني للسينما والصورة في تونس، بالإضافة إلى "Culture Resource" في لبنان، وهيئة البحرين للثقافة والآثار.

تدور أحداث الفيلم في طرابلس المضطرب عام 2013، حيث يواجه كاهن أجنبي على وشك الرحيل ضرورة أخلاقية ملحة. يشعر بأنه مجبر على مساعدة مجموعة من المهاجرين الذين لجؤوا إلى كهف ناء في صحراء ليبيا الواسعة. يستعين البطل بخدمات عمر، وهو مهرب محلي ذو معرفة دقيقة بالمنطقة الوعرة. معا، ينطلقان في رحلة محفوفة بالمخاطر للعثور على الكهف وإنقاذ المهاجرين.

وراء الجبل وكواليس في المسابقة الرسمية لمهرجان عمان السينمائي الدولي

تشارك السينما التونسية بأربعة أفلام (منها 3 في المسابقة الرسمية) ضمن الدورة الخامسة من "مهرجان عمان السينمائي الدولي- أول فيلم " التي ستقام من 3 إلى 11 جويلية القادم في العاصمة الأردنية.

وتشهد هذه الدورة وفق ما كشف المنظمون عن قائمة الأفلام المشاركة في دورة العام الحالي، إذ تبلغ 53 فيلما من 28 بلدا منها أفلام روائية قصيرة عربية وأخرى طويلة ووثائقية عربية ودولية.

وتتنافس الأفلام المشاركة على الفوز بجائزة " السوسنة السوداء " من خلال أربعة أقسام 3 منها تسندها لجان تحكيم وهي جائزة أفضل فيلم روائي عربي طويل (وتتنافس عليها 7 أفلام)، وتتضمن لجنة تحكيم هذه الجائزة أسماء عدة سينمائيين من مختلف البلدان من بينهم الممثل والمخرج التونسي ظافر العابدين، كما تسند لجان التحكيم جائزة أفضل فيلم وثائقي عربي طويل (7 أفلام)، وأفضل فيلم قصير عربي (16 فيلماً)، بالإضافة إلى منح جائزة الجمهور للفيلم الفائز في قسم "الأفلام غير العربية " (7 أفلام).

ويتابع جمهور المهرجان ضمن مسابقة الأفلام الطويلة 7 أفلام منها فيلمان من تونس هما " وراء الجبل " لمحمد بن عطية، و "كواليس " لعفاف بن محمود والمغربي خليل بنكيران.

وسيتنافس هذان الفيلمان إلى جانب كل من فيلم " إن شاءالله ولد " لأمجد الرشيد (الأردن)، و "المرهقون " لعمرو جمال (اليمن)، والفيلم المصري "وحشتيني " من إخراج تامر روجلي، والفيلمين المغربيين "عصابات " للمخرج كمال الأزرق و "أنيماليا" لصوفيا علوي.

أما في مسابقة الأفلام العربية القصيرة فيتنافس على الجائزة 16 فيلما من بينها " ليني أفريكو "للمخرج التونسي مروان لبيب، إلى جانب 4 أفلام أردنية، هي "رولينج " إخراج عمر الطاهر، و"الحرش " إخراج فراس الطيبة، و "وذكرنا وأنثانا " إخراج أحمد اليسير، و "سكون " إخراج دينا ناصر، علاوة على 3 أفلام لبنانية، هي "عصفور كشاف "إخراج دوان القاوقجي، و"ملح البحر " إخراج ليلى بسمة، و" أن أندُرَ " إخراج إليو طربية.

وتشهد المسابقة نفسها مشاركة فيلمين مصريين هما 'سموكي أيز "إخراج علي علي، و "الترعة "إخراج جاد شاهين، وفيلمين من فلسطين، هما " في قاعة الانتظار " إخراج معتصم طه، و"سوكرانيا 59 إخراج عبدالله الخطيب، إلى جانب الفيلم السوري " حلاوة مرة " إخراج زاهر سمير قصيباتي، والمغربي "حمل، خروف وغربان " إخراج أيمن حمو، والفيلم القطري " طلب زواج " إخراج ناديا الخاطر، والسعودي " الرحلة " إخراج هانية باخشوين.

وتحضر السينما التونسية خارج المسابقة أيضا ضمن قسم " موعد مع السينما الفرنسية العربية "، من خلال فيلم " بنات ألفة " للمخرجة كوثر بن هنية، وقد تم اختيار هذا العمل ليعرض الى جانب عدة أفلام أخرى هي " كذب أبيض " إخراج أسماء المدير، و "الثلث الخالي " إخراج فوزي بنسعيدي، من المغرب والفيلم الجزائري " ما فوق الضريح " لكريم بن صالح، وفيلم الفرنسي "حتى لو ذهبت إلى القمر " للمخرج لوران رودريغيز وهي كلها أفلام روائية طويلة.

ندى المازني حفيظ تفوز بالجائزة الكبرى لمهرجان جينيف السينمائي

فاز الفيلم التونسي "المابين" للمخرجة ندى المازني حفيظ بالجائزة الكبرى لمهرجان جنيف الدولي للأفلام الشرقية في دورته الثامنة عشرة التي أقيمت من 10 إلى 16 جوان الجاري.

ومنحت لجنة تحكيم المسابقة الدولية للأفلام الروائية الطويلة بإجماع أعضائها جائزة " فيفوغ الذهبي" لفيلم " المابين " واعتبرته فيلما جريئا ويخوض في قضايا تعتبر حساسة ومحظورة في المجتمعات العربية، فضلا عن تميز هذا الفيلم على مستوى أداء الممثلين والسينوغرافيا والموسيقى التصويرية بحسب ما جاء في البيان الختامي للمهرجان على موقعه الالكتروني الرسمي.

تدور أحداث "المابين"، وهو روائي طويل (95 دق)، حول شابة في الثالثة والعشرين من عمرها تدعى شمس، تقطن بإحدى الجزر التونسية الهادئ وتعمل في مجال تصميم الأزياء والخياطة وتعيش قصة حب متبادلة مع أحد البحارة، لكن حياتها تنقلب مع انكشاف جنسها، فتقرّر، مكرهة، الانتقال للعاصمة في محاولة لتغيير حياتها.

وجسّدت دور الشابة شمس الممثلة أمينة بن إسماعيل ببراعة واقتدار، كما شارك في دور البطولة كل من فتحي العكاري وفاطمة بن سعيدان ومحمد مراد وسناء بالشيخ العربي وأيمن بن حميدة ومحمد الداهش وهيفاء بولكباش.

وتحصلت بطلة الفيلم أمينة بن إسماعيل على تنويه خاص من لجنة تحكيم مهرجان جينيف كأفضل ممثلة.

وسبق لهذا الفيلم أيضا أن فاز مطلع شهر جوان الجاري بجائزة أفضل فيلم في الدورة 24 لمهرجان الفيلم العربي بروتردام (هولندا) الذي أقيم من 30 ماي إلى 2 جوان 2024.

ويذكر ان هذا الفيلم حاصل على دعم من وزارة الشؤون الثقافية، ومن المنظمة الدولية للفرنكفونية، وهو من إنتاج شركة ليث للإنتاج و "ميستيك للأفلام " وقد تم تقديم عرضه الأول في قاعات السينما التونسية يوم 25 أكتوبر من العام الماضي.

زمن «الفطحل» وعوالم الحُلمي:

قراءة في تجربة حمدة السعيدي التصويرية

سلوى العايدي - أستاذة مساعدة بالمعهد العالي للفنون والحرف بصفاقس

ترجعنا القراءة الفينومنولوجيا إلى عالم المبدع، فتجعل المتلقي يعيش التجربة في نوع من التعاطف مع الفنان لحظة الفعل التشكيلي، وبهذا تجدنا -عبارة عن طفل-أمام لوحات حمدة السعيدي عالم جديد لم نعرفه من قبل، فنحاول أن نعيش ما عاشه الفنان بنفس ما زالت تكتشف الوجود، عالم أحلام اليقظة المعبّرة عن خيال حر متحرر من العادات، كما يقول"فان دان بارق" » « van den berg: " الشعراء والرسامون هم فينومنولوجيون منذ النشأة".

تقدّم لنا اعمال الفنان فرصة للحلم وللتخيّل فتوقظ فينا الأحلام وظيفة اللاواقع التي تتحقق في اليقظة، من خلال عالم تتجاوب فيه الأشياء مع مشاعرنا ورغباتنا، لتعبّر بذلك عن حلم جديد، وفي هذا الشأن يقول باشلار:" الخيال فينا يتكلم، وأحلامنا تتكلم، وأفكارنا تتكلم، كل نشاط إنساني هو رغبة في القول"، وتبعا لذلك، ينص الفنان عن كوجيتو الإنسان الحالم أحلام اليقظة:" أنا أحلم العالم إذن العالم موجود كما أحلم به"، فحلم الفنان ينمي فينا الإحساس بالممكن وفكرة الممكن قادرة في عديد من الأحيان على تحريك الإنسان لتحقيق اهدافه، فخيال الفنان يصهر الأشياء المتباينة في وحدة جديدة، يفكك، ينشر، يبدد، ابتغاء أن يعيد الإيجاد، فنظرته تنير العالم بنور شمس خاصة تشع من داخل النفس وتعطي للكون أشكالا وألوانا مغايرة.

فاللوحة سفر دائم ورؤية تتغلغل في المدهش تتدفأ على نار الدهشة، واتحاد بالمطلق وتحرير للذات الإنسانية من السائد، اختراق للحياة، تعرية، تعدّي...فللفنان رؤيا خالقة، يتمثّل الواقع ويعيد صياغته، بعلاقات وأنماط جديدة يتجاوزها بعد أن يبدعها بهدف إحياء أسطورة

في زمن جرّد فيه الانسان من الاساطير حسب نيتشه، زمن الأصول والوحدة وزمن الفطحل، والفطحل دهر لم يخلق الناس فيه بعد إذ كلّ شيء ينطق، زمن حلّ بعد الطوفان لذلك يعدّ زمن الوفرة. قدّم لنا السعيدي إذن زمن ميثولوجي بدئي، زمن الانسجام والتوافق الكوني وزمن السّلام المطلق، زمن في تواشج مع كُنْيَته "السّعيدي"، فهو سعيد ومسعود ليصبح الفنان محاورا

تفاصيل الوجود، يسبر ذاته ويتقصى صيرورة الواقع.

يستضيفنا الفنان داخل حميميته، يشرّع مبدأ التلصص ويعززه، فيفتح باب الخلق الذي لن يغلق لأنه عرف قواه التعبيرية الخارقة وبدأ يصغى لهمسات الكون اللامنظور، فإذا اللامرئي يولد من المرئي. تتحقق شعرية التصوير عبر الخط واللون ذي الترجيع التخييلي، وعبر التعبير عن انفعالات واهتزازات وجدانية، فالفنان لا يسعى إلى محاكاة الطبيعة بقدر ما يصوّر فنا خالصا يجمع بين الصفاء الحسّي والمتعة التشكيلية، فالجمال لا ينبع من المطابقة مع الواقع، وإنما في النشوة الروحيّة والمتعة البصرية، وهكذا تتحقق الشعرية في التركيز على القيم التشكيلية الخالصة، فـ" الشعري يمثّل عملية تجميل للواقع...يوقظ فينا وظيفة اللاواقع التي تتحقق في أحلام اليقظة".

تحمل أعمال السّعيدي جماليتها بذاتها كما تحمل دهشتها بذاتها، وسحرها ومتعتها أيضا، فتصبح متعة التصوير أدب أولئك الذين لا يعرفون كيف يقرؤون، وهذا يذكرنا بتعريف" أميل زولا" للفن الذي يهدف حسب رأيه إلى صبغ ما هو حسّي بالصبغة الوجدانية، أي رؤية الطبيعة عبر المزاج.

يحاول الفنان بذلك تقديم واقع تشكيلي مغاير يكون أكثر ذاتية، عالم ذاتي نعارض من خلاله العالم الموضوعي من حولنا، وهو استحضار صورة "الكل" الآخر في علاقته بهذه الحياة، حركة لا سبيل إلى تعقبها أو تحديدها أو التنبؤ بها تسير من الداخل إلى الخارج في حركة نحو المتعالي، فالصورة تصحح تناقضات وتسوى تعرّجات. ومن هنا تم ربط الفن بالحلم والعاطفة والخيال، والاعتقاد أن الفن هو الذي ينقلنا إلى عالم من الخيال المحض أو من الحلم الذي يمثل الطرف المقابل لحياة الواقع أو عالم الحقيقة، فهل معنى ذلك أن نعتبر الفن مجرّد أحلام وأوهام وأنه عالم من الصور الخالصة المجرّدة التي لا رابط بينها، أو مجرد شطحات مفرطة في التوهم والتهويل؟

قليبية مدينة البحر والثقافة والفنون

بهيجة بالربيع بنرقية

لمعت في سماء قليبية االساحرة أسماء لفنانين كبار نحتوا تاريخ فنهم ومدينتهم على لوحاتهم ومنحوتاتهم ونقشوا أسماءهم في الذاكرة بألوان قوس قزح ،أسماء حولت الفكرة الى ألوان وأحرف تتكلم دون صوت، تهمس ولا تبوح بمكنوناتها الا لمن يتقن فن السباحة في لغة الأشكال والألوان ..باقة من المبدعين أعجز عن حصرهم .

رؤوف ڤارة «رسام حالات البحر في تونس»، شوقي بوحديد المسكون بقليبية وبحب كل ما ينتمي الى مدينته فهي حبيبته الأولى والأخيرة رغم تعدد ما بينهما ،محمد صمود ،عبد المجيد الجنحاني حيدود، محمد الزواري ،منذر عمّار، عواطف ريدان، وأسماء صاعدة أخرى مثل فتيحة مبارك بن يوسف ودلندة كردغلي وليلى المسلماني ،ولمياء الجنحاني وأنيسة بوزكورة ، وغيرهن كثر دون أن ننسى بطل مقال اليوم الفنان الهادئ والمكوّن المحبوب لدى طلابه الكبار والصغار الأستاذ شهاب حميد .كل هؤلاء أضافوا الى الفن التشكيلي في تونس عامة وجعلوا من قليبية مدينة للفنون الجميلة ثانيا

قليبية هذه المدينة الصغيرة جغرافيا العميقة تاريخيا ،تزخر بالنشاطات الفنية والثقافية في جميع الفصول دون استثناء برعاية جمعيات تميزت بحرصها على كل ما ينتمي اليها من آثار وبناءات وشوارع، تغار على سمعتها وعلى جمالها وعراقتها من أن تمسها أيادي السوء، ومن باب تثمين مجهودات هذه الجمعيات أذكر على سبيل المثال لا الحصر جمعية قليبية للثقافة والفنون والتراث التي تكونت سنة 2018 وهي جمعية تنشط في إطار تسميتها اذ تعددت نشاطاتها فهي

تنجز حفلات تقديم وتوقيع للرواية والشعر
تنظم معرض مدينة قليبية للكتاب كل سنة
تنظم معارض للفنون التشكيلية
تسعى لحماية التراث الأثري

تنظم مسابقة سنوية في الكتابة لليافعين
قامت بما يقارب68 نشاطا منذ انشائها الى اليوم

دأبت هذه الجمعية على التعريف بكل من يبدع في مجال من مجالات العلم أوالأدب أو الفن وتحرص على متابعة القضايا التي تهم بحر وهواء وسكان قليبية وبفضلها لمعت أسماء كانت مغمورة وساهمت في التعريف ببعض القضايا العويصة التي تعاني منها المدينة مثل طمس الآثار والبناء فوقها، ومصادر التلوث وأسبابها .

وبفضل هذه الجمعية شهدت المدينة أخيرا حركة ثقافية وفنية نشيطة من خلال معرض للرسم، وقد احتفى محبو الفن التشكيلي بمعرض الفنان المتميز شهاب حميد بعنوان « تجليات حروفية بين الحرف واللا كلمة، برواق الفنون بدار الثقافة نور الدين صمود، اختار الفنان في معرضه الأخير أن تتسم جميع لوحاته تقريبا بالزخرف الحرفي لما للحرف العربي من دور كبير في الأعمال التشكيلية، حيث يستخدم في الزخرفة والتعبير الفني بأشكال متنوعة، سواء في اللوحات الزيتية، أو النحت، أو الفنون الرقمية. وكثيرا ما كان الحرف العربي موضوعاً للإلهام أو جزءاً من التصميم الفني نفسه.ويتم استخدام الحرف العربي ليس فقط كعنصر زخرفي، ولكن أيضًا كوسيلة للتعبير عن المعاني الثقافية والفلسفية والدينية. التي ينتمي اليها المبدع أو تلك التي يريد أن يعبر عنها ويمكن رؤية تجسيدات فنية مذهلة للفنان شهاب حميد تجمع بين الجمال البصري للحروف والكلمات وبين الرمزية الثقافية والتاريخية لها.

شهاب حميد بصدد رسم بصمة ابداعية مميزة على ساحة الفن التشكيلي من خلال لوحات جمعت بين الألوان والحروف ،بين المجسم والمسطح تكاد نقوشها تنطق عن محتواها ولكنها تتكتم في خجل.

لمحة عن الفنان شهاب حميد

هو أستاذ في الفنون التشكيلية من مواليد 24 أوت 1968 بقليبية ...

متخرج من المعهد العالي للفنون والهندسة المعمارية بتونس اختصاص نحت وشارك منذ أن كان تلميذا في بداية التسعينات مع الجمعية الثقافية للفنانين التشكيليين الشبان بقليبية بفضاء سيدي عبد السلام وخيمة الميناء العملاقة...

اقام معارض شخصية في كامل قاعات العرض بولاية باجة كما شارك في عدة معارض علي المستوى الوطني ... وقام بتصميم شعار ولاية باجة والحصول على الجائزة الأولى

قام بمعرض شخصي في مدينة قربة

رؤوف ڤارة

كما قام بتصميم العديد من المعلقات الإشهارية ضمن مسابقات وتمكن من الفوز بالجائزة الأولى

شارك في تظاهرة تونس عاصمة ثقافية في شارع الحبيب بورقيبة بالعاصمة....

كما صنف كأول رسام يخوض تحربة إقامة معرض في مؤسسة بنكية «بنك الأمان في باجة.

أقام معرضه الشخصي لفن البورتريه من 26 مارس الى 2 أفريل 2021 بدار الثقافة بقليبية.

افتتح مرسما لتكوين الهواة وقام بتأطيرهم وصقل مواهبهم بطريقة حرفية فولدت على يديه مشاريع فنانين للمستقبل .

ساهم في حركة ثقافية تشكيلية من خلال اقامة عدة معارض.داخل المنطقة.وخارجها.

قام بمعرض جماعي في 9 مارس 2022 ومعرض جماعي ثان في 4 سبتمبر 2022 بقليبية

أعمال تزخر بالرمزية

ركز الفنان شهاب حميد أعماله الأخيرة على حضور الحرف العربي فقد تميز باستثماره تشكيليًا ولونيًا في تجربة إبداعية ممتعة. فبدت الأحرف بأشكال مختلفة وتنسيقات ملونة لإنشاء قطع فنية فريدة و تصاميم جذابة ،مزج الأحرف والألوان بشكل مبتكر فأخرج لنا أعمالا فنية تعبيرية ملهمة للرائي

علاقة الرسم التشكيلي بالحرف

يقول إرنست غومبريتش في كتابه قصة الفن «لا نعرف كيف بدأ الفن، مثلما لا نعرف كيف نشأت اللغة». ويعيدنا هذا التساؤل إلى سنوات ما قبل التاريخ، حيث لم يكن هناك خط أو لون أو بناء إلا لغرض ما، لم يفكر أصحاب الرسوم فيها كأعمال فنية، بل على أنها أشياء لها وظيفة محددة، ولن نستطيع أن ندرك ونحلل تلك الرسوم، لو لم نعرف طرق تفكير تلك الشعوب البدائية أو أهدافها من تلك الرسوم. وحضور الحرف في لوحات الفنان شهاب حميد لم يكن لغرض وظيفي لخدمة اللغة بقدر ما هو لغرض جمالي فني إبداعي فهو يعلم أن الحرف عمومًا هو أساس الرسم، حيث يتم تكوين الكلمات والجمل من خلال ترتيب الأحرف. لكن في السياق الفني، يمكن للرسم أن يكون أكثر تعقيدًا وتنوعًا من مجرد ترتيب الحروف. لذا، يمكن القول بأن الحرف كان الأسبق من الرسم في الاستخدام العام، لكن الرسم كتقنية فنية تطورت وتنوعت لتصبح أبعد من مجرد تكوين الحروف والكلمات، وبالتالي يمكن أن يكون الرسم في السياق الفني أكثر تعقيدًا وتطورًا بعد ذلك.

العناصر التحليلية لاستثمار الحرف العربي

ان استثمار الحروف تشكيليًا ولونيًا يمكن أن يشمل عدة عناصر تحليلية:

1 الشكل الهندسي للحروف: يمكن أن يكون لشكل الحروف تأثير كبير على التصميم النهائي. على سبيل المثال، يمكن تجريد الحروف لإعطاء مظهر أكثر تجريدًا وتجربة للأبعاد الهندسية.

2 الترتيب والتوزيع : يمكن تنظيم الحروف بطرق مختلفة لتكوين تركيبات معقدة أو بسيطة. التوزيع الجيد للحروف يمكن أن يعزز السياق والمعنى.

3 الألوان : لون الحروف يمكن أن يعبر عن مشاعر ومفاهيم مختلفة. على سبيل المثال، يمكن استخدام الألوان الزاهية لإضفاء جو من المرح أو الحيوية، بينما يمكن استخدام الألوان الداكنة للإشارة إلى جو من الجدية أو الغموض.

4 لخطوط والأنماط : يمكن اختيار خطوط مختلفة للحروف، مثل الخط العريض أو الخط الرفيع، لتعزيز الشخصية الفنية للتصميم. كما يمكن استخدام الأنماط المتكررة لإضافة عمق وتفاصيل إلى العمل الفني.

5 التأثير النهائي: يتوقف تأثير العمل الفني النهائي على كيفية دمج كل هذه العناصر معًا بطريقة متناغمة ومثيرة للاهتمام.

باستخدام هذه العناصر بشكل مبتكر، تمكن الفنان شهاب حميد من إنشاء أعمال فنية فريدة ومثيرة للاهتمام تعبر عن رؤية ابداعية مميزة وثرية .

ويبقى الفن هو الوسيلة الأكثر نجاعة ليرفعنا الى أوج طبقات الانسان. لما له من دور في بناء شخصية الفرد وصقل مواهبه وتنمية مهاراته واشباعه روحيا ومعنويا . ولو تأملنا تاريخ البشرية لوجدنا أن الانسان مارس الفن وهو يقاوم من أجل البقاء فلم يكتف بالبحث عن مقومات الحياة البسيطة وصنعها وانما أضاف الى ما يصنع وما يجد لمسات فنية كخطوط يرسمها أو نقاط يحفرها،

جهات

سليانة

تحت اشراف وزارة الشؤون الثقافية والمندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بسليانة ينظم مركز الفنون الدرامية والركحية بسليانة مهرجان "المسرح والمجتمع "في دورته الثالثة بداية من 21جوان إلي 26جوان 2024 -في معنى المقاومة- "انه انسان يقول لا، ولئن رفض فإنه لا يتخلى "

إن المسرح هو شكل من أشكال الاتصال الجماهيري و أحد الفنون الأدبية و الأدائية الذي يعتمد أساسا على ترسيخ الأفكار في ذهن الجمهور و نشر الوعي و النهضة الاجتماعية والفكرية فهو من التشكيلات التي تكون الرأي العام و مظهرا من مظاهر الفضاء العمومي و المسرح استنادا للتاريخ هو قوة مؤثرة في الجماهير .

كذلك مركز الفنون الدرامية والركحية بسليانة هو مشروع مجتمعي مفتوح و شامل يحترم ذكاء مواطني الجهة وهويتهم و محيطهم ويبحث عن مساحة في عقل المتلقي و إحساسه. ساعيا الى جعل المسرح حاجة ملحة و ضرورية في حياة الناس.

فقد حان الوقت لجعل المدن الداخلية تستقطب الناس للحياة لا منفرة لسكانها خاصة و أن سليانة تمتلك كل المقومات الطبيعية و التاريخية و الاقتصادية و الثقافية و البشرية.

ويتواصل الرهان في هذه الدورة الجديدة الدورة الثالثة من مهرجان المسرح و المجتمع بسليانة ببرمجة منوعة تجمع بين التربصات المهنية التربص الاول تربص في *تصميم وصنع عرائس خيال الظل والتربص الثاني في الكوريغرافيا "من الاساسيات الى الركح " تأطير الفنان كريم توايمة.

و كذلك" صوت للعالم " وهي شعر و مونولوجات الى غزة

بالاضافة الى الحوارات الثقافية التي ستكون حول "فن العمارة والشأن العام"

دون ان ننسى العروض الموسيقية التي سيؤثثها كل من لبنى نعمان وكمال الشريف وانيس العلوي ويسرى بالحاج ومجموعة البحث الموسيقي

في هذه الدورة سيكون الجمهور على موعد مع المسرحيات التي سيحتضنها المركب الثقافي بسليانة وهي على التوالي القريطة لمحمد الكشو وشعلة لامينة دشراوي و قطيع لحمادي المزي وثقوب سوداء لعماد المي ليكون الاختتام مع عرض الهروب من التوبة لعبد الواحد مبروك

بوحجر

يكرم المهرجان الوطني لموسيقى الطفل ببوحجر الفنان الهادي الجويني

ويشارك أكثر من 350 طفلا وطفلة في الدورة العاشرة من الملتقى الوطني لموسيقى الطفل ببوحجر من ولاية المنستير، ويتمثل المشاركون تسع ولايات هي المنستير، المهدية، سوسة، الكاف، تونس، سليانة، نابل، قبلي وتوزر، منهم 120 في مسابقة العزف الفردي (11آلة موسيقية) والمجموعات (5 مجموعات) والكورال (4 مجموعات) فضلا عن مسابقة التلحين.

وتحمل دورة هذا العام اسم الفنان الكبير الهادي الجويني، وتشهد تنظيم ندوة علمية حول "بصمة الجويني والمجدّدون في الموسيقى التونسية" تحت عنوان "نحو متوسط موسيقي مشترك".

المهرجان تنظمه دار الثقافة ببوحجر بالشراكة مع جمعية الإبداع الثقافي ببوحجر، تحت اشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بالمنستير، وذلك من 24 إلى 29 جوان 2024.المهرجان تنظمه دار الثقافة بالشراكة مع جمعية الإبداع الثقافي ببوحجر.

افتتح المهرجان يوم 24 جوان في السادسة مساء بعرض ماجورات المكنين لجمعية ثقافة وترفيه، ثم عرض موسيقي لمجموعة "Tambours Romais" للإيقاعات العالمية بالجم للفنان أنيس بوزيان، وفي الثامنة ليلا عرض مسرحي بعنوان "قطيع" للمركب الثقافي بالمنستير بإشراف الناصر طنبورة فعرض موسيقي بعنوان "إيقاعات" للفنان علي الرموش تحت إشراف جمعية الشباب للموسيقى العربية بالمنستير.

واليوم الثلاثاء 25 جوان تنطلق في التاسعة صباحا مسابقة العزف الفردي في اختصاصات البيانو والقيتار والأورغ والأكورديون، ويوم الأربعاء 26 جوان وفي نفس التوقيت تنطلق مسابقة العزف الفردي في اختصاصات القانون والعود والإيقاع.

يوم الخميس 27 جوان في التاسعة صباحا، تنتظم ورشات عوف مفتوحة على آلة الكمنجة (شرقي وغربي)، لتعود المسابقات في الثانية ظهرا بمسابقة العزف الفردي على آلة الكمنجة.

يوم الجمعة 28 جوان تنطلق في التاسعة صباحا مسابقة المجموعات الموسيقية بالمعهد العمومي للموسيقى والرقص بالمنستير، وفي الثانية ظهرا تنطلق مسابقة الكورال في نفس الفضاء، فيما تحتضن دار الثقافة ببوحجر في نفس اليوم بداية من التاسعة صباحا ندوة علمية حول "بصمة الجويني والمجدّدون في الموسيقى التونسية" تحت عنوان "نحو متوسط موسيقي مشترك".

يوم السبت 29 جوان وفي الثانية ظهرا، تنتظم مسابقة الأداء الغنائي من رصيد الهادي الجويني، وفي الثالثة مسابقة التلحين للأطفال، ليُختتم المهرجان بالإعلان عن النتائج وتكريم الفائزين في مختلف المسابقات في حدود الساعة الرابعة مساء بقاعة العروض بدار الثقافة ببوحجر.

الحمامات

تحت إشراف وزارة الشؤون الثقافية يختتم المركز الثقافي الدولي بالحمامات دار المتوسط للثقافة والفنون سلسلة معارض الربيع للفنون التشكيلية بمعرض الفنانة منوبية مسكي الذي افتتح يوم السبت 22 جوان الحالي على الساعة الخامسة مساء ويتواصل برواق دار سيبستيان للفنون إلى غاية يوم 7 جويلية الحالي.

ويشكل هذا المعرض تجربة إنسانية وفنية مختلفة في مسار الأستاذة والباحثة والمترجمة الفنانة منوبية مسكي .

جربة

تحت إشراف وزارة الشؤون الثقافية تنظم دار الثقافة أجيم بالتعاون مع مركز الفنون الدرامية والركحية بجربة الدورة الرابعة لمهرجان الأرجوان لمسرح الشباب والطفل بأجيم

دورة المرحوم حسن بوعبيد، وذلك في الفترة الفاصلة بين 22 و27 جوان الحالي...

في البرنامج عروض مسرحية متنوعية ورشات تكوينية ومعارض .

السليمانية تونس المدينة

تحت إشراف المندوبيّة الجهوية للشؤون الثّقافية بولاية تونس، تنظّم دار الثقافة السليمانية مهرجان "في بلاد الأطفال" (AU PAYS DES ENFANTS) وذلك في الفترة الفاصلة بين 28 و30 جوان 2024 بالمدينة العتيقة.

ويُقدم المهرجان باقة متنوعة من العروض، تشمل عروض الرقص والمسرح والغناء وعروض الدمى و مسرح الحكاية والعروض الموسيقية وعروض السحر وعروض السيرك.

كما يُتيح للأطفال فرصة المشاركة في ألعاب الكنز والألعاب الشعبية.

وتُقام العديد من الفعاليات الترفيهية والأنشطة الإبداعية التي تُثري تجربة الأطفال وتُتيح لهم قضاء وقت ممتع لا يُنسى.

ويخصّص المهرجان فقرات للكبار منها حلقات للنّقاش وورشات عمل، وذلك بهدف تعزيز الترابط الأسري وتوفير فسحة ثقافية وفنية مميزة للجميع.

الجنون آخر الديانات الإنسانية

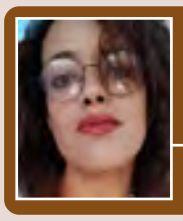

إسمهان الماجري

كثيرا ما يراودني سؤال صغير كعود كبريت مشتعل يكاد يحرق عقلي الذي يحاول أن يكون غابة ترتع فيها كل الأسئلة اليانعة والحقيقية، كيف يُفكر المجانين؟وهل يفكرون أم أن دورة العقل عندهم هذيان؟لكن هناك إجابة أعرفها بروح الشعر المقرمشة كحلويات العيد وهي أنهم أكثر سعادة منا وأقل خوفا منا بكثير فيال سعادتهم ؟ أعرف هذا لأنهم يضحكون كثيرا مؤمنين أكثر منا بشريعة نيتشه» لقد أتيتك بشريعة الضحك فتعلم أيها الإنسان كيف تضحك» ويتأملون كل شيء بعقل غائب ربما، لكن أيصيب الجنون الحواس أيضا كأن نعجب بالزهرة لذاتها بالفراشة لذاتها دون مرجعية العقل الذي يحدد الجماليات حسب الذوق العام أو الذي يحكم أن الزهرة أجمل من العشبة والفراشة أحق بالحياة من حشرة عقرب ويصدق ذلك مستندا على المنطق والفلسفة وغيرها من هراء ما قيل قبلنا،مجنون مفردة آراها أقدس من مفردات أخرى كثيرة كمفردة الرب أو الإله، لم أر جنونا من قبل يشكل الحياة بدموية إلا وكان عاقلا كجنون العظمة، لكن ماذا عن الجنون غير العاقل ؟؟؟ أظنه مسالما مسالما كقبلة صباحية بين عاشقين، كان حمودة طيارة مجنونا تعرفه كل قليبية كنا ونحن أطفالا نصوب نحوه الحجارة ليس خوفا منه لكن عبثا طفوليا لاستثارته ولم يكن مؤذيا يوما بل كان محبوب المدينة بأكملها، لم أخف المجانين يوما بل كنت مليئة بحب اكتشافهم ودودة الفضول نحوهم تمخر عقلي كتفاحة كيف يفكرون؟ هل يرون الحياة زهرية وكل شيء يطير بخفة في السماء مثلا؟ أذكر جيدا تلك المرة التي كنت أجلس فيها على مقعد بسكة المترو بمحطة الصناعات التقليدية عندما جاء مجنون وجلس جانبي، لم أتحرك من مكاني ولو قليلا وواصلت العبث بهاتفي وكل الناس بالمحطة ينظرون صوبي وعلى وجوههم باقات استغراب، كنت أحمل قناعة تشبه القاعدة الرياضية الصحيحة المجانين من الطيبين جدا وممن لا يفقهون فكرة الآذية، المجانين فقدوا عقولهم بالكامل ولا أمل في شفائهم إذن عادوا إلى براءة الطفولة، في حين كنت أخاف جدا المرضى النفسيين هم خطرون جدا وأظن أنهم فقدوا كبريائهم ،حبهم لذواتهم، وفقدوا قلوبهم الطيبة أكثر وليس عقولهم، الجنون ...الجنون هو الشعر المطلق...هو الكفر الأجمل... أحب أن أسأل مجنونا عن الله... أو الشيطان... أظن سيجيبني بضحكة مرتفعة جدا أو بالقفز ككنغرو سعيد لكن لن يجيبني بالبكاء مثلا كما سيفعل أطفال غزة لو أسألهم عن الله... عن الشيطان... عن الذنب... والبراءة... والحكمة الإلهية... ولو كان لهم حظ جميل... سيصابون بالجنون والكف عن التفكير في القذيفة القادمة... وسيفكرون في حلوى ملونة في سلة الرب الذي سيأتيهم معتذرا عن كل ما يحدث، ماذا لو نُجن جميعا؟ ماذا سيحدث؟ ستتوقف الحرب في غزة... وستتحول ساحة الحرب لحديقة مجانين، أكثر طهارة وشرفا وحبا من ساحة حرب، لن نسمع مجددا مواعظ غبية حول الحلال والحرام، والأعظم سينتهي النفاق من مجتمعاتنا لأنه صنيعة عقلية لا قلبية سنجد مجنونا ومجنونة لا ذكرا وأنثى لن يتذكر الذكر أن له حظ الأنثيين، ويرتفع في الحياة كتيس متجبر وستنسى المجنونة أنها في ذاكرة الفقهاء والمجتمع مُدانة دوما ولو تنفست بسرعة أكثر من الذكر، من سنوات قليلة اقترحت على صديقة شاعرة وأخرى قاصة أن نقوم بزيارة لمجانين الرازي ونحمل إليهم الحلوى والشكولاطة لأنني أؤمن بقلب الشاعرة أنهم عادوا أطفالا سعداء، بدأنا التخطيط كي نسأل عن إجراءات ذلك ثم فاجأتنا كورونا بأشهر من الحجر الصحي،وبقيت الفكرة تراودني دوما. كيف يفكر المجانين؟أريد أن أعرف ذلك عن قرب.ماذا لو يحل الجنون بالناس جميعا من شمال الكرة الأرضية لجنوبها وتتوقف الحرب وتتوقف فكرة الوعي والخوف من الموت... ماذا... لو... ماذا؟

الرّجل الذي باع قلمه

نصر العماري

استيقظ متأخرا. نظر الى الساعة الحائطية.

بدت الارقام والعقارب شاحبة ضبابية .

مدّ يده الى طاولة السريرالجانبية «COMIDINO» يبحث عن نظاراته الطبية .

لاحظ انه استيقظ متأخرا عن يوم امس.

لم يسمع نداء المؤذّن كالعادة رغم ان الجامع قريب من محلّ سكناه ...

تثاءب ووقف متثاقلا. جرّ رجليه واتّجه الى دورة المياه. فتح الباب وولج. التفت الى المرآة على يمينه .تفرّس في وجهه. جحّظ عينيه. مطّ شفتيه. نزع القلنسوة من على رأسه. رفع يده و»لعّب» كفّها واصابعها عل ذقنه. دقّق النّظر في الشّعيرات التى ترفض غزو وجهه. داء الثّعلبة يكاد يستحوذ على وجهه الممتقع.

هذا الدّاء اعياه، منعهُ من ان يتزّين بلحية حنائية اللّون .

كانت ستسدل عليه آيات الوقار والجلال ،

وهو يضع جبّتة القمرايا وبرنسه القطني حين يعتلي المنبر يوم الجمعة...اشتراهما من القيروان استعدادا لخبر التّعيين ...

لكن، للسّلطة حسابات اخرى. لم يكن مصابا بداء الثّعلبة حين تقدّم بطلب لمعتمد المدينة ملتمسا تعيينه إماما ...

معتمد المدينة، يُكنّ له احتراما كبيرا ...اترى ذلك من دماثة اخلاقه، ام دهاء وسياسة؟...

السّياسيون لا يُؤتمن جانبهم...

ولكن ماذا يقصد حين قال له» خلّي وحدة وطلّق وحدة»...

هل كان يقصد؟... هل اكتشف انّه... ؟

اعاد القلنسوة على رأسه تقدّم خطوتين نحو المرحاض. مدّ يده ليفتح ازرار سراويل نومه المخطّط. احسّ برغبة في التّبول .

لكن وخزات الوجع سبقت قطرات البول المتقطّع.

تراجع الى الخلف وهو يمسك بكليته .

اتكون حصوة من حصوات الكلى تحركت من مكانها على اثر شربه كمّية من مُغلى البقدونس؟ جذب زرّ صارفة المياه ...

تساءل هل الماء مقطوع ... ام صارفة المياه معطّبة ...؟

ما كان عليه ان يُذعن لهذه اللّعوب ولا لهذا السّياسي القديم. لكنّه وعده ان يكون إماما، ووعدته ان تكلّمه وتلحّ عليه ...

كانت البداية حين استدعته كي يفتح لها قارورة الغاز.كانت تضرب حنفيّة قارورة الغاز بيد المهراس في الاتجاه المعاكس ... هي جارته لكن لم ينتبه لها إلا في ادارة المعتمدية. حَيّتهُ بحرارة. يبدو انها تشتغل هناك وهي تعرفه. وتتابعت الخدمات ...

أتكون هذه الآلام !... «اووووه.. انها قاسية. احس انها انتقلت الى خصيتيه. كأن خنجرا وخزه»

اتكون نتيجة مرض اصابه؟ أم جماع على غير طُهر ؟.

هذا ماقاله صديقه الممرض المتقاعد. نصحه بشرب مُغلى البقدونس ...

كانت جميلة جذابه طريّة ...» اووه الالام حادة.. مسامير حادة تخزه في كل مكان...»

اتكون البروستاتا هي التي تضخّمت عنده؟

افي هذا السن تتضخّم البروستاتا ؟ ...

لكنّها طمأنته، سيحضى طلبه بالقبول .قالت له واثقة : «المعتمد لن يرفض لي طلبا سأكلّمه في شأنك»...

هذه اللّعينة، اوقعته في شراكها.

لم يعد قادرا على الحياة بدونها. لكن قلبه ليس معها...

كان يتعمّد ان يخرج معها ليجوب بعض شوارع المدينة بالتّحديد.

لعلّه يغيض الفتاة التي رفضته.

تلاميذه اشاعوا قصّة حبّهما...

كان متعلّقا بها لكنّها، لم تتعلّق به... كانت تعتبره استاذا فقط

وصديق شقيقها...

عَاوده الوخز في اسفل بطنه وتوزّع يمينا ويسارا نحو كليتيه. توجه مباشرة الى قاعة الجلوس. تهالك على الاريكة الجلدية .القى برأسه الى الخلف واستنشق الهواء بعمق. «اوه... ألمٌ لا يُطاق». تساءل اليس من حقّه ان يُحبّ تلميذته؟ .. اليس من حقّه ان يتزوّجها؟

ما هذا التخلّف؟ تذكّر زميله استاذ التّفكير حين قال له: «انت بعثوك باش تقريّها والا باش... ؟» وقطع كلامه .. واضاف : «سيّب عليك خُوذ زميله».

ليته لم يعمل بنصيحته .لم يشعر بالسّعادة يوما منذ تزوّجها .استاذة مغرورة، في نفس اختصاصه ... لم تتغير حتى بعد ان انجب منها... اولاده، كانوا على شاكلتها ... استعلاء وعقوق...

فكّر في ان يُعدّ قهوة «نسكافي « قام من مكانه وتوجّه نحو المطبخ...

عاش غريبا في اسرته ...ازدات غربته في بلد الاعارة.

كان المكان نحسا. لم يجن منه غير المال. بلد تعيس بأهله وتاريخه وجغرافيته ...

احسّ انه في المكان الخطإ، لم يُعلّم احدا، كان يُسند الاعداد بسخاء دون استحقاق...

الحمد لله عاد الى مدينته بعد سنوات، ومعه مال وسيارة، لكن ذلك لم يُسعده... مافائدة المال حيث لا حبّ ولا حنان ولا بِرّ...

الألم يُعاوده بين الحين والآخر يكاد يُفتك بخصيتيه،و تتسرّب الاوجاع الى ظهره ...

تَماسك وعَاد وهو يجرّ رجليه نحو قاعة الجلوس مُمسكا بفنجان القهوة .. وضعه امامه على المائدة البلّورية ..

تَهالك على الاريكة من جديد.

تذكّر ان زملاءه منحوه ثقتهم حين عاد ...

تساءل : هل كان جديرا بذلك ؟ .. اصبح النّاطق باسمهم والمتحدّث عن شواغلهم...

لكن الدّخول في اضراب في هذا الظرف بالذات قد يُفسد علاقته بمعتمد المدينة.

هذا الذي استقبله استقبالا حارا.

وقف وترك مكتبه وتوجّه ليصافحه ويجلس قبالته، هامسا يا سيد عبد الرحمان « بلغنا انّك اصبحت الكاتب العام ... ستكون إماما ونقابيا في نفس الوقت، وقهقه هههههه» ثم اضاف:

اتعرف يا سي عبد الرحمان ان هناك من يتآمر على وطننا العزيز...

مدّ يده لجهاز التّحكم في التلفاز ... شغّله انتقل سريعا بين القنوات .. استقر رأيه على قناة «فرونس 24»...

كانت الحرب دائرة بين احد اقوى جيوش العالم ومجموعة من المقاومين من غزة ...

احس بالآلام تنسلّ عنه شيئا فشيئا...

اخذ رشفة من القهوة ... ليست جيدة هو لا يُجيد تحضير القهوة...

وقف واتجه نحو المطبخ فتح الثّلاجة اخرج قنينة، عبّأ منها كاسا من مُغلى البقدونس. شربها في نفسين..

عاد الى قاعة الجلوس مُتمتما :

اي حرب هذه التي تخوضها حَماس وحدها... الحَماسُ وحدهُ لا يصنع الانتصار ...

عشرون الف شهيدا... عشرون الف فقيدا.. عشرون الف معوقا... والبقية مهجرون...

تذكر انّه وعد بالكتابة في هذا الموضوع..

`المجلة تنتظر منه المقال ...

وقف توجه نحو شماعة الملابس مدّ يده نحو جيب سترته الدّاخليّ فتّشه، فتّش في جميع الجيوب. توجّه الى مكتبه بالقاعة المجاورة، اجال بصره بحث بين بعض الاوراق والمجلات، لكن لاشيء، يبدو انه اضاعه قلمه المميّز .

هذا القلم المذهّب، لطالما افتخر به وتباهى بين زملائه .كان يقول قلمي فريد بين اقلامكم انه من ذوي اللسانين...

احسّ بوخزة شديدة في اسفل بطنه. امسك بالمكان الموجوع، الوجع يكتسحه في كامل جسمه .. تكوّر وعاد مسرعا الى اريكته. تهاوى عليها متألما:

«امممممه.. هذه قوية قوية.. يا رب قوية اب.. اب..اب»

وبعد التأوّه، نفخ وبسمل وتضرّع ورفع يده وضرب جبينه.. وتذكّر انّه ترك قلمه في مكتب معتمد المدينة بعد ان امضى الاستقالة من الكتابة العامة، وتنازل عن العمل النّقابي وقدّم له قائمة في المضربين...

أنتريتي نبّار

صديقي ورفيق دربي في حركة نوادي السينما حسن عليلش «إن كنت ناسي أفكرك»

باستغراب كبير تابعت التصريح الذي قدمه صديقي ورفيق الدرب السينمائي في حركة نوادي السينما حسن عليلش في برنامج « سينما..سينما» على موجات إذاعة جوهرة أف أم يوم 14 جوان الحالي حيث أدعى ان الأستاذة والسينمائية» انس كمون» هي أول امرأة ترؤس هذه الجمعية منذ تكوينها في منتصف الثمانينات من القرن الماضي..هكذا... وأضاف في مداخلته أيضا معلومة خاطئة أخرى ان جمعية النهوض بالنقد السينمائي بدأت بقوة لما كان يقودها الناقد الاستاذ الطاهر الشيخاوي..هكذا ايضا..

صديقي الكريم «ان كنت ناسي أفكرك» كما تقول الفنانة « أم كلثوم» في إحدى أغانيها الخالدة، وتصريحك هذا استفزني جدا وجعلني اخصص تنبيرة الأنتريتي لهذا الأسبوع لتصحيح الوقائع التاريخية لهذه المنظمة لاني كنت من بين مؤسسيها في منتصف الثمانينات من القرن الماضي صحبة الراحل النوري الجنزوري احد الأباء التاريخيين لحركة نوادي السينما والناقد والباحث هشام بن عمار ورئيسة تحرير مجلة « الفن السابع» الصحفية والناقدة السينمائية نائلة الغربي.

والبداية صديقي ستكون ببسطة تاريخية عن تكوين هذه الجمعية ومن كان وراءها .

أذكر أنّه لمّا اصدرت مجلتي «شاشات تونسية » في منتصف الثمانينات شجعني الأستاذ مصطفى نقُبو مدير مجلّة «الفن السّابع» وقام بالدعاية لها واعتبرها اضافة مهمة للساحة السينمائية ..وكنا نلتقي للتفكير في واقع النقد السينمائي في تونس وخرجنا بقناعة تقضي بضرورة تكوين جمعية للنهوض بالنقد السينمائي وتقاسم عضويتها فريق ممثل للمجلتين» الفن السابع» و»شاشات تونسية» وضم أول مكتب مسير للجمعية» النوري الجنزوري» و»نايلة الغربي» و»منير الفلاح« و»هشام بن عمار» و»عادل موتيري» اللّه يرحمه وغيرهم... في النّقاش الذي دار بيننا عند تكوين الجمعيّة ساد الإعتقاد بأنّه لا وجود لحركة نقد سينمائي في تونس كما هو متعارف عليه في البلدان التي تملك صناعة سينمائيّة قائمة الذّات ولهذا السبب جعلنا الهدف الرّئيسي للجمعيّة" النّهوض" بالنّقد السّينمائي.

ففي تلك الفترة كان لدينا نقاد قليلون مجتهدون، ولدينا أيضا الكثير من الصحفيين الذين يكتبون في السّينما وعن السّينما ويركزون على الجوانب الخبريّة واجراء المقابلات الصحفيّة مع المخرجين.

ومستوى الكتابة عن الأفلام يتباين بالطبع .فهناك من يكتب من قلب الفيلم، وهناك من يكتب حول الفيلم أي من خارجه فيما يعتبر أقرب الى التحقيق الصحفي الانطباعي .

ويميل أغلبيّتهم الى الفرقعات بتركيزهم على ما يقع في حفلات افتتاح المهرجانات ولباس النّجوم وتسريحة شعرهم، ولا يتطرّقون لأمّهات المشاكل التي يتخبّط فيها قطاع السّينما استغلالا وإنتاجا وتوزيعا...يتحاشون الحديث عن قضايا حارقة تهم القطاع مثل الرقابة ودور الدولة وطبيعة العلاقة بين السينمائيين والنقد، ونظرة المجتمع الى السينما، ومشاكل دور العرض والجمهور وفلسفة المهرجان السينمائي ودوره الحقيقي كما ينبغي أن يكون، ومشاكل معاهد السينما ودراسة السينما بوجه عام، وصولا إلى القضايا والاشكاليات الثقافية العامة والقضايا الفكرية ثم القضايا الجماليّة.

إن النقد في مجال السّينما التّونسيّة هو كيان متعدد الأوجه والوظائف حيث إن النقد السّينمائي في تونس يمكن تقسيمه إلى قسمين نقد شفوي، ونقد صحفي...

فضمن الشق الأول تتمّ جل المطارحات والنقاشات التي تعقب عرض الأفلام سواء في فضاءات الأندية السينمائية أو الملتقيات والمهرجانات السينمائية الوطنية.

وما يعاب على هذا الصنف من النقد، رغم أهميته، أن مستوى تداوله لا يتجاوز الفضاءات المغلقة التي تحتضنها مناقشة الأفلام وهو بذلك لا يمكن تداوله على نطاق واسع بل ولا يمكن توثيقه ونقله إلى قراء مفترضين، عكس النقد الصحفي المعتمد على التوثيق سواء تعلق الأمر بالإعلام المكتوب أو المرئي أو المسموع.

صديقي حسن عليلش الجمعية تم بعثها في منتصف الثمانينات من القرن الماضي كما بينته سلفا ومن تتدعي انه كان وراء بداياتها القوية سي الطاهر الشيخاوي لم يلتحق بها إلا في بداية التسعينات من القرن الماضي أي بعد عشر سنوات وكنت أحد الدافعين الى التحاقه بالجمعية لما كنت أدير دار الثقافة ابن خلدون وكان الناقد السينمائي «خالد مشكان « مكلف بالبرمجة السينمائية بدار الثقافة وفي نفس الوقت كان الكاتب العام للجمعية ولبيت طلبه في تمكين الجمعية من مقر خاص بها بدار الثقافة.

وجود الجمعية داخل دار الثقافة مكننا من التعاون وتنظيم العديد من التظاهرات السينمائية الكبرى كانت تكلل بصدور عدد خاص من نشرية الجمعية «Cinécrits»

في تلك الفترة لمع اسم الطاهر الشيخاوي كمؤطر للعديد من الاقلام الشابة أذكر من بينهم حسونة المنصوري و «رجاء العماري» وغيرهما... ومن اهم التظاهرات التي نظمناها معا في تلك الفترة واعطت للجمعية دفعا كبيرا « االبرمجة الكاملة لأفلام بازولوني دون أي حذف لأي مشهد» ويعتبر ذلك حدثا مهما لم تقم به أي جهة سينمائية دولية ليوم الناس هذا.

أما في خصوص ادعائك صديقي حسن ان السينمائية «سندس كمون» هي أول امراة ترؤس جمعية النهوض بالنقد السينمائي فهو عار من الصحة فقد سبقتها في هذا المنصب الصحفية والناقدة السينمائية «نائلة الغربي» التي كانت إحدى الاطراف المؤسسة للجمعية في منتصف الثمانينات من القرن الماضي...و»نائلة الغربي» ليست غريبة عن القطاع السينمائي فهي من كوادر مؤسسة « الساتباك» زمن ادارتها من طرف سي «حسن العكروت « وزاملت في تلك الفترة كل من نجيب عياد رحمه الله وراضي تريمش وصلاح الضاوي وعبدالرحمان سومر... وهي أيضا رئيسة تحرير مجلة»الفن السابع» كما امتهنت النقد الفني والسينمائي في عديد الدوريات والجرائد اليومية... وكانت لها أيضا بعض التجارب في الانتاج الاذاعي والتلفزي وقدمت للساحة السينمائية عديد من المؤلفات السينمائية تعد مراجع مهمة للباحثين.

صديقي حسن عليلش ارجو اني قد انرت سبيلك بهذا الرد وادعوك في مناسبة قادمة ان تستشير صديقك « الناقد الشاب» (كما كان يحلو لك مناداتي للمزح) حتى لا تخطأ في حق أهل السينما.

طرائف الزعيم (ج 389)

بورڤيبة الساحر

هذا اللقب جاء على لسان الجنرال دوغول بعد لقائه بالزعيم ويحدثنا عن ذلك الاستاذ كريم بن منصور في إحدى كتاباته.

فشخصية بورڤيبة لم يعجب بها التونسيون فقط بل اعترف بقدراتها زعامات أخرى كالجنرال ديغول الذي وصفه بالساحر لطريقة خطابه المؤثرة وقوة عينيه التي لم يستطع قائد فرنسا الحرة من النظر إليهما

وعندما نتحدث عن السياسة الخارجية للزعيم لا بد أن نستحضر خطابه الشهير في البالمريوم الذي يتداول بكثرة في موقع الفايسبوك

هذا الخطاب الذي جاء كرد فعل على أطروحات العقيد القذافي الوحدوية والمعادية للغرب التي أطلقها من البلمريوم والتي لم تعجب الزعيم فعمل على إنقاذ الموقف بطريقة ذكية تنم على خبرة سياسية وربما هذا الخطاب كان سببا في تدهور العلاقة بين الطرفين فيما بعد

وبعد سنوات عديدة على واقعة البلمريوم هانحن نعود الى هذا الخطاب الواقعي والمستشرف للمستقبل وليس نتيجة تنبؤات عشوائية.

لقد صدق بورڤيبة حين قال بان تكوين الوطن هي مهمة صعبة يجب تحقيقها لانجاز الوحدة العربية لان الوحدة لن تصمد في ظل التأخر الفكري والتكنولوجي الذي عاناه العرب ومازال يعاني منه ولكن لم يستطع بعض القادة العرب فهم الواقع ولاذوا بالصمت أو التنديد باقوال بورڤيبة لإخفاء جهلهم أمام زعيم خبر السياسة وعرف التوازنات الدولية القائمة التي تصب في غير مصلحة العرب لذا وجب تخليص الحرير من الشوك كما يقول...

قدرة الزعيم على الاستشراف أرعبت قولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة التي احتفظت بلقب الساحر الذي أطلقه عليه ديغول هذا الرعب الذي تكون لديها بعد خطاب أريحا الشهير حول التقسيم الذي لم يعجب العرب وحمدت إسرائيل ربها بأنه لم يعجبهم ولم ينفذوا كلام الزعيم وهاهم اليوم يتندمون عليه بعد أن فشلت كلمة سنلقي بهم في البحر الناصرية من تحقيق أهدافها.

فنّ وفنّانون

هند صبري تنعى الناقد والباحث السينمائي الراحل خميس الخياطي

نعت هند صبري الناقد السينمائي والصحفي خميس الخياطي الذي وفاه الأجل المحتوم ايوم الثلاثاء 18 جوان الحالي.

وكتبت هند صبري على حساباتها على مواقع التواصل الاجتماعي: "فقدت تونس اليوم ناقدا كبيرا ممن تعلم الكثيرون من كتاباتهم في السينما، وواحدا ممن أثروا فينا جميعا بمقالاتهم النقدية.. وداعا خميس الخياطي وخالص العزاء لأسرة السينما العربية والتونسية...".

ظافر العابدين في السباق الرمضاني لسنة 2025

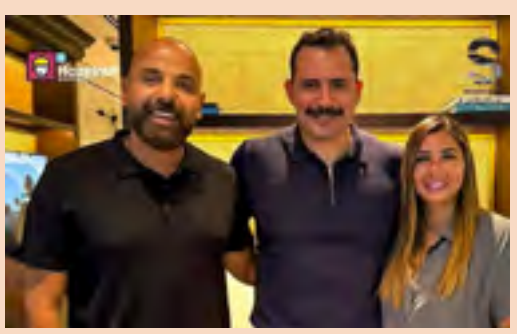

أعلنت المنتجة «سالي والي» عن تعاقد شركتها Sproduction، مع الفنان ظافر العابدين على بطولة مسلسل، يتم عرضه في السباق الرمضاني لعام 2025.

ونشرت الصفحة الرسمية للشركة، صور تجمع المنتجة سالي والي مع ظافر العابدين بعد الاتفاق على بطولة مسلسل، لم يتم الكشف عن تفاصيله، إذ من المقرر عرضه في رمضان 2025.

ويمثل مسلسل ظافر العابدين الجديد عودة قوية للدراما المصرية بعد غياب دام 6 سنوات عن الساحة الفنية، حيث كانت أخر أعماله الفنية من خلال مسلسل ليالي اوجيني والذي تم عرضه في عام 2018 وحقق العمل نجاحات ساحقة خلال فترة عرضه، وبعدها انشغل في الدراما اللبنانية من خلال مسلسل عروس بيروت والذي حقق له نجاحات كبيرة.